



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة البليدة ٢.

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها



جماليّات الإظهار في مقام الإضمار في ديواني عليّ بن أبي طالب والشافعي -دراسة نحويّة بلاغيّة-

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه الطّور الثالث
تخصّص: لسانيّات عربيّة.

إشراف الدّكتور :

- صالح تقابجي -

إعداد الطّالب:

- منصور وقّاص -



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة البليدة ٢

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها



جماليّات الإظهار في مقام الإضمار في ديواني عليّ بن أبي طالب والشافعيّ - دراسة نحويّة بلاغيّة -

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه الطّور الثالث

تخصّص: لسانيّات عربيّة

إعداد الطّالب: . منصور وقّاص

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصليّة	الصفة
عمار ساسي	أستاذ	جامعة البليدة ٢.	رئيسا
صالح تقابجي	أستاذ	جامعة البليدة ٢.	مشرفا ومقرّرا
بوتشنت العصفورة	أستاذ	جامعة البليدة ٢.	ممتحنا
عبد القادر منداس	محاضر أ	جامعة البليدة ٢.	ممتحنا
محمد بشير باي	أستاذ	جامعة الجزائر ١	ممتحنا
بركاهم العلوي	أستاذ	المدرسة العليا للأساتذة .بوزريعة.	ممتحنا

الموسم الجامعي: ٢٠٢٣/٢٠٢٤.



كلمة شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي﴾ ، وبعد حمد الله وشكره على ما أمدني به من عون لإنجاز هذا البحث ، وما منّ به عليّ من توفيق لإتمامه ؛ أسدي جزيل شكري إلى والديّ الكريمين - عرفانا بفضلهما - أن مربّياتي صغيرا وصحباتي بدعائهما كبيرا .

ولما كان شكر ذوي الإحسان والفضل من تمام شكر الله عزّ وجلّ ، لقول نبينا صلى الله عليه وسلم "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" ، فإنه يطيب لي أن أتقدّم بخالص شكري ووافر امتناني إلى أستاذي المشرف على هذا البحث "صالح تقايجي" فمبارح - حفظه الله - يغمرني بتواضعه ونبل أخلاقه، ومعاملته الحسنة الطيبة، فضلا عما قدّمه لي من نصائح وتوجيهات مدّة إشرافه على هذا العمل كما أتوجه بالشكر إلى كل أساتذتي الذين نقشوا أسماءهم - بفضلهم وحسن سمتهم - على صفحة عقلي وقلبي في جامعتي البويرة والبليدة 2.

والشكر موصول إلى كل من كانت له يد عون لي أثناء إنجازي لهذه الأطروحة وأخصّ بالذكر: حرمي المصون ، وأخي الحبيب "نور الدين" ، وصديقي الوفيّ "الوليد" .

فالله أسأل أن يجزي الجميع عني خيرا ما يجزي به عباده الصالحين .

أبو عبد المجيد منصور وقّاص

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى إمطة اللّثام عن اللّطائف الجماليّة والأسرار البلاغية لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار ضمن سياقات نظمية مختلفة، ولإستيفاء ذلك عمدنا إلى اختيار ديوانين شعريين من نفائس الشّعر العربيّ هما: ديوان أبي الحسن عليّ بن أبي طالب، وديوان محمد بن إدريس الشافعيّ.

كما يهدف البحث إلى جمع شتات هذا الموضوع وإفراده ببحث مستقلّ يغني عن قراءة بحوث متفرقة، لاسيما وأنّ هذا الموضوع يعدّ من المواضيع التي تتجلّى فيها المزاجية بين المنجزات التّراثية العربيّة القديمة، والمعطيات اللّسانية الحديثة، إذ إنّ أسلوب الإظهار في مقام الإضمار فيه خروج على مقتضى ظاهر الحال، وهو ما يعرف عند البلاغيين - قديما - بمخالفة الظاهر، وفي الدّرس اللّساني الحديث يعرف بالعدول أو الانزياح عن الأداء المثالي لاسلزمات تخاطبية، حيث تبيّن من خلال البحث أنّ ثمة تواشجا وتكاملا لعلوم العربية القديمة بعضها مع بعض ، كما أنّ لها تقاربا وتجاورا مع بعض ما استجدّ من علوم في الدّرس اللّغويّ الحديث كالأسلوبية والنّدائويّة ولسانيات النّص.

وكشف البحث أنّ أسلوب الإظهار في مقام الإضمار قد شكّل ظاهرة بلاغية وأسلوبية بارزة في ديوان عليّ بن أبي طالب والشافعيّ حيث أفاد من - خلال السّياقات النّظمية التي ورد فيها في قصائد الديوانين - لطائف جمالية ونكتا بلاغية، تدرك بالذوق .

Research Summary:

This research aims to uncover the aesthetic subtleties and rhetorical secrets of the style of display in the position of ambiguity within different grammatical contexts. To accomplish this, we chose two collections of poetry from the gems of Arabic poetry: the collection of Abu Al-Hasan Ali bin Abi Talib, and the collection of Muhammad bin Idris Al-Shafi'i.

The research also aims to collect the fragments of this topic and separate it into an independent study that eliminates the need to read separate research, especially since this topic is considered one of the topics in which the marriage between ancient Arab heritage achievements and modern linguistic data is evident, as the method of

display in the position of implicitness is a departure from the apparent requirement. The situation, which is what is known among rhetoricians – in the past – as contradicting what is apparent, and in the modern linguistic lesson it is known as turning away from the ideal performance of communicative obligations, as it has become clear through research that there is coexistence and integration of the ancient Arabic sciences with each other, and they also have closeness and boldness with each other. New sciences in the modern linguistic lesson, such as stylistics, pragmatics, and textual linguistics.

The research revealed that the method of display in the position of ambiguity constituted a prominent rhetorical and stylistic phenomenon in the collections of Ali bin Abi Talib and Al-Shafi'i, where it provided – through the regular contexts in which it appeared in the poems of the two collections – aesthetic charms and rhetorical jokes, perceived with taste.

فهرس المحتويات

—	كلمة شكر
—	ملخص البحث
—	فهرس الموضوعات
٠٢	مقدمة
١١	مدخل تمهيدِي
١٢	١- الاسم: تعريفه، علاماته، أنواعه
١٤	٢- الضمير
١٥	١-٢- تعريف الضمير
١٦	٢-٢- أقسام الضمير
١٦	١-٢-٢- باعتبار الدلالة
١٧	٢-٢-٢- باعتبار الوضع
١٧	٣,٢ مفسر الضمير
١٧	١,٣,٢ مفهوم مفسر الضمير
١٨	٢,٣,٢ قواعد مفسر الضمير
٢٠	١,٢,٣,٢ الأصل تقديم مفسر الضمير على الضمير
٢١	٢,٢,٣,٢ الأصل عود الضمير على أقرب مذكور
٢٣	٣,٢,٣,٢ الأصل اتحاد مفسر الضمائر إذا تعددت
٢٣	٤,٢,٣,٢ قد يكون مفسر الضمير مفهوما من مادة الفعل أو من السياق
٢٥	٣. أغراض الضمير في الكلام
٢٥	١١,٣ الإيجاز والاختصار
٢٥	٢,٣ التلخيص من التكرار الممل في بعض سياقات الكلام
٢٦	٣,٣ دفع اللبس
٢٧	٤,٣ تعظيم شأن المضمير وتفخيمه
٢٩	الفصل الأول: ماهية الإظهار في مقام الإضمار
٣٠	١. تعريف الإظهار لغة واصطلاحاً
٣١	٢. مفهوم الإظهار في مقام الإضمار
٣٢	٣. التأصيل للإظهار في مقام الإضمار ضمن بعض العلوم العربية قديماً.
٣٣	١,٣ التأصيل النحوي لظاهرة الإظهار في مقام الإضمار

٣٥	٢,٣ الجذور البلاغية للإظهار في مقام الإضمار
٣٨	١,٢,٣ الإظهار في مقام الإضمار وعلاقته بالخروج على مقتضى الظاهر
٤٠	٢,٢,٣ علاقة الإظهار في مقام الإضمار بالإطناب
٤٢	٣,٢,٣ علاقة الإظهار في مقام الإضمار بالتكرار والتأكيد
٤٤	٣,٣ التأصيل للإظهار في مقام الإضمار في علوم التفسير وعلوم القرآن.
٥٠	٤. الإظهار في مقام الإضمار في ضوء الدرس اللساني الحديث.
٥٠	١,٤ تجلياته في علم الأسلوب
٥٣	٢,٤ الإظهار في مقام الإضمار بوصفه استلزاماً حوارياً
٥٤	٣-٤ الإظهار في مقام الإضمار بوصفه أداة من أدوات الاتساق النصي
٥٧	الفصل الثاني: اللطائف الجمالية والنكت البلاغية للإظهار في مقام الإضمار.
٥٨	١. في مفهوم الجمالية البلاغية وإدراكها بالتذوق السليم.
٥٨	١,١ مفهوم الجمالية في البلاغة
٦٠	٢,١ أهمية التذوق في إدراك الجمالية.
٦٢	٢. اللطائف الجمالية لأغراض الإظهار في مقام الإضمار.
٦٤	١,٢ الإظهار باسم الإشارة في مقام الإضمار
٦٤	١,١,٢ تعظيم المشار إليه وبيان رفعته
٦٥	٢,١,٢ كمال العناية بالمسند إليه
٦٦	٣,١,٢ التنبيه على كمال فطنة المتلقي
٦٦	٤,١,٢ التنبيه على بلادة المخاطب والتعريض بغبوته
٦٨	٥,١,٢ تمييز المشار إليه وادعاء أنه ظهر ظهور المحسوس.
٦٩	٦,١,٢ التهكم والاستهزاء
٧٠	٢,٢ الإظهار في مقام الإضمار بغير اسم الإشارة.
٧٠	١,٢,٢ زيادة التمكن والتقرير
٧٢	٢,٢,٢ قصد التعظيم والتفخيم
٧٤	٣,٢,٢ قصد الإهانة والتحقير
٧٥	٤,٢,٢ الإظهار للتلذذ بالاسم المظهر
٧٧	٥,٢,٢ أمن اللبس ودفع الغموض
٨١	٦,٢,٢ إدخال الرّوع وتربية المهابة
٨٣	٧,٢,٢ الاستعطاف وطلب الرحمة

٨٥	٨,٢,٢ التنبية على علة الحكم
٨٧	٩,٢,٢ الإظهار للتمكن من إجراء الوصف
٨٩	١٠,٢,٢ الإظهار لتقوية استقلال الجملة واستقلالها عما عداها
٩٠	١١,٢,٢ الإظهار لإرادة التعميم
٩٢	١٢,٢,٢ الإظهار لقصد الخصوص
٩٣	١٣,٢,٢ الإظهار لتحمل الاسم المظهر ضميراً لا بد منه
٩٤	١٤,٢,٢ التعجب والتشنيع واستثارة الإنكار
٩٥	١٥,٢,٢ الإظهار مراعاة للمحسنات البديعية
٩٧	الفصل الثالث: جماليات الإظهار في مقام الإضمار في ديوان علي بن أبي طالب
٩٨	١. ترجمة موجزة للإمام علي رضي الله عنه
١٠٩	٢. تجليات الإظهار في مقام الإضمار في الديوان
١٤٢	الفصل الرابع: جماليات الإظهار في مقام الإضمار في ديوان الإمام الشافعي
١٤٣	١. ترجمة موجزة للإمام الشافعي رحمه الله
١٤٩	٢. الأغراض البلاغية واللطائف الجمالية لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار في الديوان.
١٧٨	خاتمة
١٨٤	قائمة المصادر والمراجع

مقدمة

مقدّمة:

الحمد لله الذي عَلَّمَ من كلّ عبدٍ إِضْمَارَهُ وتصريحه، والصَّلَاةَ والسَّلامَ على مَنْ
بعثه الله ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ
﴿التوبة: ٣٣﴾ ، أمّا بعد:

فلئن كانت اللّغة هي خزانة الفكر الإنساني؛ فإنّ اللّغة العربيّة هي السّابقة بالوُصلة،
ادّخرت من نفائس البيان ودرر الأساليب وبلاغة التراكيب ما تدرك حسنه وجماله بلطيف
ذوقك ومرهف حسّك، وقد كانت مهياة منذ القدم فأنزل الله بها كتابه العصيّ عن التّحريف
والتّصحيف، وساق بها النّبي صلى الله عليه وسلم إلينا بيانه، قال الله عزّ شأنه :

﴿وَلَوْ أَنَّهُ لَكُنْزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ

﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥.

فازدادت العربيّة بذلك سموّاً على سموٍّ إلى حدّ الكمال اللّغوي، وقد انبرى رجالاتها
قديماً وتكلّفوا أن جابوا الفيافي والقفار من أجل المحافظة عليها، فأحصوا ألفاظها ووصفوا
جملها وتراكيبها، وبيّنوا سنن العرب في كلامها، فوضعوا القواعد وأصلوا الأصول وجعلوا
مراعاة تلك الأصول مقياساً لبلاغة القول ومألوف الكلام.

وإنّ الباحث المتأمل فيما اشتملت عليه العربيّة من المرونة ومظاهر الإبداع ليجد -
أحياناً - في بليغ الكلام خروجاً وعدولاً عن مقتضى ظاهر تلك الأصول.

إنّ هذا الخروج لدافع إلى الاستغراب وداع إلى التساؤل عن كنهه وحقيقته، والاستفهام عن أسبابه وأغراض وجوده والبحث عن أسرارهِ ودقائقهِ.

ونظرا لكون الإظهار في مقام الإضمار عدولا من ألوان الخروج عن مقتضى الظاهر؛ ولم يسبق لأحد _ في حدود ما اطلعت عليه _ استكناه جمالياته في الشعر العربيّ الفصيح إلا شذرات وردت في كتاب بلاغة أو عبارات جاءت عرضا في كتاب تفسير، ولَمّا ألفيته أسلوبا يخرج تبرا ويمتّع فكرا، جاء هذا البحث الموسوم بـ: " جماليات الإظهار في مقام الإضمار في ديواني : عليّ بن أبي طالب والشّافعي - دراسة نحويّة بلاغيّة - "

وقد تضافرت عدّة أسباب لاختيار هذا الموضوع أهمها مايلي:

- رغم كل ما جاء عن "الإظهار في مقام الإضمار" في كتب النحويين والبلاغيين ومؤلفي علوم القرآن....، إلا أنّ التأليف المفرد الذي يلمّ شتات هذا الموضوع، إما نادر وإما مفقود، فقد أشار السيوطي في مقدمة كتابه "الإتقان في علوم القرآن" إلى أنّ لابن الصائغ (ت ٧٧٢هـ) تأليفا بعنوان "نشر العبير في إقامة الظاهر مقام الضمير"، ولكن لم يتيسّر لي الاطلاع عليه، فلعله ما زال حبيس خزائن المخطوطات، وأرجو ألاّ يكون في عداد المفقودات.

- الإظهار في مقام الإضمار "عدول أو خروج على مقتضى ظاهر الحال لتحقيق جماليات ونكت بلاغية عالية تتحدد حسب السياق.

مقدّمة

- "الإظهار في مقام الإضمار" من المواضيع المشتركة بين بعض علوم العربية قديماً (كالنحو والبلاغة، التفسير وعلوم القرآن...)، وحديثاً (الأسلوبية، التداولية، لسانيات النص...) (

- أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" - وكما سيأتي بيان ذلك - يُعدّ ضمن طرائق الإطناب، في حين لم يحظ هذا الأخير بالعناية التامة، بل لربّما تعدى الأمر إلى الإعراض عنه مع ما فيه من أغراضٍ بلاغية.

- لا شك أنّ البحث في مثل هذه المواضيع ومعرفتها علاوة على أنّها دُرْبَةٌ للعقل على الاستنباط والاستنتاج وإعمال للفكر والنظر؛ تعطي البحث نداوة وطراوة، وتكسبه جدّة وطرافة.

- أما عن سبب اختياري لمُدونة الدراسة التطبيقية من الشعر؛ فقد كان وراء ذلك ما وقفت عليه في (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني تحت باب : " إدراك البلاغة بالذوق وإحساس النفس "، إذ أفصح الجرجاني عن البعد الجمالي للإظهار في موضع الإضمار، خلال تعقيبه على ما أورد من شواهد شعرية فقال : " ومن الشواهد في ذلك قول دعبل:

- أضياف عمران في خصب وفي سعة وفي حباء وخير غير ممنوع

- وضياف عمرو وعمرو يسهران معا عمرو لبطنته والضياف للجوع

- وقول الآخر:

- وإن طرّة راقتك فانظر، فربّما أمر مذاق العود والعود أخضر

- وقول المتنبي:

مقدمة

- بمن نضرب الأمثال أم من نقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر
- ليس يخفى على من له ذوق أنه لو أتى موضع الظاهر كله بالضمير فقل:
(وضيف عمرو وهو يسهران معا)، و(وأمر مذاق العود وهو أخضر)، (وأهل الدهر
دونك وهو)؛ لعدم حسن ومزية لإخفاء بأمرهما، ليس لأن الشعر ينكسر؛ ولكن تتكره
النفس..."
- كما أن في الديوانين المختارين، مزايا منها فخامة الأسلوب، وعفة اللسان وتدفق
المعرفة ونبل الغاية.
- وقد كنت نظرت في هذا الموضوع قبل، وتأملت ملياً فألفيته ما يزال في حاجة
إلى إكمال بعض جوانبه.
- هذا، وإنني أثناء البحث والتتقيب لجمع المادة العلمية لهذا الموضوع، ألفت أن ثمة
بعض الدراسات التي تناولت الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم وهي:
- ١- الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير من أول سورة الفاتحة إلى
نهاية سورة آل عمران جمعا ودراسة للباحث إدريس محمد أبكر محمد، ماجستير
ماليزيا.
- ٢- العدول عن الإضمار إلى الإظهار في القرآن "سورة يوسف أنموذجا" (نوفل
صالح، مجلة ديالي ٢٠٠٩، العدد الثامن والثلاثون). وهو مقال مختصر لا يشفي غليل
الباحث عن هذا الأسلوب.

مقدّمة

٣- الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم (عبد الرزاق حسين أحمد، مجلة الوعي الاسلامي، الإصدار الثاني والثلاثون، الكويت). وهي دراسة عنيت بالتقدمة لهذا الأسلوب فقط مع ذكر أمثله من القرآن الكريم باختصار.

٤- أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم من خلال تفسير أبي السّعود العماديّ لـ: محمد محمود أحمد شلبي، وهو بحث منشور في مجلة كلية أصول الدّين والدّعوة ، في جزئها الأوّل، وفي عددها السّابع والثلاثين، تتبّع المؤلّف أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في تفسير أبي السّعود .

٥- وضع الظاهر موضع المضمّر في تفسير الجلالين: جمعا ودراسة لـ: عليّ جريد العنزي ، مجلة العلوم الشرعية العدد الخامس والأربعون ١٤٣٨ هـ؛ اعتنى الباحث بتتبع ما ذكره الجلالان أنّه من باب الإظهار في مقام الإضمار في كتاب الله وبيان من وافقهما من العلماء على ما ذهبوا إليه.

وقد قمت بالاطلاع على هذه البحوث وأفدت منها في بحثي، غير أنه جاء بكيفية تخالفها، من حيث المحتوى والدّراسة التطبيقية.

وعلى ضوء ما سبق، سأسعى من خلال هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف تجلت جماليات الإظهار في مقام الإضمار في ديواني أبي الحسن عليّ

بن أبي طالب، ومحمد بن إدريس الشافعي؟.

- ما المقصود بالإظهار في مقام الإضمار؟ وما أنواعه؟.

مقدّمة

- ما مدى ارتباط " الإظهار في مقام الإضمار " ببعض علوم العربية ، القديمة والحديثة ؟.

- ما أبرز اللّطائف الجمالية والأسرار البلاغية لهذا الأسلوب وما أهمية السّياق في تحديدها؟.

كماأبتغي من هذا البحث :

- جمع شتات هذا الموضوع وإفراده ببحث مستقل يغني عن قراءة بحوث متفرقة .
- رصد جماليات الإظهار في مقام الإضمار وملامسةلطائفه الفنية.
- ربط الدّرس العربي القديم بالدراسات اللغوية الحديثة.
- الكشفعن اللطائف الجمالية لهذا الأسلوب في الشعر العربي، وبيان أن تراثها العربي زاخر بالنصوص القيمة بالدراسة.

ولاستيفاء كلّ هذا ضمّنت البحث مقدّمة، ومدخلا تمهيديا وأربعة فصول، وخاتمة

بيّنت في المدخل بعض القضايا التي لها علاقة بالموضوع، وهي من مفاهيمه الأساسية، حيث أدرجت فيه تقسيم الاسم إلى ظاهر ومضمر، وذكرت مفهوم الضمير ومفسّره، كما بيّنت بعض القواعد التي تتعلق بمرجع الضمير.

وأما الفصول فهي على نحو ما يلي:

الفصل الأوّل: وعنوانه بـ (ماهية الإظهار في مقام الإضمار) ، افتتحته بتعريف

الإظهار لغة واصطلاحاً، ثم قدّمت مفهوم الإظهار في مقام الإضمار وأنواعه، ومن بعد

حاولت أن أقدم تأصيلاً للموضوع ضمن بعض علوم العربية قديماً وحديثاً، في القديم

أصّلت للإظهار في مقام الإضمار في النحو والبلاغة ، وبَيّنت حظوته عند المفسرين والمؤلفين في علوم القرآن.

وفي ضوء الدّرس اللّساني الحديث حاولت التجسير والمقاربة بين ما أصّلتُه للإظهار في مقام الإضمار في الدّرس العربي القديم وبَيّنت بعض ما طرح في الأسلوبية والتداولية ولسانيات النّص وأتبعته هذا بنتائج للفصل.

الفصل الثّاني : وسمته بـ(اللّطائف الجمالية والنّكت البلاغية للإظهار في مقام

الإضمار)؛ عرّفت فيه الجمالية البلاغية من حيث اللغة والاصطلاح ، ثم تطرّقت إلى دور الدّوق البلاغي السليم في إدراك الجمالية ، لأستأنس بعد ذلك ببعض ما استنبطه علماؤنا - كالزركشي - من لطائف جمالية وأسرار بلاغية للإظهار في مقام الإضمار، إذ مازجت تحت هذا العنوان بين التطبيق والتنظير، حيث خصّصت لكل غرض بلاغي شواهد من القرآن الكريم وما سنع من ديوان العرب ، وقدمت لها تحليلاً يتوافق والسّياق الذي وردت فيه ، ولأسلم من تبعة القول على الله بغير علم، ومخافة أن تزلّ بي القدم حاولت قصارى جهدي أن أحتمي بآراء المفسرين في تبين معاني الآيات الكريمة التي ورد فيها أسلوب الإظهار في مقام الإضمار لأختم الفصل بمجموعة نقاط مستفادة.

الفصل الثالث: تطبيقي وهو تحت عنوان (جماليات الإظهار في مقام الإضمار في

ديوان عليّ بن أبي طالب) أوردت في أوله ترجمة موجزة للإمام عليّ بن أبي طالب ، ثم انتقلت إلى بيان ما حقّقه الإظهار في مقام الإضمار من أسرار بلاغية ولطائف جمالية في الشواهد المستخرجة من الدّيوان المعتمد، متّبعا طريقة موحّدة حتى آخر شاهد، وختمت الفصل بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها فيه.

الفصل الرابع: وهو تطبيقي-أيضا- بعنوان (جماليات الإظهار في مقام الإضمار في ديوان الشافعي)، وكسابقه أدرجت في أوله تعريفا موجزا للإمام الشافعي وديوانه ثم عمدت إلى تحليل الشواهد المستخرجة من الديوان وفق سياقها النظمي الذي وردت فيه، كما بيّنت اللطائف الجمالية التي حققها الإظهار في مقام الإضمار في كل شاهد.

وأنهيت البحث بخاتمة قيّدت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة النظرية والتطبيقية معًا.

وللوصول إلى النتائج التي أصبو إليها من هذا البحث، اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي كونه يتلاءم وموضوع البحث، كما يتماشى وتحليل الشواهد التي طالتها يدي.

وقد رجعت أثناء إنجازي لهذا البحث إلى مصادر النحو والبلاغة ككتاب سيبويه، وشرح الكافية للرضي، والفوائد والقواعد للثمانيني، ودلائل الإعجاز للجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، وشرح القزويني وغيرها، كما رجعت إلى تفاسير القرآن وبيانه كالكشاف للزمخشري، وتفسير أبي السعود العمادي، وروح المعاني للآلوسي، والتحرير والتتوير للطاهر بن عاشور، وقد استأنست بكتب بعض المحدثين في الأسلوبية والتداولية ولسانيات النص.

ومن الصّعوبات التي واجهتني أثناء إنجاز هذا البحث، فإنّه من المسلم به أنّ العلم لا يعطيك بعضه حتّى تعطيه كلّك، ولا شك أنّ البحث في مثل هذه المواضيع يحتاج إلى صفاء ذهن وتفرّغ للكتابة، فقد يبقى الباحث الأيام والليالي ذوات العدد يتدبّر البيت والبيتين مستكنها للطيفة والدّالة، ويبقى مثلها باحثا عن كتاب أو إحالة، وأنا إذ

مقدّمة

ذاك في مهاب الرّياح الأربع ، ابتليت - ولا جزع - بابتلاءات كادت أن تعصف بي لولا أن تداركني الله برحمته، فله الحمد على فضله وإحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه.

واعترافاً منّي لأستاذي الدّكتور "صالح تقابجي" بجهده الهميم ، وفضله العميم عليّ وعلى بحثي، فإنّي أتقدّم إليه بالشّكر الجزيل، والثناء الحسن الجميل على خير ما قدّم وأسدى.

وقبل الختام أعذر عمّا في البحث من ملاحظات أو فوات ، وإنّي لا أدعي الإحاطة بل أعترف بالقصور والنسيان ولكن عذري أنّني لم أدّخر وسعاً في البحث، والله درّ من قال:

ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدُ إلا بما تجدُ

والحمد لله في البدء والختام ، والصّلاة والسّلام على صفوة الرّسل وسيّد الأنام.

مدخل

ثُمَّ بعضُ القضايا والمسائل التي لها مُسْكَة بموضوعنا، بل هي من مرتكزاته الفكرية، ارتأينا جعلها مدخلا تمهيديا للبحث؛ إذ بضبطها -مفهوما وفهما- يصطحب قارئ بحثنا هذا تصورا عاما للأوليات المهمة للموضوع، فلا يضطر معها إلى طول مراجعة، أو كد ذاكرة، وإنما يجد زبده شرحها هنا، إذا ما احتاج إلى فهمها، ولئلا تكون - من بعد إذا ما ذكرت فيما هو آتٍ من فصول البحث ومباحثه - سببا في غموض جزء من أجزائه، ولعل من أهم ذلك:

تقسيم الاسم إلى ظاهر ومضمر، والكلام على الضمير و شرح بعض قضاياها التي تخدم في البحث .

١. الاسم (تعريفه، علاماته، أنواعه): قرّر علماء العربية بعد تتبع واستقراء أنّ كلام العرب لا يخرج عن أقسام ثلاثة هي: الاسم والفعل والحرف، فالاسم عند النحويين «كل كلمة دلّت على معنى في نفسها من غير اقتران بزمان محصل»^(١)؛ أي ليس معناها في غيرها كالحرف، وليس الزمن جزءا منها كالفعل، فإن سأل سائل: بماذا يتميز الاسم؟ أو بماذا يعرف؟ فالجواب أن نقول: إن النحاة قد جعلوا للاسم علامات تميزه عن الفعل والحرف، ومن ذلك ما حدّده ابن مالك في ألفيته إذ قال:

بِالْجَرِّ وَالتَّنْوِينِ وَالنَّدَا وَ"أَل" وَمُسْنَدٍ لِلْأَسْمِ تَمْيِيْزُ حَصَلُ^(٢).
فمتى قبلت الكلمة واحدة من هذه العلامات أو أكثر التي هي: الجر والتنوين، والنداء، ودخول "أل"، كان ذلك دليلا على اسميتها، أما الإسناد إليه فهو علامة معنوية للاسم، وهي

(١) - أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المُرَبَّان السَّيرافي، شرح كتاب سبويه، تح: أحمد محسن وعلي سيد علي، ط ١. لبنان: ٢٠٠٨، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ١٥.

(٢) - أبو عبد الله جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي، ألفية ابن مالك، دط، الجزائر: ١٤٣٠، دار الإمام مالك، ص ٥٦.

تعدّ من الأهمية بمكان مثلما نَوّه ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) بذلك إذ قال: «علامة معنوية وهي الحديث عنه كـ "قام زيد" فزيد اسم لأنك حدّثت عنه بالقيام، وهذه العلامة أنفع العلامات المذكورة للاسم، وبها استدلّ على اسمية التاء في: "ضربت" ألا ترى أنّها لا تقبل "أل" ولا يلحقها التثوين، ولا غيرهما من العلامات التي تذكر للاسم سوى الحديث عنها فقط»^(١)، والحق أن هذه العلامة من ركاز* ما اكتشفه أهل النحو في تحديد علامات الاسم لأنها أوضحت اسمية الضمائر وما شابهها مما لا تدخل عليه العلامات المتقدمة.

والاسم ظاهر ومضمر، قال الرّازي (ت ٦٠٦هـ): "اعلم أنّ الألفاظ على نوعين: مظهرة ومضمرة، أمّا المظهرة فهي الألفاظ الدّالة على الماهيّات المخصوصة من حيث هي هي، كالسّود والبياض والحجر والإنسان، وأمّا المضمرات فهي الألفاظ الدّالة على شيء ما، هو المتكلّم والمخاطب والغائب من غير دلالة على ماهية ذلك المعين^٢"، قوله: (الألفاظ)؛ أي الأسماء، فالاسم إمّا ظاهر دلّ على معناه من غير حاجة إلى قرينة كسعد وسعاد، وإمّا مضمر دلّ على معناه بواسطة قرينة تكلم أو خطاب أو غيبة نحو: أنا، نحن، أنت، أنت، هو، هي.

وقد جعل الأمدي (ت ٦٣١هـ) الاسم مقسّمًا إلى ظاهر ومضمر وما بينهما إذ قال: "الاسم ينقسم إلى ظاهر ومضمر وما بينهما وذلك لأنه إما أن يقصد به البيان مع الاختصار أو لا مع الاختصار، فالأول: هو الظاهر، والثاني: إما أن يقصد معه التبيين أو

(١) - جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: إميل بديع يعقوب، ط٦.

لبنان: ٢٠١٤، دار الكتب العلمية، ص ٢٩.

* الركاز: كنز مدفون في باطن الأرض.

٢ فخر الدّين محمد بن عمر الرّازي ، مفاتيح الغيب، ج٤، ط٣، بيروت، دار الإحياء العربي، ص١٧٥

لا يقصد، فالأول هو المضمَر والثاني ما بينهما^(١)، والذي يفهم من كلام الآمدي أَنَّ الاسم الذي بين الاسم الظاهر والمضمَر اسمَ الإشارة ؛ لأنه يدل على التنبيه، والذي بينهما أيضا الأسماء الموصولة.

ومن يطالع كتب النحو والصّرف في تقسيم الاسم يجد أن النحويين قد قسموا الاسم أقسامًا عديدة باعتبارات وتحديدات مختلفة فقسم - أيضا - باعتبار التّكثير والتّعريف إلى نكرة ومعرفة والمشهور عند جمهور علماء النحو أَنَّ ما يدخل ضمن مسمى المعرفة ينحصر في ستة أقسام هي على الترتيب الآتي^(٢): الضمير، العلم، اسم الإشارة، الاسم الموصول، المعرف "بأل"، المضاف إلى معرفة.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أَنَّ البلاغيين تناولوا - أيضا - أقسام المعارف، وبيّنوا ما يستخدم له كلّ قسم وما يدلّ عليه، " وهذه المعارف يتعلّق بكلّ واحد منها معان دقيقة متعلّقة بأسرار البلاغة"^٣ وهذا بسبيل ممّا نحن فيه من دراستنا هذه.

٢. الضمير: يعدّ مبحث الضمير في اللّغة العربيّة من لطائف المعارف التي ينبغي لدارس العربيّة أن يضبطها - دراسة وفهما - لأجل ما تميّز به الضمير من دقة في أصوله ومسائله، وقد استحوذت دراسة الضّمائر العربيّة على مساحة كبيرة ونصيب وافر من المباحث النّحويّة، واستقطبت اهتمام النّحويين القدماء، فلا يكاد يخلو كتاب من كتبهم ولا مصنّف من مصنفاتهم من الحديث عنه، والتّحدّث عن أحكامه

١ - أبو الحسن علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ط١. الرياض: ١٤٢٤هـ، دار الصمعي للنشر والتوزيع، ج١، ص ٤٤.

٢ - ينظر: ابن مالك، ألفية ابن مالك، باب النكرة والمعرفة. وهناك من يضيف المنادى المقصود تعيينه بالنداء.

٣ يحيى بن حمزة بن عليّ العلويّ، الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، لبنان، المكتبة العسكريّة ١٤٢٣هـ، ج٢، ص ١٢.

ومواضعه، والكلام حوله وحول تفسيره ومفسره^١، وكما استقطب الضمير اهتمام النحاة كذلك كان الأمر عند البلاغيين والمفسرين والكاتين في علوم القرآن، إذ عقدوا له مباحث وفصولاً في مصنفاتهم - يدرك المطلع عليها - أنه المعول عليه في فهم وتفسير كثير من الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وكلام الفصحاء وأساطين البيان.

١،٢ تعريف الضمير:

أ- لغة: الضمير في اللغة مأخوذ من مادة **ضم**، وهي تدور حول ثلاثة معان رئيسة هي: الخفاء، والضعف والهزال.

يقول صاحب اللسان: "الضمير هو السرّ وداخل الخاطر... والضمير الشيء الذي تضره في قلبك، وأضمرت الشيء أخفيته، والضمير: العنب الذابل، والضمير والضمير: الهزال ولحاق البطن، وتضمّر وجهه: انضمت جلده من الهزال".^٢

ومن ذلك قول الشاعر:

ستبقى لها في مضمير القلب والحشا سريرة ودّ يوم تبلى السرائر^٣

ب- اصطلاحاً:

الضمير في الاصطلاح بمعنى المضمير على حد قولهم (عقد العسل فهو عقيد)، أي معقود، وهو اصطلاح بصري، والكوفيون يسمونه كناية ومكنى؛ لأنه ليس باسم صريح^٤

^١ ينظر: سعود بن عبيد الله، الضمير المستتر في الدرس النحوي، ٢٠٠٩م، جامعة أم القرى، المملكة السعودية، ص ٤.

^٢ محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط ١، بيروت، لبنان، دار صادر، مادة ضمير.

^٣ الأحوص الأنصاري، ديوان الأحوص، تح: عادل سليمان، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ١٠٠.

^٤ ينظر: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: غازي مختار، ط ١، دمشق، دار الفكر ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٣٣.

يقول ابن هشام: "والمضمر والضمير اسمان لما وُضع لمتكلم كأنا، أو لمخاطب كأنت، أو لغائب ك (هو)، أو لمخاطب تارة ولغائب تارة أخرى، وهو الألف والواو والنون ك: قوما، قوموا، قاموا، وقمن"^١.

ويقول ابن مالك في الخلاصة:

فما لذي غيبة أو حضور كهو وأنت سم بالضمير^٢.

والجدير بالذكر أنّ هناك ارتباطاً وتوافقاً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للضمير، قال عمر بن ثابت الثماني: " فإن قيل: فما وجه المناسبة بين تسمية الضمير بالضمير والمعنى اللغوي؟، قيل: إنّما سمّي مضمراً من قولهم أضمرت الشيء إذ سترته وأخفيتّه، ومن قولهم أضمرت الشيء في نفسي، أو من الضمور وهو الهزال؛ لأنّه في الغالب قليل الحروف، ثم إنّ تلك الحروف الموضوعة له غالبها مهموسة، وهي التاء والكاف والهاء، والهمس هو الصوت الخفي"^٣، وبهذا القول يتقرّر أنّ الأصل في وضع الضمير هو الإيجاز والاختصار لقلّة حروفه كما سيأتي بيان ذلك فيما هو آت من مادّة هذا المدخل التمهيدي.

٢، ٢. أقسام الضمير: تناولت كتب النحو العربي الضمائر تحت مسميات منها

الضمير والمضمر والإضمار؛ وقد قسّم النحاة الضمائر باعتبارين اثنين إلى ما يلي:

١، ٢، ٢. باعتبار مدلولها: فهي تدلّ على التكلّم نحو (أنا نحن)، أو الخطاب نحو

(أنت، أنت، أنتما، أنتم، أنتن)، أو الغيبة نحو (هو، هي، هم، هن).

^١ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٨٣

^٢ محمد بن عبد الله بن مالك، ألفية ابن مالك، مكتبة الإمام مالك، ١٤٤٣هـ، ص ١٣.

^٣ عمر بن ثابت الثماني، الفوائد والقواعد، تح: هبّد الوهاب محمود، ط ١، لبنان، مؤسسة الرسالة، ص ٣٩٨.

^٤ ينظر: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط ٣، القاهرة ١٤٠٨هـ، ج ١، ص ٢١٧، و ص ٣٩٩.

٢,٢,٢. باعتبار الوضع: تنقسم من حيث ظهورها في الكلام وعدم ظهورها إلى ضمير بارز وضمير مستتر، فالبارز ما له صورة في اللفظ، والمستتر ما ليس له صورة في اللفظ، وإنما يقدر في الكلام تقديرا.

هذا وقد قسم النحاة الضمائر البارزة من حيث صورتها اللفظية إلى متصلة ومنفصلة، كما قسموها أيضا من حيث الإعراب إلى ضمائر رفع ونصب وجز، وجعلوا الضمير المستتر على قسمين: ضمير مستتر وجوبا، وضمير مستتر جوازا.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن هناك من الباحثين من يرى أن هذه التقسيمات قابلة للمراجعة والاختزال^١ مستندين في ذلك على أدلة وأراء ليس هذا موضع بسطها.

٣,٢ مفسر الضمير:

مر بنا أن النحاة قسموا الضمير من حيث الدلالة إلى: ضمير متكلم وضمير مخاطب، وهذان النوعان لا يحتاجان إلى مفسر لهما اكتفاء بدلالة الحضور، وأمّا القسم الثالث بهذا الاعتبار، فهو ضمير الغائب، وهذا القسم يحتاج إلى مرجع يعود إليه أو عليه، يسمّى هذا المرجع مفسر الضمير.

١,٣,٢ مفهوم مفسر الضمير:

المفسر اسم فاعل من (فسر)، ومادة (فسر) في اللغة العربية يناط بها البيان والإيضاح وما يدور حول هذا المعنى، جاء في مقاييس اللغة لابن فارس قوله: " (فسر) الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلّ على بيان الشيء وإيضاحه"^٢، ووفق هذا المعنى يقول الزبيدي: " الفسر: الإبانة، وكشف المغطى، أو كشف المعنى كما في البصائر، يقال: فسر

^١ ينظر: محمد الغربي، اللسانيات العربية و الإضمار-دراسة تركيبية، ط١، الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ص ١٥-١٨.

^٢ أبو الحسن أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج٤، مادة { فسر } ص ٥٠٤.

الشَّيْءُ يَفْسِرُهُ، وَيُفْسَرُهُ، وَفَسَّرَهُ : أَبَانَهُ، وَكُلَّ شَيْءٍ يَعْرِفُ بِهِ تَفْسِيرَ الشَّيْءِ وَمَعْنَاهُ فَهُوَ تَفْسِيرَتُهُ"^١.

وفي تسمية مرجع الضمير وما يعود عليه بالمفسر شعور بما يكتنف ضمير الغائب من خفاء وإبهام وبمدى حاجته إلى ما يزيل عنه خفاءه، ويكشف إبهامه^٢؛ لفقده قرينة الحضور والمشاهدة، وقد أفصح عن هذا المعنى ابن مالك رحمة الله عليه إذ قال: "لَمَّا كَانَ ضَمِيرُ الْحَاضِرِ مَفْسَرًا بِمُشَاهَدَةِ تَقَارُنِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَضَمِيرِ الْغَائِبِ مُشَاهَدَةٌ تَقَارُنُهُ، جَعَلُوا تَقْدِيمَ مَفْسَرِهِ خَلْفًا عَمَّا فَاتَهُ مِنْ قَرِينَةِ الْمُشَاهَدَةِ، وَمَقْتَضَى هَذَا الْقَصْدُ تَقْدِيمَ الشُّعُورِ بِذَاتِ يَصْلَحُ أَنْ يَعْبَرَ عَنْهَا بِضَمِيرِ حَاضِرٍ، وَلَمَّا كَانَ ضَمِيرُ الْغَائِبِ لَا يَدُلُّ عَلَى صَاحِبِهِ بِحُضُورٍ وَمُشَاهَدَةٍ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احتاج هذا الضمير إلى عائد يعود عليه، يسمّى هذا العائد مرجعاً أو مفسراً للضمير"^٣، وللضمير مع مفسره قواعدٌ وأحوالٌ نورد بعضها منها بحسب ما يخدم البحث ويقتضيه فهم الموضوع.

٢، ٣، ٢ قواعد في مفسر الضمير:

الضمير في اللغة العربيّة ضرب من المعارف؛ لأنّك لا تضمّر حتى يُعْلَمَ على من يعود الضمير، وما يعود إليه، قال سيّويه: "وإنّما صار الإضمار معرفة؛ لأنّك إنّما تضمّر اسماً بعدما تعلم أنّ من تحدّث قد عرف من تعني وما تعني، وأنّك تريد شيئاً يعلمه"^٤.

^١ محمّد مرتضى الحسني الزبيدي، تاج العروس، تح: عبد الستار أحمد، الكويت، دار التراث العربي، ١٩٦٥م، مادّة فسر،

^٢ ينظر: ركة بنت فارغ اللحاني، أحوال الضمير مع مفسره، ماجيستير، ٢٠٠٢، إشراف عبد الرحمان إسماعيل، جامعة أم القرى، ص ٧.

^٣ جمال الدين بن مالك، شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ج ١، تح: عبد الرحمان السيّد ومحمّد بدوي، ط ١، مصر، دار هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٠م، ص ١٧٤.

^٤ سيّويه، الكتاب، ج ٢، ص ٦.

وكما مرّ فإنّ ضميري المتكلم والمخاطب لا يحتاجان إلى مفسّر اكتفاء بقرينة الحضور والمشاهدة، وأمّا ضمير الغائب فمفتقر إلى تلك القرينة، وهو بهذا "متشعب المسالك، وصعب المدارك، وسبر غوره ليس بالأمر الهين، فأيّ توجيه لضمير الغيبة يفضي إلى تغيير في المعنى حسب هذا التوجيه"^١، ولهذا كان مفسّر ضمير الغائب محلّ عناية من الفكر النحوي العربيّ، إذ عمد علماءنا إلى ذكر القواعد التي تتعلّق بمفسّر الضمير، وهي مبنوثة في كتب النحاة، وكتب إعراب القرآن والتفسير، وعلوم القرآن، كأماشي ابن الشجريّ مثلاً، ومن ذلك ما ذكره الزركشيّ في كتابه البرهان في علوم القرآن حيث قال: "وقد صنّف ابن الأنباريّ في بيان الضمائر الواقعة في القرآن مجلدين"^٢، وحذا السيوطيّ حذوه في كتابه الإتيان في علوم القرآن، ومن التفاسير نذكر - مثلاً -: كتاب حدائق الرّوح والريحان في روابي علوم القرآن للهروي.

والغرض من دراسة وفهم مفسّر الضمير هو كونه من أهمّ قواعد التفسير وإدراك المعنى التي لا يستغنى عنها: "والحاجة إلى معرفتها ملحة، خاصّة إذا تعلّق ذلك بالقرآن الكريم، فقد يتوقّف المعنى على معرفة مرجع الضمير، إذ فهم المعنى وبيان المراد في الكلام متوقف في كثير من الأحيان على تحديد اللفظ الذي يعود عليه الضمير والاختلاف في تحديده يؤدّي إلى اختلاف المعنى"^٣، ووفق هذا المنظور يقول الزمخشريّ: "وتتأفر الضمائر يؤدّي إلى تنافر النظم الذي هو أمّ إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التّحدّي، ومراعاته

^١ عثمان بن حليمة، عود الضمير وأثره في التفسير، مجلة الباحث، العدد ١٤، ٢٠١٦، ص ٢٥٦.

^٢ الزركشيّ أبو عبد الله بدر الدّين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج ٤، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ١٩٣٧م، ص ٢٤.

^٣ سالم شرابي، قواعد في مرجع الضمير ودلالة السياق عليه، مجلة دراسات لسانیة، المجلد ٢، العدد ٩، جوان ٢٠١٨، ص ٣١٨.

أهم ما يجب على المفسر^١، وفيما يلي ذكر لبعض القواعد المتعلقة بمفسر الضمير بحسب ما يجلي موضوع بحثنا ويوضحه دون توسع في عرض كثير من الآراء وأقوال العلماء:

١، ٢، ٣، ٢ الأصل تقديم مفسر الضمير على الضمير:

هذا هو الأصل الأول في مفسر الضمير الغائب والأكثر وقوعاً واستعمالاً في كتاب الله وفي منشور العرب وشعرها، ولقد أفصح الثمانيني عن هذا الأصل أثناء حديثه عن المضمرات ومواقعها في الكلام بقوله: " أكثرها يرجع إلى اسم تقدم ذكره، نحو: زيد لقيته، وعمرو مررت به"^٢، وتأمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجَجٌ أُخْرِجَ شَطَطُهُ فَكَازَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَصِيْطَ بِهِمْ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٥٩ ﴾ [الفتح: ٢٩] ، يتبين لك جلياً أنّ في الآية الكريمة ما يعادل خمسة عشر ضميراً للغائب تقدم مفسرها.

ولنا أن نشير في هذا الموضع إلى أنّ تقدم مفسر الضمير له أحوال منها^٣:

- أن يعود الضمير على مفسر متقدم في اللفظ والرتبة وهو الشائع والأكثر وقوعاً في الكلام كما سبق أن بينا آنفاً

- أن يعود على مفسر متقدم في اللفظ متأخر في الرتبة نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَبْنَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ [البقرة: ١٢٤] ، فالهاء في كلمة ربّه ضمير غائب يعود على مفسر متقدم في اللفظ متأخر في الرتبة؛ لأنّ كلمة إبراهيم في الآية الكريمة مفعول به، والمفعول يكون بعد الفاعل في الرتبة، وبذلك فهو متقدم لفظاً متأخر رتبة.

^١ الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق التأويل وغوامض التنزيل، ج ٣، ط ٣، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م، ص ٦٢.

^٢ الثمانيني، الفوائد والقواعد، ص ٣٩٥.

^٣ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٤، ص ٣٠.

- أن يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة: ذكر النحويون أنّ ضمير الغائب يعود على ما بعده في تراكيب نحوية محدودة ومقيّدة، ومن أشهرها:

- ضميرا الشأن والقصة: وهذا في نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ، وفي قوله أيضا: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ﴾ [الحج: ٤٦] .

- الضمير المخبر عنه فيفسره خبره: قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧] .

- الضمير المرفوع بنعم وبئس: قال تعالى: ﴿يَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] ، ونعرض عن ذكر البقية توخيّا للإيجاز .

٢,٢,٣,٢ الأصل عود الضمير على أقرب مذكور: قد يتقدّم الضمير شيئان أو أكثر ممّا يمكن أن يُجعل الواحد منها مفسّرا ، فالأصل ههنا أن يعود الضمير على أقرب مذكور، قال الرضي: " واعلم أنّه إذا تقدّم ممّا يصلح للتفسير شيئا فصاعدا، فالمفسّر هو الأقرب لا غير، نحو: جاءني زيد وبكر فضربته؛ أي ضربت بكرا"¹ ، ذلك أنّ ضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل؛ ومن الأدلّة في إمكان عود ضمير الغائب على مفسّر أبعد:

أ- إذا كان في الكلام مضاف ومضاف إليه: بيّن السيوطي - رحمة الله عليه - هذا الأصل بجلاء، إذ قال: "الأصل عوده على أقرب مذكور إلا إذا كان مضافا ومضافا إليه، فالأصل عوده للمضاف؛ لأنّه المحدّث عنه نحو: لقيت غلام زيد فأكرّمته، فالضمير

¹ رضي الدّين الأسترابادي، شرح الكافية، ج ٢، ط، لبنان، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥م، ص ٩

للغلام^١، ومما يعضد هذا الأصل في كتاب الله تعالى قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فالهاء في (تحصوها) عائدة على المفسر (نعمة) وهي مضاف وهو الأبعد.

ب- عود الضمير على غير الأقرب بقرينة: مما يستثنى - أيضا - من أصل عود الضمير على أقرب مذكور وجود قرينة في الكلام يجعل المفسر معها للأبعد، وفي هذا يقول ابن مالك: "ولا يجعل لغيره إلا بدليل من خارج؛ لأنه لما كان عوده على الأقرب هو الأصل كان رجوعه لغيره خلاف الأصل فاحتاج إلى قرينة تعينه وتدلّ عليه"^٢ إذ يعول عليها في فهم الكلام، بل لربما كانت لها الأفضلية، والشأن العظيم في تحديد المعنى، ومن القرائن التي تجعل الضمير يعود على مفسر أبعد نذكر:

-عدم صلاحية الضمير للأقرب: إذا يعود الضمير على أقرب مذكور يفسد المعنى ويختل نظم الكلام، ولنقرأ قول الله تعالى: ﴿حَقَّقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝﴾ [لقمان: ١٠]، فالهاء من قوله سبحانه: (فأنبتنا فيها) ضمير غائب عائد على مفسر أبعد وهو (الأرض)، ولا يستقيم المعنى إذا ما جعل مفسره للأقرب وهو كلمة (السما) لأنّ الإنبات يكون في الأرض لا في السماء.

-أن يكون الأبعد هو المحدث عنه: يقول الله سبحانه وتعالى مبيناً نصره وتأييده لرسوله صلوات ربّي وسلامه عليه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝﴾ [التوبة: ٣٣]، فالهاء من قوله تعالى (ليظهره) "عائد

^١ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح: مصطفى شيخ، ط١، لبنان، مؤسسة الرسالة، ج١، ص ١٨٩.

^٢ أبو عبد الله محمد بن مالك، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ج١، ص ١٧٤.

على الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه المحدث عنه، والذين هنا جنس؛ أي ليعليه على أهل الأديان كلهم^١، وهذا المعنى لا يتأتى إذا ما جعل الضمير للأقرب وهو (دين الحق).

٣، ٢، ٣، ٢ الأصل اتحاد مفسر الضمائر إذا تعددت: من المعلوم أن اللغة العربية تميل إلى الخفة وأمن اللبس، ودفع الثقل، ولما كان الأمر كذلك، فإنه إذا وجدت عدة ضمائر وعدة مراجع يصلح بعضها أن يعود على بعض آخر، كان الأفضل أن تعود على مرجع واحد؛ لأن توافق الضمائر أولى من اختلافها، وهذا أليق بنظم القرآن وإعجازه^٢ فلا تصرف الضمائر عن هذا الأصل إلا بدليل، وحينما ننعم النظر في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۚ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۚ﴾ [النجم: ٥-٩]، "فضمائر الرفع في الآيات الكريمات تعود على (شديد القوى) وهو جبريل^٣ عليه السلام.

٤، ٢، ٣، ٢ قد يكون مفسر الضمير مفهوما من مادة الفعل أو من السياق: من المقرر عند النحويين أن الفعل يدل على المصدر لاشتراكهما في مادة الاشتقاق والدلالة، وقد أبان ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) عن هذا بقوله: "الفعل دال على مصدره إذا كان من لفظه ومشتقا منه فصار تقدمه كنتقدم المصدر، فكما يكتفى عن المصدر إذا تقدم، فكذلك يكتفى عنه إذا تقدم الفعل، وذلك كقولهم: من كذب كان شرا له؛ أي كان الكذب شرا له"^٤

ومن أجل الشواهد على هذا الأصل من كتاب الله تعالى قوله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [المائدة: ٨] ، فالضمير (هو) في قوله: ((هو أقرب للتقوى)) ضمير غائب عائد

^١ أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، ج ٥، ط، بيروت، لبنان، دار الفكر، ١٩٩٢م، ص ٤٠٦.

^٢ جلال الدين السيوطي، الإتقان، ج ١، ص ١٨٧.

^٣ محمد بن صالح، أصول في التفسير، ط ١، المملكة العربية ، مؤسسة محمد بن صالح، ١٤٣٤هـ، ص ٣٧٢.

^٤ يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، شرح المفصل، ط ١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ، ص ٣٠٦.

على مفسر وهو المصدر المفهوم من مادة الفعل (اعدلوا)؛ "أي عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه ودلّ الفعل على المصدر الذي عاد الضمير عليه كما في نظائره من القرآن وغيره كما في قوله: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٨] ^١، وكما في قوله عزّ من قائل: ﴿إِنْ تَبُدُّوا أَلَصَدَقْتِ فَعِمْمَا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤَثِّمُوا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] ، فمفسر الضمير (هو) من قوله تعالى (هو أزكى لكم) مفهوم من مادة الفعل (ارجعوا)؛ أي رجوعكم أزكى لكم، وكذلك الشأن مع الضمير من قوله سبحانه (فهو خير لكم)؛ أي إخفاؤها هو خير لكم.

هذا، وإنّ للسّياق أثرا كبيرا في تحديد مفسر الضمير وفهمه " وهكذا هو شأن السّياق في فهم جميع النصوص ولا سيما النّص القرآنيّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" ^٢، ومما له تعلق بالسّياق قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا بُؤْسَ لِكُلِّ وَحِيدٍ مِّنْهُمَا أَلْسُدُسٌ مِّمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١١] ، فضمير الغائب (هو) يعود على الميّت المفهوم من سياق الآية الكريمة.

والحقّ أنّه لو أردنا الاستقصاء والبسط في هذا، لطال بنا الحديث، ولنأبى البحث بمادة ليست من صميمه إنّما حسبنا ما يخدم البحث ويوضّحه.

٣. أغراض الضمير في الكلام:

مما له علاقة وطيدة بموضوع بحثنا معرفة أغراض الضمير ووظائفه في اللغة العربيّة، وفهم أسرار استعمالاته في الكلام، ولعلّ من أهمّ تلك الأغراض:

١،٣ الإيجاز والاختصار: عرفنا ممّا سبق أنّ الضمير أقلّ حروفا من الاسم الظاهر، وبهذا كان أصل وضع الضمائر هو الاختصار، إذ إنّها تمثل مظهرا من مظاهر الإيجاز والاقتصاد اللغويّ،

^١ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١، الرياض، دار السلام ١٤١٨هـ، ج٢، ص٤٣.

^٢ دريد حسن أحمد صالح، عود الضمير في القرآن، مجلة مداد الآداب ، ٢٤، ص٢٠٠.

ولعلّ هذا الغرض يتلخّص في قول الثمانيني: "فإن قيل: فلم وقع الضمير في الكلام، وما الحاجة التي دفعت إليه؟ قيل له: طلبوا الإيجاز والاختصار، وذلك أنّ الاسم الظاهر تكثر حروفه، ويلزمه الإعراب والمضمر مبني لا يدخله الإعراب، وهو أقلّ حروفاً من الظاهر، فلأجل هذا الاختصار والإيجاز وقع في الكلام" ^١ ومن أحسن ما يضرب مثالا في هذا المقام قوله عزّ شأنه: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ وَالصَّاتِمَاتِ وَالْخَافِظِينَ وَالْخَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ، فقد ناب الضمير (هم) في قوله تعالى: ((أعدّ الله لهم)) عن أكثر من عشرين كلمة ذكرت من قبل في الآية نفسها؛ فتأمل.

٢,٣ التلخيص من التكرار المملّ في بعض سياقات الكلام: لو أظهر كل اسم مكان الضمير العائد عليه لكان الكلام ركيكا تمجّه الأذان، وفي التنزيل آية اشتملت على ما يربو عن عشرين ضميرا كلها تعود إلى مرجع واحد، يقول تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] ، فالضمائر (هنّ) في هذه الآية كلّها عائدة على لفظة (المؤمنات) حتى قيل: إنّهُ ليس في كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها، ومع ذلك كان نظمها بديعا تستحسنه

^١ عمر بن ثابت الثمانيني، الفوائد والقواعد، ص ٣٩٦.

الآذان، تستلذّ بسماعه ولو أتى بها مظهرة لكان بها ركافة ولبس على السامع^١؛ لكثرة تكرار لفظ المؤمنين.

وقد عبّر ابن جنّي - رحمه الله - عن وظيفة الضمير في طلب الخفة في الكلام واجتناب ما يُملّ من التكرار بقوله: "وأما طلب الاستخفاف فلأنك إذا قلت: (العبيثران شممته)، فجعلت موضع التسعة واحدا كان أمثل من أن تعيد التسعة كلّها فتقول: (العبيثران شملت العبيثران)، وينضاف إلى الطول قبج التكرار المملول"^٢، ويتّضح من هذا القول أنّ من أغراض الضمير عند ابن جنّي طلب الخفة والتخلّص من التكرار في سياق كلام يكون معه التكرار مملاً، وفي هذا تمييز بين درجات الكلام في السياقات المتباينة.

٣, ٣ دفع اللبس:

يستعمل الضمير في بعض الأحيان لدفع اللبس ورفع، و"أمن اللبس من الأغراض المهمة التي راعتها العرب في كلامها، إذ الغرض الأول من التعبير هو الإفهام، واللبس عكس الإفهام إذ هو يؤدّي إلى الإبهام وعدم الفهم؛ لذلك كان إزالة ما يؤدّي اللبس من أولى أغراض المتكلم كقولك: خرجت هي نفسها الضمير المنفصل (هي) لتوكيد الضمير المستتر في (خرجت)، ولا بدّ من ذكر الضمير المنفصل ولولاه لالتبس المعنى، فإنك لو قلت (خرجت نفسها)، لكان المعنى ماتت فذكر الضمير أزال اللبس"^٣، وهذا ما أشار إليه الثمانيّ بقوله: "إنّما وقع المضمّر في الكلام لرفع اللبس؛ لأنك إذا قلت: جاءني زيد، فأكرمت زيدا، لم يكن للسامعين أن يقطعوا على أنّ المكرّم هو الجائي، بل جوزوا أن يكون غيره، فإذا قال: جاءني

^١ السيوطي، الإتيان، ص ٣٩٩.

^٢ أبو الفتح عثمان ابن جنّي، الخصائص، ج ٢، تح: محمد النّجار، بيروت، عالم الكتب، ص ١٩٣.

^٣ فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ط ١، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، ٢٠٠م، ص ٦٩.

زيد فأكرمته، عُلِمَ بالضَّمير على أَنَّ المكرَم هو الجائي، فصار الضمير يرفع اللبس^١ وبهذا يتضح أَنَّ الضَّمير في تحديده وارتباطه بمفسره يزيل - في بعض الأحيان - اللبس ويدفعه.

٤,٣ تفخيم شأن المضمّر وتعظيمه:

يؤتى بالضَّمير - أحيانا - لتفخيم مفسره وتعظيمه، حتى يُعمل الفكر في اكتشافه، ومن الضّمائر التي تحقّق مثل هذا الغرض ضميرا الشأن والقصة، وقد بلور هذا المعنى فضل حسن عباس حين قال: "كان العرب الفصحاء - ومن يحاكيهم اليوم - إذا أرادوا أن يذكروا جملة اسميّة أو فعليّة تشتمل على معنى هامّ أو غرض فخم يستحقّ توجيه الأسماع والنفوس إليه لم يذكروها مباشرة خالية ممّا يدلّ على تلك الأهميّة والمكانة، إنّما يقدّمون لها بضمير يسبقها، ليكون الضَّمير - بما فيه من إبهام وتركيز ولا سيما إذا لم يسبقه مرجعه - مثيرا للشوق والتّطلع إلى ما يزيل إبهامه، فتجيء الجملة بعده والنفس متشوّقة لها مقبلة عليها في حرص ورغبة"^٢، وممّا ورد في التّزيل تحقيقا لهذا الغرض قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، ذكر أهل التّفسير أَنَّ الهاء في (أنزلناه) تعود على مفسّر مفهوم من السّياق، وهو القرآن الكريم، وإنّما أضمر تفخيما وتعظيما له.

هذا؛ وإنّ الضّمائر من أهمّ وسائل الاتّساق الإحاليّة من خلال مساهمتها الفعالة في اتّساق النّصوص وترابطها كونها^٣ تربط بين أجزاء النّص المختلفة شكلا ودلالة، داخليا و خارجيا، وسابقة ولاحقة^٣

وبعدُ ؛ فإنّه من هذا المدخل الذي ندلف به إلى موضوع البحث يتلخّص لدينا :

^١ الثمانينيّ، الفوائد والقواعد، ص ٣٩٦، ٣٩٧.

^٢ عبّاس حسن ، النّحو الوافي، ط٥، بيروت ، دار المعارف ١٩٧٥، ج ١، ص ٢٥٠.

^٣ صبحي إبراهيم الفقيّ، علم اللّغة النّصي بين النّظريّة والتّطبيق، ج ١، ص ١٣٧.

- أن الأصل في مألوف الكلام أنه إذا سبق الضمير مفسر يزيل إبهامه ويكشف غموضه فإنّ المقام إذ ذاك للضمير توخيا للإيجاز والاختصار ولأغراض سبق بيائها.

بيد أن من ألوان التصرف البلاغيّ العدول عن هذا الأصل والخروج عنه؛ إذ يوضع الاسم المظهر موضع الضمير تحقيقا لمقاصد جمالية وأغراض بلاغية .

الفصل الأول:

ماهية الإظهار في مقام
الإضمار

أسعى في هذا الفصل إلى التّأصيل الموضوعي لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار حيث سأذكر أهمّ ما يتعلّق بهذا الأسلوب بدءاً بمفهومه، ثمّ أنواعه، ومن بعد سأحاول استجلاء مكانته ضمن بعض علوم العربية قديمها وحديثها.

١- تعريف الإظهار لغة واصطلاحاً:

أ- الإظهار لغة:

تدور مادّة (ظهر) في اللغة حول البيان والبروز، وما قابل الإخفاء والإضمار، جاء في مقاييس اللّغة لابن فارس قوله: "الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد، يدلّ على قوّة وبروز، من ذلك: ظهر الشّيء يظهر ظهوراً، فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز"^١، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٢٠] ومن ذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النّهار وأضوؤها"^٢.

وقال ابن منظور: "يطلق الظّاهر على خلاف الباطن"^٣، ومنه قوله عزّ شأنه: ﴿وَدَرُّوا ظُهُورَ الْآيَةِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

ب- الإظهار اصطلاحاً:

الإظهار في الاصطلاح له تعريفات عدّة حسب الفنّ أو العلم الذي يستخدم فيه، فهو مثلاً:

في علم التّجويد: "إخراج كلّ حرف من مخرجه من غير غنة ولا تشديد في الحرف المظهر"^٤.

^١ أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، ج ٣، مادّة ظهر، ص ٤٧١.

^٢ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

^٣ ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، مادّة ظهر، ص ٢١٧.

^٤ مهدي الحارزي، بغية المريد من أحكام التّجويد، ط ١، دار البشائر، ٢٠٠١م، ص ١٣٢.

وفي علم الصّرف: خلاف الإدغام؛ أيّ فكّه وتركه ويسمّى البيان أيضا^١.

وفي علم البلاغة: نجد بعض أعلامها يستعملون مصطلح الإظهار بما يقابل مصطلح الحذف، ومن ذلك ما قاله عبد القاهر الجرجاني في باب الحذف: "وقد يتفق في بعضه أن يكون إظهار المفعول هو الأحسن"^٢، بيد أنّ المراد بالإظهار في بحثي هذا هو الإتيان بالاسم الصّريح، أو الاسم المظهر، والإظهار ههنا يقابل الإضمار إذ يعني هذا الأخير الإتيان بالضّمير، أو استعمال المضمر، وقد أوردت بعض قضايا الضمير في المدخل التمهيدى.

٢- مفهوم الإظهار في مقام الإضمار:

أسلفت - ذكرنا وبياننا - في المدخل التمهيدى أنّ المؤلف بل الأصل في الكلام أن يؤتى بالضمير في موضعه لما له من أغراض ووظائف لأجلها كثر استعماله في الكلام، ومن أبرز تلك الأغراض: الإيجاز والاختصار، قال الزركشي في البرهان: "واعلم أنّ الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدث عنه كذلك، والأصل أنّه إذا ذكر ثانيا أن يُذكر مضمرا للاستغناء عنه بالظاهر السابق"^٣، وقد يعدل عن هذا الأصل فيذكر الاسم الظاهر محلّ الضمير لمناسبة بلاغية ولطيفة جمالية لا تتأتى لو استعمل الضمير في ذلك المقام، فيعبّر عن هذا بالإظهار في مقام الإضمار^٤، إذ يوضع الاسم الظاهر محلّ الضمير، وإنّ المنقّب في هذا المصطلح ليجد أنّه أسلوب بلاغيّ أشار إليه عدد من العلماء

^١ ينظر: التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ج ١، ص ٢٢٥.

^٢ أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد محمود شاكر، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١١١.

^٣ الزركشي، البرهان، ج ٢، ص ٤٨٤.

^٤ ينظر: علي جريد العنزي، مجلة العلوم الشرعيّة، جامعة الحدود الشماليّة، ع ٤٥، شوال، ١٤٣٨ هـ، ص ٢٥٠.

قديمًا وحديثًا، بيد أن القدماء لم يعرفوه تعريفًا مباشرًا، بل عبّروا عنه بمصطلحات تصبّ في قالب واحد كوضع المظهر موضع الضمير، والإظهار في موضع الإضمار، والإظهار مقام الإضمار، كما أشار بعض العلماء إلى الأغراض التي يحققها الإظهار في مقام الإضمار، وسيأتي بعد - الحديث عن أهم أولئك الذين تعرّضوا لهذا الأسلوب، وإذا رجعنا إلى المحدثين، فهناك من عزّفه بقوله: " هو التصريح باللفظ وإبرازه في الموضع الذي يغني عنه الضمير"^١، بيد أن هذا التعريف فيه نقص إذ لو زيد عليه (لفائدة جمالية ونكتة بلاغية جريا على خلاف مقتضى ظاهر الحال) لكان بذلك تعريفًا أجمع أمنع.

٣. التّأصيل للإظهار في مقام الإضمار ضمن بعض العلوم العربيّة قديمًا:

لا ريب أن التّفاعل بين علوم اللّغة العربيّة واقع، وهو قديم نبتت جذوره منذ بدايات التقعيد والتّأليف في هذه اللّغة الشريفة، ولا يزال ذلك ممتدًا إلى يوم النّاس هذا، ومن هذه العلوم - مثلاً - علما النّحو والبلاغة إذ هما صنوان يكمل أحدهما الآخر، حيث إنّ الصّلة بين الدّرس البلاغيّ والدّرس النّحو متينة جدا، والأمر كمال قال تمام حسان: " علم المعاني قمة الدّراسات النّحويّة وفلسفتها"^٢، ولعلّ خير ما يعضّد هذا القول تلك المباحث المشتركة بين العلمين كالتنكير والتّعريف، والتّقديم والتّأخير، والوصل والفصل...

وبسبيل من ذلك الإظهار في مقام الإضمار الذي جاء الحديث عنه متفرّقا هنا وهناك في كتب النّحويين والبلاغيين، والمفسّرين، والمؤلّفين في علوم القرآن، وفي هذا يقول يحيى بن حمزة العلويّ (ت ٧٠٥هـ) مبينًا ارتباط أسلوب الإظهار في مقام الإضمار بعلمي النّحو والبلاغة: " واعلم أنّ هذا وإن كان معدودا من علم الإعراب، لكن له تعلّق بعلم

^١ خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير، ط١، دار ابن عقّان، مصر ج ١، ١٤٢١، ص ٢٣٨

^٢ تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ط١، المغرب، دار الثقافة، ١٩٩٤م، ص ١٨.

المعاني، ذلك أنّ الإفصاح بإظهاره في موضع الإضمار له موقع عظيم وفائدة جزلة^١، وفيما يلي أهم ما طالته يدي عن الإظهار في مقام الإضمار من كتب الأولين والمتأخرين، جمعتُ شتيته قصد التّأصيل لهذا الأسلوب ضمن العلوم العربيّة- قديمها وحديثها -، كما أنشد في هذا الفصل المزوجة بين بعض المنجزات التّراثيّة العربيّة الأصيلة والمعطيات اللّسانيّة الحديثة.

١,٣ التّأصيل النحويّ لظاهرة الإظهار في مقام الإضمار:

أقرّ علماء النّحو أصولاً وقواعد ينبغي ألا يخرج عنها الكلام العربي ، ومن جملة ما أقرّوه- وذكرناه من قبل- أنّ الاسم الظّاهر حين يذكر في الكلام ويراد الحديث عنه مرّة أخرى، فإنّه يؤتى بضمير يعود عليه؛ ليتمّ به الكلام وتقع الفائدة، ثمّ إنّهم أوجبوا على ما خالف مثل هذا الأصل في بليغ الكلام الحمل على غير الظاهر، ومن ذلك إظهار الاسم مقام الضمير.

وقد تعرّض سيبويه(ت ١٨٠هـ) لظاهرة الإظهار في مقام الإضمار أثناء حديثه عن استحسان ذكر المضمّر والمظهر في موضعيهما واستهجانهما إذا كان الأمر عكسياً؛ حيث قال: "لو قلت: ما زيد منطلقاً زيد، لم يكن حدّ الكلام وكان هاهنا ضعيفاً، ولم يكن كقولك: ما زيد منطلقاً هو؛ لأنّك استغنيت عن إظهاره، وإنّما ينبغي لك أن تضمّره ألا ترى أنّك لو قلت: ما زيد منطلقاً أبو زيد، لم يكن كقولك: منطلقاً أبوه؛ لأنّك قد استغنيت عن الإظهار، فلمّا كان هذا كذلك أجري مجرى الأجنبيّ، واستؤنف على حاله حيث كان ضعيفاً"^٢، فسيبويه يرى ضعف إظهار الاسم في موضع ضميره إذا وقع ذلك في جملة واحدة لعدم احتمال وقوع

^١ يحيى بن حمزة بن عليّ العلويّ، الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة، ج ٢، ص ٧٩.

^٢ سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٦٢.

اللبس، بينما يستحسن الإظهار إذا جاء في جملة غير الجملة التي فيها الظاهر الأول^١، وهذا من الأغراض واللطائف البلاغية التي يحققها الإظهار في مقام الإضمار كما سيأتي بيان ذلك في موضعه من هذا البحث.

وللأخفش (ت ٢١٥هـ) تنويه بهذا الأسلوب عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [آل عمران: ١٠٩] إذ علق بقوله: "فتنى الاسم وأظهره، وهذا مثل: أما زيد فقد ذهب زيد.

قال الشاعر:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقير.

فالشاعر أظهر في موضع الإضمار^٢.

والجدير بالذكر أنّ من المباحث التي لها صلة بالإظهار في مقام الإضمار؛ مبحث العائد من جملة الصلة على الموصول، فإنّ الأصل في هذا العائد أن يكون ضميراً، وقد يأتي -أحياناً- اسماً ظاهراً، ومثّل بعضهم لهذا بشواهد منها قول قيس بن الملوح:

فيا ربّ ليلي أنت في كلّ موطن وأنت الذي في رحمة الله أطمع^٣.

وقول الآخر:

سعاد التي أضناك حبّ سعاد وإعراضها عنك استمرّ وزاد^٤.

^١ ينظر: حامد صالح خلف الربيعي، التعريف في البلاغة العربية، ماجيستير، المملكة العربية، ١٤٠٩هـ، ص ٢٧.

^٢ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ط ١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ، ص ٢٢٩.

^٣ نقلاً عن: ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دط، القاهرة، دار الطلائع، دت، ص ١٧٤.

^٤ المصدر نفسه الصفحة نفسها.

الشَّاهد في البيت الأول هو قوله: في رحمة الله؛ حيث وضع الاسم الجليل الله موضع الضمير الهاء.

والشَّاهد في البيت الثاني قوله: أضناك حب سعاد؛ حيث وضع اسم العلم سعاد موضع الضمير الهاء.

ولعلَّ هذا ما بيَّنه أبو جعفر النَّحاس (ت ٣٣٧هـ)، إذ أجاز أن يكون الموصول من قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢] مبتدأ، ويكون خبره^١ جملة ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، فإنَّ معناه (فلا تجعلوا له)، وأعيد الاسم مظهرًا مقام الضمير.

٢،٣ الجذور البلاغية لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار:

أُلفت - بعد البحث والتتقيب- في عشرات الكتب البلاغية أنَّ الحديث عن الإظهار في مقام الإضمار جاء شذراتٍ في مبحث من مباحث علم المعاني، ألا وهو مبحث (أحوال المسند والمسند إليه)، وتحت باب عنوانه: خروج الكلام على مقتضى الظاهر، كما ذكر بعض البلاغيين الإظهار في مقام الإضمار في باب الإطناب.

ولعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) حديثٌ عن الإظهار في مقام الإضمار في كتابه دلائل الإعجاز تحت باب: إدراك البلاغة بالذَّوق وإحساس النفس إذ أشار إلى البعد الجمالي للإظهار في مقام الإضمار من خلال تعقيبه على ما أورد من شواهد في ذلك حيث قال: "ومن الشواهد في ذلك قول دعبل:

أضياف عمران في خصب وفي سعة وفي حباء وخير غير ممنوع
وضيف عمرو وعمرو يسهران معا عمرو لبطنته والضيف للجوع^١.

^١ ينظر: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحاس، القطع والائتلاف، تح: عبد الرحمان بن إبراهيم، ط ١، السعودية، دار عالم الكتب، ١٤١٣هـ، ص ٤٣.

وقول الآخر:

وإن طرّة راقتك فانظر، فربّما أمرّ مذاق العود والعود أخضر^٢.

وقول المتنبي:

بمن نضرب الأمثال أم من نقيسه إليك وأهل الدّهر دونك الدّهر^٣.

ليس يخفى على من له ذوق أنّه لو أتى موضع الظّاهر في ذلك كلّهُ بالضمير فقليل: وضيف عمرو وهو يسهران معاً، وأمرّ مذاق العود وهو أخضر، وأهل الدّهر دونك وهو، لعدم حسنٍ ومزيّةٍ لإخفاء بأمرهما؛ ليس لأنّ الشّعْر ينكسر، ولكن تنكره النّفس^٤، فعبد القاهر علّل لظاهرة الإظهار في مقام الإضمار جمالياً من حيث الحسن والقبح، وقد أرجع ذلك إلى النّفس وإلى الذّوق؛ لأنّ ما يحدثه الإظهار في النّفس قد لا يتأتّى مع الإضمار، وهذا ما نبينه في الفصل الثّاني من هذه الدّراسة.

وفي موضع آخر من دلائل الإعجاز أورد عبد القاهر الجرجاني أنّ الصّاحب بن عباد قال: كان الأستاذ أبو الفضل يختار من شعر ابن الرّومي وينقط عليه، قال: فدفع إليّ القصيدة التي أولها:

أتحت ضلوعي جمرة تتوقّد

وقال تأملها، فتأملتها، فكان قد ترك خير بيت فيها وهو:

بجهل كجهل السّيف والسّيف منتضى وحلم كحلم السّيف والسّيف مغمّد.

^١ دعل بن عليّ الخزاعي، شعر دعل بن عليّ الخزاعي، تح: عبد الكريم الأشتر، ط^٢، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ١٤٠٣هـ، ص ٤٠٠.

^٢ البيت موجود في دلائل الإعجاز، ص ٥٥٥.

^٣ أبو الطّيب المتنبي، ديوان المتنبي، دط، بيروت، ١٤٠٣هـ ص ٦٤.

^٤ أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٥٥٥، ٥٥٦.

فقلت لم ترك الأستاذ البيت؟ قال: ثم رأني من بعد، فاعتذر بعذر كان شرًا من تركه، قال:

إنما تركته؛ لأنه أعاد السيف أربع مرّات، قال الصاحب: لو لم يعده أربع مرّات، فقال:

بجهل كجهل السيف وهو منتضى وحلم كحلم السيف وهو مغمّد.

لفسد البيت ^١.

يقول عبد القاهر بعقب هذا مباشرة: "والأمر كما قال الصاحب، والسبب في ذلك

أنك إذا حدثت عن اسم مضاف، ثم أردت أن تذكر المضاف إليه، فإنّ البلاغة تقتضي أن

تذكره باسمه الظاهر ولا تضمّره"^٢، ويظهر من كلام عبد القاهر أنّ إعادة المضاف إليه

مُظهرًا ليس على إطلاقه إنّما الفيصل في ذلك هو السياق ففي قوله عزّ وجلّ مثلاً: ﴿وَمَنْ

كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [الشورى: ٢٠]، ذكر المضاف إليه مضمراً (منها).

هذا، ثم جاء السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، وتناول أسلوب الإظهار في مقام الإضمار ضمن

علم المعاني من كتابه (مفتاح العلوم) أثناء حديثه عن أحوال المسند والمسند إليه مشيراً إلى

بعض الأغراض البلاغية لهذا الأسلوب، فاصلاً بين كون المظهر اسم إشارة أو غيره من

المعارف^٣ الأخرى خلا الضمير، ومن بعدُ هذا القزويني (ت ٧٣٩هـ) حذو السكاكي في ذكر

ذلك تحت ما سمّاه خروج المسند إليه على خلاف الظاهر^٤، وفيما يلي زيادة تأصيل

للإظهار في مقام الإضمار في علم البلاغة.

١، ٢، ٣ الإظهار في مقام الإضمار وعلاقته بالخروج على مقتضى ظاهر الحال:

^١ ينظر: عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ٥٥٤، ٥٥٥.

^٢ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٥٥٥.

^٣ ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص ١٩٧.

^٤ ينظر: جلال الدين أبو عبد الله القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج ٣، تح: محمد عبد المنعم، ط ٣،

الإسكندرية، المكتبة الأزهرية، ١٤١٣هـ، ص ٨٢-٨٥.

يعدّ باب الخروج على مقتضى الظاهر في علم البلاغة من أدقّ أبوابها مسلكاً، وأكثرها عمقاً؛ وأكثر الحديث عنه - أعني الخروج على مقتضى الظاهر - جاء في علم المعاني، وهو العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي الذي يطابق مقتضى الحال^١، وتناول البلاغيون في هذا الباب أموراً عديدة يكون المسند والمسند إليه فيها مطابقاً لمقتضى الحال كالتعريف والتّكثير والتّقديم والتّأخير، وغيرها، كما تطرّقوا إلى مسألة خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، وجعلوا من صور هذا الخروج: الإظهار في مقام الإضمار.

والمخالفة كما عرّفها الرّاعب الأصفهاني: " أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله"^٢، إذ يؤول هذا التعريف إلى التّغاير أو الانصراف عن وجهة إلى أخرى، ومن القبيل نفسه مخالفة مقتضى الظاهر في البلاغة العربيّة، إذ نجد أنّ البليغ يسلك بكلامه طريقاً غير الطّريق التي يقتضيها ظاهره، حيث ينصرف الكلام عن وجهة كان عليها، أو وجهة ينبغي أن يكون عليها ظاهراً إلى وجهة أخرى، وللتّوضيح أكثر نقول: إنّ البلاغة هي أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال مع فصاحته، وأمّا الحال - وسمي المقام أيضاً - فهو الأمر الدّاعي للمتكلّم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدّيه أصل المراد خصوصية ما^٣؛ أي هو الحامل للمتكلّم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة.

^١ علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتائب التعريفات، تح: محمّد عبد الرحمان، ط٣، لبنان، دار النفائس، ١٤٣٣هـ، ص ٢٣٣.

^٢ أبو القاسم بن محمد الرّاعب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد، دط، بيروت، دار المعرفة، دت، ص ١٥٦.

^٣ ينظر: سعد الدّين التّفتازاني، مختصر المعاني ضمن شرح التّلاخيص، ج ١، دط، بيروت، دار الكتب العلميّة، ص ١٢٣.

والمقتضى" ويسمى الاعتبار المناسب، وهو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة، مثلا المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فكل من المدح والذكاء حال، وكل من الإطناب أو الإيجاز مقتضى، وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مراعاة للمقتضى^١، أمّا إيراد الكلام على مقتضى ظاهر الحال فإن فيه خصوصية ليست في إخراجها على مقتضى الحال^٢ حيث إن مجيء الكلام على الحال لا يعتبر فيه ثبوت الأمر الداعي في الواقع أو عدم ثبوته-أي بأن يكون معتبرا في نفس المتكلم دون الواقع-، فأما إذا اعتبر المتكلم الواقع فهو ما يسمى بظاهر الحال، وهو يقتضي-أيضا- أن يأتي الكلام موافقا له إلا أن هذا الظاهر لكونه أخص من الحال، فإنه قد يخالف مراعاة لما يقتضيه الحال، فالبلاغة تقتضي أن يكون الكلام موافقا لما يقتضيه الحال لا ما يقتضيه الظاهر، كما أن مخالفة ظاهر الحال تكون لاعتبار مناسب لمقام الكلام.

هذا، وبناء على ما سبق ذكره، فإن المتكلم حينما يعتبر في كلامه خصوصية متوخيا ما يقتضيه الحال، فهو بذلك يحقق البلاغة، ولو ترك الكلام على ظاهره مع اقتضاء الحال لما هو مخالف لذلك الظاهر كان كلامه خارجا عن حد البلاغة، والعكس يصح أيضا إذ لو جاء كلامه على ما يخالف ظاهر الحال-والحال غير مقتضى لتلك المخالفة- لم يكن ذلك من البلاغة في شيء.

^١ محمد بن صالح، شرح دروس البلاغة، تح: صلاح الدين محمود، ط١، دار النجاح، ٢٠١٤م، ص١٦

^٢ ينظر: محمد بن أحمد الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر (ضمن شروح التلخيص)، ج٢، مكة المكرمة، دار الباز، ص٤٤٧.

ويمكن أن نخلص إلى أنّ مخالفة ظاهر الحال هي اشتغال الكلام المركّب على جزء مخالف في ظاهره لنسق ذلك التركيب الكليّ مراعاة لما يقتضيه الحال من تلك المخالفة^١، ومن أبرز ما يجري في الكلام من مخالفة الظاهر الإظهار في مقام الإضمار. ومن باب الاحتراز نقول: إنّ الإظهار في مقام الإضمار فيه خروج على مقتضى الظاهر، ولا نعني به الخروج على مقتضى الحال؛ لأنّ الخروج على مقتضى الحال خروج على البلاغة.

٢,٢,٣ علاقة الإظهار في مقام الإضمار بالإطناب:

الإطناب لغة: مصدر أطنب، والإطناب بكسر الهمزة وفتحها هو الطّوال من حبال الأخبية، ثمّ استعيرت للكلام^٢.

وأصبحت تعني البلاغة في المنطق والوصف مدحا أو ذمّا، وأطنب في الكلام بالغ فيهن واجتهد فيه، وأطنبت الإبل إذا تبع بعضها بعضا في السير^٣.

وأما الإطناب اصطلاحاً: فمن أحسن ما عرّف به قولهم: هو زيادة اللفظ لتقوية المعنى ولفائدة، ففي هذا التعريف دفع لبعض الجور الذي طال الإطناب إذ كثيرا ما تطرق الأسماع عبارة هي قولهم: "البلاغة إيجاز"، وكأنّ البلاغة مقتصرة على الإيجاز الذي هو "أداء المقصود من الكلام بأقلّ من عبارات متعارف الأوساط"^٤، فإذا جاء الكلام على خلافه

^١ ينظر: ظافر بن غرمان العمري، بلاغة القرآن الكريم، دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص ١٠.

^٢ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طنب)، ج ١، ص ٥٦٢.

^٣ ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج ٢، ص ١٢٠.

^٤ السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٢٧٧.

كأن يجيء على وجه الإطناب الذي يعرف بأنه: "زيادة اللفظ لفائدة"^١، لم يوصف ببلاغة على ظاهر تلك العبارة، وكذا مذهب أولئك الذين نادوا بأن الإطناب: "فضل داخل في باب الهذر والخلط"^٢، حتى قال قائلهم: "إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا"^٣، فأنى يكون ذلك صحيحا، إذا كان القرآن الكريم حافلا بالإطناب؟، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم، وخصَّ ببدايع الحكم يأتي بالإطناب، فمثلا إذا سأل ربّه سأل بإطناب، إذ يقول: "اللهم اغفر لي ذنبي كله دقّه وجلّه، وعلايته وسره، وأوله وآخره"^٤، وكذلك يقول في الدعاء للميت: "اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا"^٥ مع أنّه يمكن أن يندرج الجميع تحت (حينا وميتنا)، ولعلّ هذا ما حدا العلويّ إلى أن يجعل الإطناب وادا من أودية البلاغة.

ومما ينخرط في هذا السلك أسلوب الإظهار في مقام الإضمار؛ لأنّه - كما مرّ في التعريف - يؤتى بالاسم الظاهر موضع الضمير، ولا يخفى أنّ الاسم الظاهر أكثر حروفا من الضمير، فهو إذن زيادة في اللفظ، ولهذا تعجّب الزركشي من البيانين كيف أغفلوه - أي الإظهار في مقام الإضمار - ضمن حديثهم عن أقسام الإطناب حيث يقول: "والعجيب أنّ البيانين لم يذكروه ضمن أقسام الإطناب"^٦، وقد ذكره السيوطي في كتابه **الإتقان في علوم القرآن** تحت باب **الإيجاز والإطناب**، ومن المحدثين من يقول: "ويمكن أن يكون من الإطناب

^١ السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٠٠.

^٢ عبد المتعال الصّعيدي، البلاغة العالية، علم المعاني، تح: عبد القادر حسين، ط ٢، دب، مكتبة الآداب، ١٤١١ هـ، ص ١١٧.

^٣ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

^٤ أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الرّكوع والسّجود، رقم

^٥ ينظر: العلويّ، الطراز، ص ٣١٤.

^٦ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٤٨٢.

كذلك وضع الظاهر مكان الضمير، وقد كثر هذا في كتاب الله تبارك وتعالى، وله فوائد كثيرة تدرك بالدّوق وتدلّ عليها القرائن^١، وهذا الذي ذكر آنفا يدل على أنّ الإظهار في مقام الإضمار يعدّ ضمن طرائق الإطناب مع ما فيه من الأغراض والنّكت البلاغيّة التي جاءت في كتاب الله العزيز، وكذا كلام الفصحاء من العرب، مثلما سيشار إلى ذلك في موضعه لاحقاً.

٣,٢,٣ علاقة الإظهار في مقام الإضمار بالتكرار والتأكيد:

التّكرار والتّكرير في اللّغة الإعادة والتّرديد، ومنه قولهم: كرّر تكريرا؛ أي ردّد وأعاد^٢، وهو في الاصطلاح البلاغيّ: أن يأتي المتكلّم بلفظ ثمّ يعيده بعينه، سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا، أو يأتي بمعنى ثمّ يعيده^٣.

وقد أفصح الزّركشيّ في تعريف التّكرار إذ قال: "وحيقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه؛ لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد به، فإن أعيد لا لتقرير المعنى السّابق لم يكن منه"^٤، والمستفاد من هذا التعريف للزّركشيّ أنّ من أغراض التّكرار ونكته في الكلام التّأكيد، أو التوكيد؛ حيث إنّ التّكرار يعدّ وجها شكليّا لقضايا التّأكيد ومعانيه، وكثير ما نجد في كتب النّحو والبلاغة قولهم: "التوكيد تكرير يراد به تثبيت أمر المكرّر في نفس السّامع"، وفي هذا تقاطع كما يبدو لك، قال الزمخشريّ: "إنّ في التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس، وتثبيتا لها في الصّدور"، كما أنّ التّكرار من سنن العرب في كلامها، وهو أحد أنواع الإطناب، بل لعلّه

^١ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ط١، اليرموك، دار الفرقان، ١٤٠٥هـ، ص ١٣٠.

^٢ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة كرر

^٣ ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج ٣، ص ٣.

^٤ الزركشي، البرهان، ج ٣، ص ١٣.

أشهرها وأكثرها ذيوفا وأمثلة، فعلماء البلاغة^١ يذكرونه كأحد أنواع الإطناب، والكاتبون في علوم القرآن^٢ جعلوه من الأساليب الحافلة بالأسرار والنكت البلاغية التي جاء بها القرآن الكريم

وللتكرار أنواع منها: تكرار لفظي وهو تكرار اللفظ والمعنى معا، وتكرار معنوي، وهو تكرار المعنى دون اللفظ^٣.

ونحن أثناء بحثنا في أسلوب الإظهار في مقام الإضمار وجدنا شواهد كثيرة تصلح للتكرار، ولالإظهار في مقام الإضمار، كما لاحظنا أن كثيرا من المفسرين يذكرون-مثلا- أن في الآية تكرارا، وهم بذلك يعنون الإظهار في مقام الإضمار، إذ بينهما تشابه كبير لاسيما في التكرار اللفظي، وبناء على ما ذكرناه آنفا يمكننا القول: إن الإظهار في مقام الإضمار يعد نوعا من أنواع التكرار اللفظي بيد أن للإظهار في مقام الإضمار ضابطا يختص به وهو جواز حلول الضمير موضع الاسم المظهر جريا على مقتضى الظاهر.

٣,٣ التاصيل للإظهار في مقام الإضمار في التفسير وعلوم القرآن:

لا جرم أن القرآن الكريم لا يخلق، ولا يتشأن، ولا تفنى كنوزه، ولا يوقف منه على غور، وما من أسلوب بليغ بديع تتبّعه العلماء إلا وجدوا له في القرآن الكريم مرجعا وشاهدا ومن أجل أساليب القرآن الماتعة أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، فقد تناولوه المفسرون وطرقه المصنفون في علوم القرآن، ومرد ذلك إلى أن هذا الأسلوب "أتى في القرآن الكريم

^١ ينظر: القزويني، الإيضاح، ج ٣، ص ٢٠٠.

^٢ ينظر: الزركشي، البرهان، ج ٣ ص ١٢.

^٣ ينظر: بدر مالك بن النّاطم، المصباح في المعاني والبديع، تح: حسني عبد الجليل، ط ١، دب، مكتبة الآداب،

١٤٠٩هـ، ص ٢٣٢.

كثيراً، محققاً فوائد عظيمة وصلت به إلى قمة البلاغة، وتسنّمت به ذرى الفصاحة وسنامها^١، ومن المفسّرين الذين تناولوا هذا الأسلوب في تفاسيرهم، وأشاروا إلى نكته ولطائفه :

- أبو محمد مكيّ بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) :

لعلّ مكيّ بن أبي طالب من أوّل من نوّه بأسلوب الإظهار في مقام الإضمار من المفسّرين^٢، ومن ذلك توجيهه لقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزِيلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨] ، ذكر مكيّ -رحمة الله عليه- أن الاسم الأعظم في الآية الكريمة قد أعيد؛ لأنّه أفخم، ولأنّه لا يقع فيه إشكال، إذ إنّ هذا الاسم إنّما هو للربّ لا يشركه فيه أحد^٣.

- محمود بن عمر الزمخشريّ في تفسيره: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: وهو من الذين عُتُوا بالكشف عن الأغراض البلاغيّة للإظهار في مقام الإضمار، إذ يزخر تفسير الكشاف بأسرار وجماليّات هذا الأسلوب البديع، يدرك المطلّع عليها روائع البلاغة القرآنيّة، حيث عمد الزمخشريّ في كشّافه إلى إبراز بعض مقامات الإظهار في مقام الإضمار في الآيات التي ورد فيها، مع تحليل أغراض وأسرار تلك المقامات تحليلًا دقيقًا، يدلّك على مرهف حسّه، وصفاء ذوقه، ومن ذلك:

- عند تفسيره لقول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]،

^١ صالح العايد، نظرات لغويّة في القرآن الكريم، ط٣، الرياض، دار كنوز إشبيليا، ١٤٢٥هـ ص ٨.

^٢ ينظر: محمود عبد الجليل، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص ٣٠.

^٣ ينظر: أبو محمد مكيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل فنونه وعلومه، ج ٢، ط ١، الشارقة، ٢٠٠٩م، ص ١٠٩٣.

حيث قال-رحمه الله- مبيناً اللطيفة البلاغية من إظهار الاسم الموصول مقام الضمير: "فإن قلت، فهلاً قيل: ليمسّنهم عذاب أليم، قلت: في إقامة الظاهر مقام الضمير فائدة، وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾^١".

- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ سُهُدَّكُمْ أَلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٠]، لم يقل: ولا تتبع أهواءهم كما هو مقتضى الظاهر، للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره؛ فهو متبع للهوى لا غير؛ لأنه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقاً بالآيات موحداً لله تعالى.

- كما فسر إظهار لفظة الناس من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^٢ مَلِكِ النَّاسِ ﴿﴾ [الناس: ١-٢] ، بقوله: "فإن قلت: فهلاً اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة؟، قلت لأن عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار"^٣، وعلى هذا النسق أبدع الزمخشري في بيان الفوائد والنكت المستفادة من الإظهار في مقام الإضمار في كتاب الله تعالى.

وعن الزمخشري تلقف جمع من العلماء المفسرين أغراض الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم وزادوا عليها مواضع^٣، كما صنع البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) في: أنوار التنزيل، والحلبي في: الدر المصون.

وعلى تأثر اللاحق بالسابق، فإن ممن اعتنى بأسلوب الإظهار في مقام الإضمار اعتناء خاصاً:

^١ الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٦٩٧.

^٢ الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٢٢٩.

^٣ ينظر: محمود عبد الجليل، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، الأسماء الحسنى نموذجاً، ص ٣٣.

- أبو السعود العمادي في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:

تناول الإمام أبو السعود-رحمة الله عليه- في تفسيره المباحث البلاغية تناول الخبير بدقائقها العليم بخفاياها، حتى أصبح كثير ممن أتى بعده عالمة عليه في التعرض لبلاغة القرآن الكريم^١، قال عنه محمد حسن الذهبي^٢ "قرأت في هذا التفسير فلاحظت عليه أنه كثير العناية بسبك العبارة وصوغها، مولع كل الولوع بالناحية البلاغية للقرآن، فهو يهتم بأن يكشف عن نواحي القرآن البلاغية وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، كما أنه يهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها، مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتي حظاً وافراً من المعرفة بدقائق اللغة العربية"^٣، ولعل هذا راجع إلى تأثره-كما ذكرنا- بجهاذة التفسير الذين سبقوه، فقد كشف عن هذا هو نفسه، وذكر أنه استفاد من الأجلة الكرام والأعزة الفخام، إذ قال: "لا سيما الكشف، وأنوار التنزيل المتفرّدان بالشأن الجليل والنعت الجميل، فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أيما إحراز، كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز... ولقد كان في سوابق الأيام، وسوالف الدهور، والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهم، وممارستهم، وزمان انتصابي لمفاوضتهم ومدارستهم، يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار، أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق، وأرتب غرز فرائدها على ترتيب أنيق"^٣، وعلى هذا الأساس فلا غرو أن نجد لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار مساحة في تفسير أبي السعود، فقد تتبّع-رحمه الله- مواطن هذا الأسلوب في القرآن الكريم، وأجلى بعض أغراضه ونكته، واهتدى بفكره النير ونظره الثاقب إلى أغراض

^١ ينظر: محمد محمود شلبي، أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية من خلال

تفسير أبي السعود، مجلة كلية أصول الدين، ع ٣٧، ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٢٣٥.

^٢ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، دط، القاهرة، مكتبة وهبة، ص ٢٤٨.

^٣ محمد أحمد محمود، أسلوب الإظهار في مقام الإضمار من خلال تفسير أبي السعود، ص ٢٣٦.

للإظهار في مقام الإضمار لم يذكرها من قبله، ومن ذلك قصد تهويل الخطب و الاستنقاع وغيرها، "فكان تفسيره ميدانا رحبا لمن أراد أن يتنسم عبق هذا الأسلوب"^١، سيمر بنا في الفصل اللاحق بعض ما استنبطه من جماليات للإظهار في مقام الإضمار.

- شهاب الدين الألوسي (١٢٧٠هـ) في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

أورد الألوسي رحمه الله- في تفسيره بلاغة الإظهار في مقام الإضمار في أكثر من سبعين موضعا جاء في كتاب الله العزيز، ومن ذلك على سبيل المثال تفسيره لقوله تعالى:

﴿ قُلْنَا أَهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨] .

قال الألوسي: "ووضع المظهر موضع المضمّر في (هداي) إشارة للعلية؛ لأنّ الهدى بالنظر إلى ذاته واجب الاتّباع، وبالنظر إلى أنّه أضيف إليه تعالى إضافة تشريف أخرى وأحقّ أن يتّبع"^٢، وعلى وفق هذا التفسير الذي يدلّ على طول باع صاحبه، وسعة اطلاعه ورهافة ذوقه جاء تفسير الآيات التي ورد فيها أسلوب الإظهار مقام الإضمار، كما أنّه استدرك وبين بعض المواضع التي قد يلتبس فيها ورود الإظهار مقام الإضمار، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠] ، قال: "وإعادة لفظة (مرض) منكرا؛ لكونه مغايرا للأول ضرورة أنّ المزيد يغاير المزيد عليه، وتوهم من زعم أنّه

^١ محمود عبد الجليل، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، الأسماء الحسنی نموذجاً، ص ٣٥.

^٢ شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، ج ١، دط، بيروت، دار إحياء التراث، ص ٢٩٣.

من وضع المظهر موضع الضمير، والتّكثير للتّخيم^١، وهكذا زخر تفسير الألوسي ببلاغة الكتاب العزيز الأمر الذي لا يدع مجالاً لمرتاب في إعجاز هذا الكتاب.

-الطّاهر بن عاشور(١٣٩٣هـ) في تفسيره التّحرير والتّنوير:

اعتنى الطّاهر بن عاشور-رحمه الله- في كتابه التّحرير والتّنوير بالجانب البلاغيّ أيّما عناية مهتمّاً ببيان وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ونكته البلاغيّة، وعن هذا أفصح بقوله: "ومما يجب التّنبيه له أنّ مراعاة المقام في أن ينتظم الكلام على خصوصيّات بلاغيّة هي مراعاة من مقومات بلاغة الكلام، وخاصّة في إعجاز القرآن الكريم، فقد تشمل آية من القرآن على خصوصيّات تتساءل نفس المفسّر عن دوايعها ومرجع هذا الصّنف من الإعجاز إلى ما يسمّى في عرف علماء البلاغة بالنّكت البلاغيّة"^٢.

هذا ولمّا كان الإظهار في مقام الإضمار من أساليب القرآن الكريم، فلا غرو أن يزخر تفسير التّحرير والتّنوير بحكم وفوائد هذا الأسلوب، خذ منها مثلاً: تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا ۖ﴾ [الجن: ١٩] ، يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "عبد الله هو محمّد صلى الله عليه وسلم وضع الاسم الظّاهر موضع الضمير، إذ مقتضى الظّاهر أن يقال: وأنه لما قمت تدعو الله، ولكنّه عدل إلى الاسم الظّاهر لقصد تكريم النّبّي صلى الله عليه وسلم بوصف عبد الله لما في هذه الإضافة من التّشريف مع وصف عبد كقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] ، ووفق هذا البيان الأسر والتّحليل الدّقيق جاء أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في التّحرير والتّنوير، وسيمرّ بنا طرف من ذلك في الفصل الثّاني.

^١ المرجع نفسه، ص ١٥٠.

^٢ محمد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج ١، دط، تونس، الدّار التونسية للنشر، ص ١١١.

وأما المؤلفون في علوم القرآن: فقد أثبتوا أن أسلوب الإظهار في مقام الإضمار أحد الأساليب البيانية للقرآن الكريم ملتزمين حكمه البديعة ونكته الممتعة في التنزيل، ويعدّ الزركشي أكثرهم وأوسعهم تحدّثاً عن هذا الأسلوب ومسائله، لا سيما في كتابه "البرهان في علوم القرآن" في النّوع السادس والأربعين تحت عنوان في أساليب القرآن وفنونه البليغة، فقد أورد سبعة عشر سبباً^١ من أسباب الإظهار في مقام الإظهار، ونصره بأمثلة وأدلة تبين لمن أطلع عليها أنّ هذا الأسلوب فريد في بابهِ، وهو زاهر بالنكت البلاغية واللطائف الجمالية كما حذا السيوطي حذو الزركشي في ذكر تلك الأسباب، في مؤلّفه الإتقان في علم القرآن، و معترك الأقران في إعجاز القرآن، وللسيوطي -رحمه الله- لفحات مانتعة في بيان بعض جماليّات الإظهار في مقام الإضمار في كتابه قطف الأزهار في كشف الأسرار.

-ولابن عقيلة المكي (ت ١١٥٠هـ) مؤلّف عنوانه: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، قد ذكر فيه -بأسلوب مبدع- أغراض الإظهار في مقام الإضمار على نحو من سبقه -أعني الزركشي والسيوطي-.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ بعض المصنّفين في الدّراسات القرآنيّة المعاصرة تناولوا

أغراض الإظهار في مقام الإضمار بأسلوب سهل مبسّط، نذكر منهم:

-محمد بن صالح في كتابه: أصول في التفسير

-نور الدّين عكبر في كتابه: القرآن والدّراسات الأدبيّة

- خليل الكيسي في كتابه: علم التفسير: أصوله وقواعده.

وفي هذا دليل على مدى عناية بعض الكاتبين في علوم القرآن بإبراز ما للإظهار

في مقام الإضمار من لطائف جماليّة وبلاغيّة.

^١ ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٤٨٥-٥٠٢.

٤. الإظهار في مقام الإضمار في ضوء الدرس اللساني الحديث:

ذكر بعض الباحثين اللغويين حديثاً أن الموروث اللساني العربي فيه إشارات واضحة إلى كثير من القضايا اللغوية التي عولجت في الدرس اللغوي الحديث، وانطلاقاً من هذا المنظور سأعرض تجليات الإظهار في مقام الإضمار في علم الأسوب والتداولية ونحو النص.

١,٤ تجليات الإظهار في علم الأسلوب:

ذهب أكثر من باحث إلى أن الأسلوبية الحديثة امتداد للبلاغة القديمة، ووفق هذا الرأي يقول بيير جيرو: "الأسلوبية وريثة البلاغة وهي بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف، إنها علم التعبير ونقد الأساليب"^١، وعلى هذا الرأي أيضاً جاءت مقولة: البلاغة هي أسلوبية القدماء، وهي علم الأسلوب آنذاك^٢، ومهما يكن من أمر فإننا إذا انطلقنا مما سبق ذكره من أراء أمكننا القول: إن الأسلوبية الحديثة تتصل بشكل أو آخر بالبلاغة العربية القديمة، وبسبيل من ذلك باب المخالفة، أو الخروج عن مقتضى الظاهر في البلاغة العربية الذي ذكرناه قبل، ويسمى أيضاً العدول أو الانزياح في الأسلوبية الحديثة، حيث استعمل كثير من الباحثين الأسلوبيين مصطلح العدول إحياء لمصطلح بلاغي تراثي منهم: عبد السلام المسدي، تمام حسان، حمادي صمود، مصطفى السعدني، وعبد الله صولة، والطيب البكوش، والأزهر الزناد^٣، بل إن منهم من رأى أن مصطلح العدول أحسن ترجمة لمفهوم L'ECART مثلما فعل عبد السلام المسدي فإنه في أول الأمر استعمل مصطلح

^١ بيير جيرو، الأسلوبية تر: منذر عياشي، ط٢، حلب، مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٤م، ص ١٣٣.

^٢ ينظر، صلاح فضلن علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دط، دار عالم للمعرفة، ١٩٩٢م، ص ١٥.

^٣ ينظر: أحمد محمد ويس، الانزياح وتعدد المصطلح، مجلة عالم الفكر، ع٣، الكويت، مارس ١٩٩٧م، ص ٦٣.

الانزياح ترجمة L'ECART في كتابه الأسلوبية والأسلوب بيد أنه لم يثبت على هذا الأخير طويلا، فرغب عنه إلى العدول^١.

والعدول كما في القاموس المحيط: "مصدر عدَل، وعدَل عنه يعدل عدولا: حاد، وإليه عدولا: رجع"^٢، إذ نلاحظ أنَّ الفعل (عدل) يعدّي بحرفي الجرّ: عن و إلى، وله مع كل منهما دلالة، فإن عدّي بعن كان بمعنى الصّدّ والميل، وإن عدّي بإلى كان بمعنى الرجوع، أو التوجّه إلى الأمر.

وأما العدول في الاصطلاح فهو "مجاوزة السّنن المألوف بين النّاس ومحاوراتهم؛ لتحقيق سمة جماليّة في القول تمتّع القارئ وتطرب السّامع"^٣، وفي التّعريفين اللّغوي والاصطلاحيّ توافق وكلاهما يدلّ على أنَّ العدول فيه انصراف وحيدودة عن الأصل إلى غيره لداع، فهو ظاهرة بين طرفين: معدول عنه ومعدول إليه.

وللّغة مستويان: مستوى عاديّ يسمّى في الأسلوبية المستوى المثالي يتجلّى في هيمنة الوظيفة الإبلاغيّة على أساليب الخطاب ؛ والمستوى الإبداعي أو الفني. وهو يخترق الاستعمال المألوف للّغة، وينتهك صيغ الأساليب الجاهزة، وذلك لجعل جماليات في الأسلوب الخطابي، وبذلك يصبح أشدّ تأثيرا في المتلقّي والمخاطب^٤.

ولا شكّ أنَّ القول "بتعدّد الأوضاع اللّغويّة من أبرز نقاط الالتقاء بين البلاغة العربيّة القديمة والأسلوبية الحديثة، إذ لا يصح الحديث عن الانزياح في الأسلوبية الحديثة إلا مع

^١ ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط٢، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢، ص١٠٦.

^٢ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط١، بيروت، دار إحياء التّراث، ١٤١٢هـ، مادة: عدل، ص١١.

^٣ عبد الموجود متولي بهنسي، رؤية العدول عن التّمطية في التّعبير، دط، مكتبة الرشد للنّشر والتّوزيع، ٢٠٠٤م، ص٥.

^٤ ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط٤، الهيئة المصرية العامة، ص١٩٨.

افتراض أصل للغة هو الاستعمال العادي"^١، ويقابل مصطلح الانزياح-كما أشرنا آنفا- العدول أو المخالفة في البلاغة العربية ولا مشاحة في الاصطلاح.

هذا، وبناء على ما سبق ذكره، فإن الإظهار في مقام الإضمار من أبرز مظاهر العدول أو الانزياح، فقد عالجه البلاغيون ضمن موضوعات الخروج على مقتضى الظاهر، حيث إن الأصل اللغوي المعتاد يقتضي الإتيان بالضمير في موضعه، غير أنه يعدل أحيانا عن هذا الأصل تحقيقا لأهداف فنية جمالية، ودلالات لطيفة بديعة، إذ يعدّ منبهاً أسلوبياً يثير الاهتمام ويدعو إلى التأمل.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لما كان الإظهار في مقام الإضمار من طرائق الإطناب، وضروب التكرار الذي يحتمل معنى سطحياً ومعنى عميقاً، فإنه يرتبط بالأسلوبية ارتباطاً وثيقاً؛ لأن من أهداف الأسلوبية البحث والكشف عن أي ظاهرة لغوية أو صوتية، أو معجمية في النص، وبما أن الإطناب يشكل ظاهرة لغوية غير عادية تختص بمجال المخاطب، فإنه بذلك يمثل ظاهرة أسلوبية تقوم على تفجير شحنات فكرية لدى المتلقي بهدف إحداث صدمة لغوية عند الطرف المستقبل، وجعل ذهنه في حال استنفار دائم^٢، كما أن تكرار الاسم المظهر" في حد ذاته وسيلة مهمة من الوسائل السحرية التي تعتمد على تأثير الكلمة المكررة وفي إحداث نتيجة إيجابية في العمل الفني المميز"^٣، وبذلك يعد الإظهار في مقام الإضمار حدثاً لغوياً، يخرج الكلام من اللغة المعيارية إلى اللغة الشعرية،

^١ محمد بوحمد، العدول في بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية، فاس، مجلة كلية الآداب، ص ١٦٩.

^٢ ينظر: سليمان فتح الله، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دط، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤م، ص ٢٦.

^٣ يوسف عبد الفتاح بن عطية، فاعلية التكرار في بنية الخطاب الشعري، مجلة فصول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م، ص ٣١.

ومن ثم نخلص إلى أنّ ظاهرة الإظهار في مقام الإضمار تتضوي أيضا تحت المستوى الإيقاعي الذي يعدّ هذا الأخير من أهمّ مستويات المقاربة الأسلوبية للنصوص.

٢,٤ الإظهار في مقام الإضمار بوصفه استلزاما حواريا:

تعدّ التداولية من أبرز الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت في الساحة اللغوية الحديثة والمعاصرة، حيث عنيت التداولية بالجانب الاستعماليّ للغة، وما تحقّقه من منافع، ومن هنا ترجمت بالذرائعية، فمّا عرّفت به التداولية قولهم : هي دراسة للغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التّخاطب للوصول إلى المعنى وإحداث الأثر المناسب بحسب قصد صاحبه.

ومن ثمّة اكتسب السّياق أهمّية بالغة في الدّرس التّداوليّ، وأخذ مسارا عميقا في التّحليل، حيث جعل ركيزة أساسية في دراسة اللغة أثناء الاستعمال؛ ليشمل بذلك كلّ الظروف المحيطة بالحدث الكلامي.

والذي يظهر لنا في موضوعنا أنّ الإظهار في مقام الإضمار وثيق الصّلة بآلية من آليات التّحليل التّداولي وهو الاستلزام الحواري، الذي نشرحه في شكل مبسّط على أنّ المعنى السطحيّ يستلزم معنى عميقا.

وجدت فكرة الاستلزام الحواريّ فيما قدّمه العالم غريس GRICE، حيث لاحظ أنّ بعض الأقوال تتلّغ أكثر ممّا تدلّ عليه مجموع الكلمات التي تكوّن الجملة، وعليه فرّق بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو ما يدلّ على معناه بظاهر لفظه، أمّا ما يقصد فهو الذي يحتاج إلى إعمال الفكر لاستخراجه^١.

^١ ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغويّ، دط، مصر، دار المعرفة، ٢٠٠٢ من ص ٣٣.

كما أنَّ الاستلزام الحواريّ ينشأ عن السّياق ومقتضياته، ومما يعضد ما ذهبنا إليه حديث البلاغيين عن الأغراض التي تنتجها الأساليب البلاغيّة" من خلال وصفهم للأغراض البلاغيّة ومن خلال الآلية التي اتّبعوها لوصف تلك الأغراض أو ما يسمّى بالاستلزام الحواريّ عند غريس^١، ففي باب الإطناب لم يكتف البلاغيّون بتوصيف الاستلزمات التّخاطبيّة النّاتجة عن زيادة اللفظ، بل بيّنوا إذا ما كانت تلك الزيادة لفائدة- فينتج عنها استلزام خطابيّ يفهم من خلال المقام؛ فتكون إذ ذاك زيادة محمودة، وهي الإطناب بعينه، وإذ لم ينتج عنها استلزام خطابيّ أو معنى يضاف كانت الزيادة غير محمودة.

ومن صور الإطناب الذي ينتج عنه استلزمات تخاطبيّة أو حواريّة- كما اتّضح لنا من قبل- الإظهار في مقام الإضمار فهو يستلزم معنى باطنا أو عميقا، وهذا ما يسمى بأغراض الإتيان بالاسم المظهر مقام الاسم المضمر، إذ يكون ذلك وفق سياق يؤطّر هذه العمليّة.

٣, ٤ الإظهار في مقام الإضمار بوصفه أداة من أدوات الاتساق النّصّي:

يزخر الدرس اللغوي الحديث بحقول معرفيّة متعدّدة، وفروع علميّة مختلفة ومنها لسانيات النّصّ التي ظهرت مع نهاية ستينات القرن الماضي، فغدا هذا الفن اللّغوي رافدا من روافد الدرس اللساني الحديث لا يُستغنى عن معطياته؛ لأنّه انتقل بالدراسة اللسانية من محورية الجملة إلى النّصّ، وهذا الانتقال لا يعني الإلغاء بطبيعة الحال بل لجعل بذلك من النّصّ الوحدة اللّغويّة الكبرى الأكثر استقلاليّة.

وتسعى لسانيات النّصّ إلى تحليل البنى النّصّيّة واستكشاف العلاقات النّسقيّة المفضية إلى اتّساق النصوص وانسجامها، لذا وضعت عدة أدوات يشترط أن تتوفّر في

^١ خالد محمد علي عون، الاستلزمات التّخاطبيّة للأساليب البلاغيّة، ١٤٤٣هـ، ص ١٤١.

النّص حتى يوصف بالاتساق، ويعرّف الاتساق على أنّه: " ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويهتمّ فيه بالوسائل اللغويّة الشكليّة التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"^١ ومن بين هذه الأدوات ما يسمّى **الاتساق المعجمي** الذي نعني به إعادة عنصر معجميّ أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصر مطلق أو اسم عام^٢، وينضوي تحت الاتساق المعجمي التّضام والتّكرار وهذا الأخير هو ما نسلّط عليه الضوء إذ بينه وبين الظاهرة المدروسة في البحث تواشجا كبيرا ألا وهي ظاهرة الإظهار في مقام الإضمار إذ إنّ المتعمق في الأمر يجد أنّ الإظهار في مقام الإضمار نوع من التّكرار، كما أنّ الإظهار في مقام الإضمار باسم الإشارة والاسم الموصول له علاقة وطيدة بما يسمّى الإحالة النصيّة، فالاسم الموصول واسم الإشارة يحيلان إلى عنصر لغويّ سابق أو لاحق، وهذه الإحالة تحقّق بدورها اتساق النّص وتماسك أجزائه، محقّقة دلالة يؤطرها السّياق، لأنّ المبدع حين يؤثر الاسم الموصول على الضمير لا يكون عبثا بل يحوجه المقام إلى ذلك.

وختاما لها الفصل فإنّي أصوغ ما توصّلت إليه من نتائج على نحو ما يلي:

- قد يُعدّل عن أصل الإتيان بالضمير في موضعه فيستبدل الاسم الظاهر بالضمير لتحقيق لطائف جمالية وأغراض بلاغية جريا على خلاف مقتضى الظاهر، وهذا ما يسمّى بأسلوب الإظهار في مقام الإضمار.

^١ محمّد خطّابي، لسانيّات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط١ن بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م، ص٨.

^٢ ينظر: الأزهد الزناد، نسيج النّصي ص٣٠٦.

- تشدّر الحديث عن أسلوب الإظهار في مقام الإضمار ضمن علوم العربية قديما في علم النحو والبلاغة والتفسير وعلوم القرآن.
- حصر بعض البلاغيين - كالسكاكي والخطيب القزويني ومن حذا حذوهما - الإظهار في مقام الإضمار في مبحث خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، بيد أنّ هذا الحصر فيه نظر؛ إذ إنّ الإظهار في مقام الإضمار قد يكون في المسند إليه، وقد يكون في غيره ومثاله قول الله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْهُ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، فإنّ المظهر هو (بالحق) الثانية ولو جرى على مقتضى الظاهر لقل (وبالحق أنزلناه وبه نزل).
- للإظهار في مقام الإضمار صلة بالأسلوبية والتداولية ولسانيات النص.

الفصل الثاني:

اللطائف الجماليّة والنّكت
البلاغيّة للإظهار في مقام
الإضمار

قبل بسط الحديث عما يحقّقه أسلوب الإظهار في مقام الإضمار من لطائف جمالية ونكت بلاغية في النظم العربي ضمن سياقات متعدّدة تكسب الكلام قوة وجمالاً وتجعل النظم يوحي بدلالات مخبوءة في الاسم المظهر مقام المضمّر، تجدر الإشارة إلى أنّه لا يمكن أن يُهتدى إلى تلك اللطائف والنكت؛ إلا بعد إمعان النّظر وإعمال الفكر، واسترسال في التّقيب عنها في رحاب الشّواهد القرآنيّة، وكلام أساطين اللّغة العربيّة.

ومردّ ذلك كلّ إلى الذّوق الجماليّ السّليم والإدراك البلاغيّ القويم، ومن هذا المنطلق، فلعلّه من المناسب في فاتحة هذا الفصل أن نعرّج - مع توخّي الإيجاز - على مفهوم الجماليّة البلاغية وإدراكها بالذّوق.

١ - في مفهوم الجماليّة البلاغية وإدراكها بالذّوق السليم:

١,١ مفهوم الجماليّة في البلاغة العربيّة:

أ- الجماليّة لغة: هي مصدر صناعي مشتق من الجمال، جاء في لسان العرب "الجمال مصدر الجميل، والفعل: جَمَل، وجَمَلَه: أي زَيّته"^١، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦] ؛ أي بهاء وحسن، ويقول ابن سيّدة: الجمال: الحسن، يكون في الفعل والخلق، وقد جَمَل الرجل بالضمّ، فهو جميل، والجمال يقع على الصّور والمعاني...^٢، وضدّه القبح.

ب- الجماليّة اصطلاحاً: إنّ تحديد مفهوم جامع مانع لمصطلح الجماليّة لهو من الصّعوبة بمكان؛ لتنوّع حقولها وتعدّد مناهجها وكثرة طرائقها وتداخل مدلولها في الدّراسات الفلسفيّة

^١ ابن منظور، لسان العرب، مادّة جمل.

^٢ ابن سيّدة، المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، ج٧، تح: عبد الحميد هندائي، ط١، لبنان، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٠م، ص ٤٥٠.

والعلوم الاجتماعية والمناهج النقدية والنتائج الفنية المتنوعة^١، إذ تأتي الجمالية في استعمالها "نعتاً لكل ما يتصل بالجمال، أو ينسب إليه، وتستعمل - أيضاً - اسماً وتعني العلم الذي يعكف على الأحكام التقييمية التي يميز بها الإنسان الجميل من غير الجميل، ولذلك أطلق عليها بعضهم علم الجمال"^٢، وإذا كانت الجمالية واحدة من المفاهيم الحديثة التي تدرس المنهجية التشكيلية للإبداعات الأدبية والأعمال الفنية، فإن علماءنا قديماً - قد تناولوها وصفاً ضمنياً في مباحث الإعجاز القرآني، كما "عالجوها ضمن قضايا بلاغية ونقدية مختلفة من غير أن يذكروا المصطلح صراحة، وإنما حاموا حول أشكاله حينما تحدثوا عن استيفاء الشروط اللازمة في النص الشعري، وما كان حديثهم عن شروط الفصاحة ومبادئ عمود الشعر ووصف الشعر بالصنعة وضرورة التزيين وأسس عذوبة اللفظ إلا تجلياً صريحاً لتأسيس الضوابط الجمالية"^٣ في البلاغة والنقد العربيين.

والجمالية في البلاغة العربية ضاربة بجذورها في تراثنا العربي، إذ لا يكتسب الكلام روعته إلا بمعاييرها، وبمرجعيات معرفية، وآليات إجرائية تعالج براعة اللفظ وجودة السبك، وحسن الترتيب، وروعة التعبير وسلامته من العيوب التي تخل بفصاحته، وتبحث نقل دلالاته من المعاني اللفظية إلى المعاني الجمالية التي يلج منها المتلقي إلى دهايز الصور الذهنية التي تحملها الألفاظ، والتراكيب داخل النصوص، كما تعالج الجمالية في البلاغة العربية إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة تثري الدلالة وتفتق آفاق الخيال بالصور التخيلية والمعاني التكميلية دون أن تغفل دور المحسنات اللفظية والمعنوية في العمل على تحسين المعنى

^١ ينظر: أسامة شكري الجميل العدوي، النظرية الجمالية في البلاغة العربية، حولى كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، المجلد ٢٦، ج ٤، ٢٠٢٢م، ص ٣٦٦.

^٢ عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، طرابلس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ص ١٤٧.

^٣ صالح ملا عزيز، جمالية الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، ط ١، سوريا، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ص ١٥.

وتوضيحه في ذهن السامع حتى ينسجم اللفظ مع المعنى بقصد الإفهام والتوضيح والتزيين والتّحسين^١.

ونخلص بعد هذا إلى أنّ العناصر البلاغية تعمل على خلق جماليات فنيّة في النّصوص؛ لتحقيق بذلك الغاية المنشودة من النّصّ بما يتواءم ومقتضيات الدّلالة وإيحاء الألفاظ كما تمنحها قيمة إبداعية تشدّ المتلقّي المتذوّق وتثير إعجابه.

١, ٢ أهمية التذوّق في إدراك الجماليّة:

أولى علماء العربيّة- والبلاغيّون على الخصوص- الجماليّة اهتماماً بالغاً، حيث وضعوا لها الأصول والقواعد التي تمكّنهم من عرفان أسرارها وإدراك تجلياتها، إذ ليست الجماليّة - في البلاغة العربيّة- تلك المعاني القريبة المبتذلة، إنّما هي المعاني العميقة التي يتوصّل إليها بعد كدّ الدّهن وإعمال الفكر، فيشعر معها المتلقّي بلذّة الحصول على المعنى.

إنّ إدراك الجماليّة البلاغية يحتاج إلى متلق ذوّاق متسلّح بذخيرة معرفيّة، وأدوات إجرائيّة، فيحدث بذلك نوع من الانسجام بين الخطاب والمخاطب، ونستحضر في هذا المقام ما قاله الجاحظ: "إنّ أمر الحسن أدقّ وأرقّ من أن يدركه كلّ من أبصره"^٢.

وإدراك الجماليّة عند عبد القاهر الجرجانيّ يحتاج إلى ملكة ذوقيّة متوقّدة تغوص عمّا خفي من مكنون الحسن في الأشياء قال - في باب الذّوق والمعرفة-: "واعلم أنّه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع، ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذّوق والمعرفة، وحتى يكون ممّن تحدّثه نفسه بأنّ لما تومئ إليه من الحسن واللّطف أصلا، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام، فيجد الأريحيّة تارة، ويعرى منها أخرى، وحتى إذا عجّبه عجب،

^١ أسامة شكري، النّظرية الجماليّة في البلاغة العربيّة، ص ٣٦٨

^٢ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ كتاب القيان، ج ٢، تح: عبد السّلام هارون، القاهرة، مكتبة الغانجي، دت، ص ١٦٢.

وإذا نبّهته لموضع المزيّة انتبه^١، وهكذا نجد عبد القاهر الجرجانيّ في كثير من المواضع من دلائل الإعجاز، ينوّه بأهميّة الدّوق الجماليّ ويعدّه من أبرز ثمرات البلاغة ومن أهمّ منجزاتها. ونجد ممّن تأثر بعبد القاهر الجرجانيّ - في العصر الحديث واعتنى بالتّدوّق - شيخ العربيّة محمود محمد شاكر، فقد اتّخذ التّدوّق منهجا لإقامة دراساته، واطمأنّ إلى نتائجه، وذلك من خلال الإبصار الثّاقب، والغوص في حنايا النّصوص، والاستحضار الدّهنيّ لمجموع ما قرئ، والقدرة على الرّبط بين ما تؤدّيه الأساليب في النّصوص^٢، قال رحمه الله: "بدأت بإعادة قراءة الشعر العربيّ، أو ما وقع تحت يدي يومئذ على الأصحّ قراءة متأنية طويلة الأناة عند كلّ لفظ ومعنى، وكأنّني ألقبها بعقلي، وأروّزها بقلبي، وأجسّها جسّا ببصري وبصيرتي، ثمّ أتدوّقها تدوّقا بعقلي وقلبي وبصيرتي وأناقلي كأنّي أطلب فيهما خبيئا قد أخفاه الشاعر الماكر بفنّه وبراعته، وأتدسّس إلى دفين لكي أنفذ إلى حقيقة البيان الذي كرّم الله به آدم عليه السّلام وأبناءه من بعده"^٣، والذي يستفاد من كلام محمود محمد شاكر أنّ التّدوّق إنّما يكون ويتأتّى بعد إمعان النّظر في كتاب الله أوّلا، وإطالة القراءة والاطلاع على الفصيح، فإدمان النّظر يغذّي السليقة، ويفضي بالنّاظر في النّصوص إلى إدراك النّكت واللّطائف الجماليّة في الكلام وفي كلام ربّنا سبحانه أوكد وأنفع.

^١ الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص ٦.

^٢ ينظر: عمر بن عبد الله العميري، دراسة تحليلية لأساليب محمود شاكر، ط ١، مصر، ١٤٤٣هـ، ص ٩٠.

^٣ محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٧، ص ٦.

٢ - اللطائف الجمالية لأغراض الإظهار في مقام الإضمار:

عرفنا - فيما سبق بيانه - أنّ الكلام عند البلاغيين يكون خارجاً على مقتضى الظاهر، وهو المألوف، بل الأصل، وقد يعدل عن هذا الأصل، فيخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لدواعٍ أسلوبية جمالية، ولتحقيق أغراض ونكت بلاغية تستقي من السياق.

كما عرفنا أنّ من الصور التي يخرج فيها الكلام على خلاف مقتضى الظاهر الإظهار في مقام الإضمار، وهو ضرب من العدول الذي تتميز به العربية في أعلى درجاتها الإبداعية.

وقد تفتّن بعض علمائنا إلى اللطائف الجمالية والأغراض البلاغية التي يحققها الإظهار في مقام الإضمار في الكلام؛ لأنّ "الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكشف، وفي هذا الشأن يقول الزمكاني (ت ٦٥١ هـ): "لن يبلغ الضمير العائد مبلغ المظهر، وإن اعتراك شكّ فعليك بقوله تعالى: ((وبالحقّ أنزلناه وبحقّ نزل))"، فإنّ فيه من النبل ما لا يخفى على بصير"^١؛ لأنه وإن كان "الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه، هذه الإشارة تحضره في النفس إلا أنّ قدراً كبيراً من التأثير يظلّ الاسم المظهر محتفظاً بها، ولا يستطيع الضمير حملها نيابة عنه"^٢.

ومن المجمع عليه أنّ للإظهار في مقام الإضمار فوائد كثيرة تظهر بحسب السياق وتدلّ عليها القرائن^٣، وتدرك بالذوق، وفي هذا الأخير يقول صاحب نظرية النظم عبد القاهر

^١ الزمكاني كمال الدين عبد الواحد بن خلف بن نيهان، الكاشف عن إعجاز القرآن، تح: الحديبي، ص ٢٤٨.

^٢ محمد أبو موسى، خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل المعاني، ط ٩، القاهرة، دار المعرفة، ١٤٣٥ هـ، ص ١١٤.

^٣ ينظر: فضل حسن، البلاغة وفنونها وأفنانها، ص ٥٠٤.

الرجاني مبينا ما أكسبه الإظهار في مقام الإضمار، رابطا معرفة ذلك بالذوق الحسن بعقب قول النابغة:

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما^١

"إنه لا يخفى على من له ذوق حسن هذا الإظهار، وأن له موقعا في النفس وباعثا للأريحية، لا يكون إذا قيل: نفس عصام سودته شيء منه البتة"^٢، مع أن الإتيان بالضمير في البيت ممكن؛ لأنه يعود من غير لبس على مرجعه وهو لفظة عصام الأولى، ولكن الشاعر أثر الاسم الظاهر على الضمير؛ "لأنه أراد أن تقع السيادة من نفس عصام على عصام هكذا بلفظه"^٣.

وما يزال الإظهار في مقام الإضمار "يفتر لك عن بدیعة، ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك" أنه عدل عن الكناية إلى التصريح، فما ترك الأصل وخرج عن القاعدة المألوفة إلا لطلب مغزى لا يتأتى إلا بهذا الأسلوب، ولا يتكشف إلا للمتأمل المتذوق.

ولا شك أن لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار في كتاب الله العزيز لطائف جمالية ونكتا بلاغية تزيد المعنى رسوخا في النفس، وتنم عن بلاغة القرآن وإعجاز نظميه في حلاوة سياق، وسأحاول في هذا الفصل أن أستأنس ببعض ما استقصاه علماءنا، واستنبطوه من أسرار جمالية ونكت بلاغية للإظهار في مقام الإضمار في سياقات نظمية مختلفة، مستشهدا بما سنج من كتاب الله تعالى ومن كلام العرب شعرا ونثرا، كما أنني سأعتمد في

^١ أبو أمامة زياد بن معاوية النابغة الذبياني، تح: حمدو طماس، ط٢، لبنان، دار المعرفة، ١٤٢٦هـ، ص ١١٤.

^٢ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٥٥٦.

^٣ محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص ٢٨٤.

^٤ عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص ١٠٦.

تفسير ما أوردته من الشواهد القرآنية على التفاسير التي عرفت باهتمامها وعنايتها بالجانب البلاغي والجمالي في تفسير القرآن ولعل من أهمها - كما أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق -: الكشف للزمخشري، البرهان في علوم القرآن للزركشي، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور...

١,٢ الإظهار باسم الإشارة في مقام الإضمار:

فرّق بعض العلماء بين أن يكون الاسم المظهر مقام الضمير اسم إشارة أو يكون غيره^١، فكلّ مظهر له سياق يناسبه، ومعنى يقتضيه، فإذا كان الإظهار في مقام الإضمار باسم الإشارة فإنّه يؤتى به لتحقيق أغراض بلاغية ولطائف أسلوبية تفهم من السياق وتدلّ عليها القرائن، ومنها:

١-١-٢: تعظيم المشار إليه وبيان رفعته:

من أهمّ اللطائف الجمالية والنكت البلاغية لإظهار اسم الإشارة مقام الضمير تعظيم المشار إليه والتنويه برفعته وسموّ مكانته في الفضل والكمال، ومن الشواهد القرآنية التي تحقق فيها هذا الغرض البلاغي والجمالي متعانقا مع السياق قول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ * قُلْ أَيُّكُمُ لَكَفَرُونَ بِأَلَدَى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُمْ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [فصلت: ٩]، ففي الآية الكريمة إظهار باسم الإشارة (ذلك) مقام الضمير (هو)، واللطيفة من هذا الإظهار إفادة التعظيم والتفخيم بالبعد والتنويه بصفات الخالق سبحانه وتعالى "إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلّة، وما فيه من معنى البعد، مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعده منزلته في العظمة"^٢، ومن شواهد هذا الغرض البلاغي أيضا قوله

^١ ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص ١٩٧

^٢ الألوسي، روح المعاني، ج ٢٤، ص ٤٧١.

تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥﴾ [البقرة: ٣-٥] ، فإذا تأملنا الآيات الكريمة نجد أنّ الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر صفات المؤمنين، قال عزّ شأنه ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ، وهو إظهار لاسم الإشارة مقام الضمير تعظيماً للمشار إليهم وتنويهاً بصفاتهم، وقد أفصح ابن عاشور عن الجمالية الأسيرة لهذا الإظهار، فقال: "واسم الإشارة هنا حلّ محلّ ضمير (هم) والإشارة أحسن وقعا؛ لأنها تتضمن جميع أوصافهم المتقدمة، فقد حقّقه التفتازاني في باب الفصل والوصل من الشرح المطوّل، أنّ الاستئناف بذكر اسم الإشارة أبلغ من الاستئناف الذي يكون بإعادة اسم المستأنف عنه، وهذا التقدير أظهر معنى وأنسب بلاغة وأسعد باستعمال اسم الإشارة في مثل هاتاه الواقعة؛ لأنه أظهر في كون الإشارة لقصد التنويه بتلك الصفات المشار إليها من الحكم الناشئ عنها وهذا لا يحصل إلا بجعل الإشارة مبتدأ أول صدر جملة الاستئناف"^١.

٢-١-٢: كمال العناية بالمسند إليه لاختصاصه بحكم بديع فيوضع في معرض

المحسن المشاهد: وهذا من أهم النكت البلاغية للإظهار باسم الإشارة مقام الضمير، ومن شواهد قول ابن الرّاوندي:

سبحان من وضع الأشياء موضعها وفرق العزّ والإذلال تفريقاً

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل بات مرزوقاً

هذا الذي صير الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقاً^٢

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٢٤٢.

^٢ نقلاً عن: عبد العزيز عبد المعطي، من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لعلم المعاني، ط ٢، لبنان، عالم الكتب، ج ١، ١٤٣٥ هـ، ص ١٩٦.

محلّ الشاهد في هذه الأبيات هو البيت الثالث، وهو قوله: **(هذا)** مع أنّ المقام للضمير **(هو)**؛ لأنه يعود على الحكم السابق عليه، وهو كون العاقل محروما والجاهل مرزوقا، فمقتضى الظاهر أن يؤتى بالضمير؛ لأنّ هذا الحكم غير محسوس، ولكنّه وضع اسم الإشارة موضع الضمير، واسم الإشارة موضوع للمحسوس، لتمييز هذا المعنى وتحديدته تهيئة عنه بهذا الخبر الغريب^١ وهو أنّه حيّر الأوهام وأحال العالم النحرير؛ أي الذي ينحر المسائل أو يقتلها علما، أحاله جاحدا زنديقا من تقلّبات الزمن وصروف الدّهر.

٢-١-٣: **التنبيه على كمال فطنة المتلقي:** مثال هذا: قول المدرّس بعد تقرير مسألة غامضة "وهذه عند فلان ظاهرة"، فهو يشير بذلك-أي المدرس- أنّ هذه المسألة الغامضة كأنها عند فلان محسوسة بالبصر مع ما فيها من خفاء عند غيره^٢، ومقتضى الظاهر أن يقال: "هي ظاهرة عند فلان"، لكنّه عدل عن ذلك للتّنبية على كمال فطنة ذلك السامع.

٢-١-٤: **التنبيه على بلاغة المخاطب والتعريض بغاوته:**

يؤتى -أحيانا- في الكلام البليغ باسم الإشارة مظهرا مقام الضمير تعريضا بالمخاطب بأنّه يدرك المحسوس بالبصر فقط، وأما ما يدرك بالبصيرة ونفاذ العقل فلا يدركه، ومن ذلك قول الفرزدق لجبرير:

منا الذي اختير الرجال سماحة وخيرا إذا هبّ الرياح الزعازع

ومنا الذي أعطى الرسول عطية أسارى تميم، والعيون دوامع

وما الذي يعطي المثين ويشتري ال غوالي، ويعلو فضله من يدافع

^١ ينظر: محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص ٢٨١.

^٢ ينظر: عبد العزيز عبد المعطي، من بلاغة النظم العربي، ص ١٩٧.

ومنا خطيب لا يعاب، وحامل أغر إذا التفت عليه المجامع
ومنا الذي أحيا الوئيد وغالب وعمر و ممّا حاجب والأقارع
ومنا غداة الرّوع فتیان غارة إذا متعت تحت الرّجاج الأشجاع
ومنا الذي قاد الجياد على الوجا لنجران حتّى صبحتها النّزاع
أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المجامع^١.

نلاحظ في الأبيات السبعة الأولى أنّ الفرزدق يذكر أجداده ويعدّد مآثرهم بتكراره للفظه : (منا) التي تكرّرت سبع مرّات، ثمّ يلتفت في البيت الأخير بالخطاب إلى جرير بقوله: أولئك آبائي، وهو محلّ الشاهد، حيث إنّ مقتضى الظاهر أن يقول مثلاً: هم آبائي؛ لأنّ الضمير تقدّم مرجعه في الأبيات السابقة التي تتحدّث عن مفاخر آبائه وأجداده، لكنّه آثر اسم الإشارة الظاهر على الضمير للتعريض بغباوة جرير، والتنبية على كمال بلادته ويريد أن يفهمنا أنّ جريراً لا يدرك إلاّ المحسوس بالبصر، ومعلوم أنّ اسم الإشارة يدلّ على مشاهد معين^٢.

ولقد أفصح الميدانيّ عن هذا الغرض البلاغيّ وضرب عليه مثالا حيث قال: تقول لمن تريد وصفه بالبلادة، وهو يتحدّث عن كتاب بيده اشتراه وهو مبتهج بشرائه له: أرني هذا الكتاب الذي اشتريته، لقد كان مقتضى الظاهر أن تقول له: أرنيه، إلاّ أنّك أردتّ إشعاره بالبلادة، وأنّه ليس أهلاً لاقتناء الكتب^٣.

^١ همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية الفرزدق، ديوان الفرزدق، تقديم علي فاغور، ط١، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ، ص ٣٦٠.

^٢ عبد العزيز عبد المعطي، من بلاغة النظم العربيّ، ص ١٩٧.

^٣ عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية، ط٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٧م، ص

كما تحقق هذا الغرض البلاغي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾^١ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾^٢ [الطــــور: ١٣-١٥] ، فمحلّ الشّاهد قوله تعالى: هَذِهِ النَّارُ ، فلو جرى الكلام في غير القرآن على مقتضى الظاهر لقليل: ((هي النار))، و((أفسح هو))، ولكن القرآن الكريم عدل عن الإضمار فيهما إلى إظهار-اسمي الإشارة- للدلالة على عمى بصيرة المشركين والكفار، وكأنهم لا يدركون سوى المشاهدات المشار إليها" ، وليس أنسب لتوصيل هذا المعنى- في هذا المقام- من الإظهار في مقام الإضمار باسم الإشارة.

٢-١-٥: تمييز المشار إليه وادّعاء أنه ظهر ظهور المحسوس بالبصر:

يظهر هذا الغرض في قول ابن الدمينية:

تعالت كي أشجى وما بك علة تريد قتلتي، وقد ظفرت بذاك^١

نلاحظ أنّ الشاعر أظهر اسم الإشارة مقام الضمير في قوله: بذلك، مع أنّ مقتضى الظاهر يستدعي أن يأتي الكلام بالضمير، فيقول: قد ظفرت به؛ لأنّ مفسر الضمير قد ذكر من قبل، وهو كلمة القتل، لكنّ الشاعر آثر الاسم المظهر لادّعاء ظهور القتل، وأنّه في غاية الوضوح بحيث لا يشكّ فيه أحد، وتحسّ في التعبير باسم الإشارة استبعاد قتله من غيرها^٢، في حين أنّها تمكنت منه وسلبت فؤاده ومن بعد تظاهرت بالمرض ليمرض هو ويشجى، والحاصل أنّها ظفرت بمرادها، وقد صدق رسولنا صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إذ قال: ((ما رأيت أذهب بلبّ الرجل الحازم من إحداك))^٣.

^١ عبد الله بن عبيد الله الدمينية، ديوان ابن الدمينية، تح: أحمد راتب التفاح، دط، دار العروبة، ١٣٧٩هـ، ص ١٦.

^٢ ينظر: عبد العزيز عبد المعطي، من بلاغة النظم العربي، ج ١، ص ١٩٧.

٢، ١، ٦، التَّهْكُم : أو السخرية أو الاستخفاف أو الاستهزاء هي ألفاظ تدور حول معنى واحد؛ وهو غرض شائع من أغراض البلاغة في كثير من أبوابها وأساليبها^١، قال الزمخشريّ مبيناً معنى التهكم أو الاستهزاء في معرض تفسيره استهزاء الله عز وجلّ بالمنافقين "فما معنى استهزائه بهم؟، قلت: معناه إنزال الهوان والحقارة بهم؛ لأنّ المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ بهن وإدخال الهوان والحقارة عليه"^٢، وقد يؤتى باسم الإشارة مظهراً في مقام الضمير لتحقيق هذا الغرض ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الدخان: ٤٧-٤٩] ، إذا أمعنا النظر في هذه الآيات نلاحظ إظهار اسم الإشارة (هذا) الذي يقصد به العذاب والجزاء الذي سبق ذكره، وكان حقّه الإضمار؛ لتقدم المفسّر بأن يقال في غير القرآن ((إنه ما كنتم به تمترون))، لكن عدل عن هذا ووضع اسم الإشارة موضع الضمير، ومن سياق الآيات نفى على غرض التهكم حيث جيء بلفظ البشارة في موضع النذارة، والوعد في مكان الوعيد تهاونا من القائل بالمقول له واستهزاء به، وهو أغبط للمستهزئ به، وأشدّ إيلاماً له^٣، لما فرط في جنب الله.

ومما ورد في التنزيل، وفيه سخرية وتحقير لمن يستحق ذلك، قوله عزّ من قائل في سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَصْلٌ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فمقتضى ظاهر الحال أن يؤتى بالضمير (هم)، ولكن أظهر اسم الإشارة

^١ ينظر: شعيب بن أحمد ، أساليب السخرية في البيان العربي، أم القرى المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ، ص ٩٠.

^٢ الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٣٥.

^٣ ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج ٧، ط ٧، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،

(أولئك)، "وعُرفوا بالإشارة لزيادة تمييزهم بتلك الصفات، والتنبيه على أنهم بسببها أحرىء بما سيذكر من تسويتهم بالأنعام أو جعلهم أضلّ من الأنعام"^١، وفي هذا العدول البلاغي من الضمير إلى اسم الإشارة غاية التحقير والسخرية منهم والتهمك بهم.

هذا وعلى ضوء ما تقدّم يتبين أنّ لإظهار اسم الإشارة مقام الضمير أغراضا بلاغية وسمات جمالية نستقيها ونحددها بحسب السياق والمقام الداعي للعدول عن الإضمار إلى الإظهار باسم الإشارة، ومن تلك الأغراض والفوائد ما أشرنا إليه آنفا، وغيرها كثير بكثرة وتباين السياقات الكلامية.

٢,٢ الإظهار في مقام الإضمار بغير اسم الإشارة:

أمّا إذا كان المظهر الذي وضع موضع المضمّر غير اسم الإشارة كأن يكون علما، أو معرفا (بأل)، أو (بالإضافة)^٢، فإنّه يؤتى به لأغراض جمالية ونكت بلاغية كثيرة ومتنوعة تظهر بحسب السياق ومنها:

٢,٢,١ زيادة التمكين والتقرير: يتجلّى هذا الغرض في مثل قول الحقّ تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝﴾ [الإخلاص: ١-٢]، مقتضى الظاهر أن يجيء الكلام بالضمير (هو)، ولكن الله عزّ وجلّ استعمل الاسم الظاهر بدل الضمير لتوكيد وتمكين إسناد الصفات في السورة إلى الله عزّ وجلّ^٣، ووفق هذا المعنى يقول أبو موسى: "وآثر المظهر على الضمير؛ لأنّ لفظ الجلالة بمدلوله الكريم وقعا عظيما في القلوب، والمراد تمكين الألوهية وإشاعة هيمنتها في الضمائر"^٤.

^١ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤، ص ٢٨٠.

^٢ ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص ١٩٧، والقرويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج٢، ص ٨٢.

^٣ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص ٦١٧.

^٤ محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص ٢٨٣.

ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨] ، نلاحظ في هذه الآية الكريمة الإظهار في موضعين: الأول في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكِتَابٍ﴾ ومقتضى الظاهر أن يكون القول: ((وما هو منه))، والثاني في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ، إذ مقتضى الظاهر أن يجيء القول: ((وما هو من عنده))، والسر البلاغي للإظهار في موضع الإضمار: الأول والثاني هو زيادة التمكن والتقرير في نفس المخاطب، وإشعاره بمكانة المنزل والمنزل^١، وهكذا جاء التعبير بالظاهر بدل الضمير.

ومما ورد في التنزيل؛ ليستقر المعنى في النفس ويتمكن، قول ربنا سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(٧٢) ﴿ [التوبة: ٧١-٧٢] ، من الإظهار في مقام الإضمار في الآية الثانية والسبعين إظهار لفظ (المؤمنين) "لزيادة التقرير والإشعار بعلّة وصف الإيمان لحصول ما تعلّق به الوعد"^٢، وتأكيدا على رسوخ الإيمان في نفوسهم حتى تقرر وتمكن منهم أيما تمكن^٣، وأنهم بهذا استحقّوا النعيم المقيم في جنّات النعيم.

ولنتأمل إظهار لفظة الأيدي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هَالِكٌ لَوْلَا أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١١) [المائدة: ١١] ، يتبين من سياق الآية أنّ الله سبحانه وتعالى كفّ أيدي المشركين عن

^١ ينظر: الزركشي، البرهان، ج ٢، ص ٤٧٧.

^٢ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٤، ص ٨٣.

^٣ ينظر: محمد أحمد ، أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في القرآن، ص ٢٨٥.

إيذاء المسلمين بمجرد أن همّوا، وقد تقرّر هذا المعنى بالإظهار مقام الإضمار، قال أبو السعود: "وإظهار أيدهم في موضع الإضمار؛ لزيادة التّقرير؛ أي منع أن تمّد إليكم عقيب همّهم بذلك، لا أن كفّها عنكم بعدما مدّوها إليكم، وفيه من الدّلالة على كمال النّعمة من حيث إنّها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج"^١، وهذا غرض شريف ومعنى لطيف يحقّقه أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، كلما استدعى السّياق تقرير معنى، واحتيج إلى تأكيده، وتقريره لدى المخاطبين لبالغ الأهميّة، والشّواهد على هذا الغرض كثيرة مبنوثة، لاسيما في القرآن الكريم.

٢,٢,٢ قصد التعظيم والتّفخيم: قد يؤتى بالاسم مظهرا مقام الضّمير، ويراد من ذلك التّعظيم ومن أمثلة ذلك: قول ربّنا سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْفَعُ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

في نكتة إظهار لفظ الجلالة مقام الضّمير وإظهار لفظة الحبّ مضافا إلى الاسم الأعظم للدّلالة على أنّ هذا الحبّ هو أسمى أنواع الحبّ وأعلاها شرفا، فهو حبّ الله تعالى ذي الجلال، وقد جاء هذا الإظهار في معرض الحديث عن حبّ المشركين لآلهتهم؛ ليبين أنّ حبّ المؤمنين لله سبحانه أعلى وأشرف، وأنّه لا وجه مقارنة بين نوعي الحبّ إطلاقا، ولهذا جاء إظهار لفظ الحبّ مضافا إلى لفظ الجلالة تشريفا له وتّفخيما^٢.

ومن ذلك قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، فقد أظهر لفظ الجلالة الله في المرّة الثانية والثالثة في موضوع الضمير لما في هذا الإظهار من تعظيم لشأنه عزّ شأنه.

^١ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص١٣.

^٢ ينظر ، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج١، ص١٨٦.

ومما ورد-أيضا- للتعظيم قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ

النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠] ، ويقول العلوي مبينا

فائدة إظهار الاسم الأعظم الله: " فانظر إلى إظهار اسمه جل جلاله في قوله: ﴿ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ

النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾ ، وكان قياس الإعراب ((ثم ينشئ النشأة الآخرة))؛ لأنه تقدّم ما يفسّر هذا

الضمير وهو قوله: ((كيف يبدئ الله))، والفائدة من ذلك هو المبالغة في الأمر المظهر

وإظهار الفخامة فيه^١.

ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ

اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] ، والشاهد من الآية قوله

تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ))، فوضع لفظ الجلالة الله موضع الضمير إذ مقتضى الظاهر أن يقال:

((إنه))، وهذا الإظهار " يوحي بالجلال والعظمة مع مجيئه في سياق بدء الخلق، وقدرته

على إنشاء النشأة الآخرة"^٢

وكثيرة هي الآيات الكريمة التي تحقق فيها هذا الغرض ومنها:

قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفْعَ

وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥] .

وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥].

^١ العلوي، الطراز، ج ٢، ص ٧٩.

^٢ حسين بن أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، ص ٣٤.

٣,٢,٢ قصد الإهانة والتحقير: مثلما يؤتى بالاسم الظاهر موضع الضمير لغرض التعظيم يؤتى به -أحيانا- لقصد الإهانة والتحقير، وهذا الغرض أنسب وأليق بالأقوام التي لا تؤمن بالله بل وتصدّ عن سبيله، ومن النصوص القرآنية التي تحقّق فيها هذا الغرض قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝﴾ [مريم: ٤٤] ، إذ أظهر اسم الشيطان ولم يقل: **إنّه كان للرحمن عصيّا**؛ لأنّ في ذكر اسمه تنبيها إلى النفرة منه^١. ووفق هذا المعنى يقول الألوسي: "والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم، ويزيّنه لهم، عبّر بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها، ولوقوعها في مقابلة عبادته عزّ وجلّ"^٢، ومن أمثلة هذا الغرض في الشعر قول ذي الرّمة في هجاء امرئ القيس بن زيد مناة:

تخطّ إلى الفقر امرؤ القيس إنّه سواء على الضيف امرؤ القيس والفقر^٣

نلاحظ في عجز البيت أنّ الشاعر أظهر العلم المركّب (امرؤ القيس) مقام الضمير تحقيرا لصاحبه حيث إنّ البيت للهجاء.

ولنتأمّل قول ربنا سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۝﴾ [غافر: ٣٧] ، فمقتضى ظاهر الحال أن يقال في غير القرآن (وما كيده)، لتقدّم ما يفسّر الضمير وهو لفظة فرعون الأولى، ولكن عدل عن هذا إلى الإظهار لنكتة هي الإهانة والذمّ والتحقير^٤، وهو أهل للذمّ مستحقّ للإهانة.

^١ ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ١١٧.

^٢ الألوسي، روح المعاني، ج ٢٣، ص ٤٠.

^٣ غيلان بن عقبة بن مسعود ذو الرّمة، ديوان ذي الرّمة، تقديم أحمد حسن سبيح، ط ١، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ص ١٠٦.

^٤ ينظر: محمد أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن، ص ٣٩.

ومن الآيات التي جاءت على هذا النهج قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۖ﴾ [هود: ٩٧] ، وقوله تعالى أيضا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ﴾ [المزمل: ١٥-١٦]

٢، ٢، ٤: الإظهار للتلذذ بالاسم المظهر: من المعلوم-عقلا ونقلًا- أن المحبين يتلذذون بذكر أسماء من يحبون، أو ما يحبون؛ لأن قلب المحب متعلق دائما- بمحبوبه على حد قول الشاعر:

كّر على السمع مني أيها الحادي ذكر المنازل والأطلال والنادي^١.

وذلك لمعان تنقذ في الأذهان وخواطر تهدف على القلوب عند ذكر الاسم المظهر، فيحدث بسببها اطمئنان وارتياح وتلذذ.

وهذا القصد من الأغراض البلاغية واللطائف الجمالية التي يحققها الإظهار في مقام الإضمار، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۖ﴾ [٧٣-٧٤] وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۖ﴾ [الزمر: ٧٣-٧٤] والشاهد من الآيتين هو قوله تعالى في الآية الثانية "نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ" وهو إظهار في مقام الإضمار حيث لم يقل (منها)، وقد أفاد غرض التلذذ بذكر لفظة الجنة، وإن كان المراد بالأرض الجنة^٢، وفي ذكر الجنة تلذذ، ولا بدّ لأنها مراد كلّ مريد.

ومن شواهد أيضا قوله عز وجل: ﴿قَالَ لَهُمُ الْمَلَكُ إِنَّمَا بَشَرٌ مُّثَلُّكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝﴾

^١ نقلا: عن الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٤٨٧.

^٢ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٤٨٧.

وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلْيَصِِّرَنَّ عَلَيَّ مَا ءَاذِيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

[إبراهيم: ١١-١٢]

يظهر لنا جلياً في هاتين الآيتين إظهار اسم الجلالة الله مقام الضمير في عدة مواضع وفائدة الإظهار في هذا السياق "إظهار النشاط بالتوكل على الله والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل" ^١ عليه سبحانه.

ويتحقق هذا المقصد في مقامات التضرع إلى الله - عز وجل - إذ يتلذذ الداعي بذكر لفظ الجلالة ويدل على عمق الدلالة الروحية، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٨٦) يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْفَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْفَكُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٨٧) [يوسف: ٨٦-٨٧] ، فمقتضى الظاهر في غير القرآن أن يكون الكلام ((إنه لا يياس من روحه))، لكن عدل عن الإضمار إلى الإظهار؛ لأن المقام مقام تضرع وشكوى إلى الله وتلذذ باسمه، واستحضار له سبحانه في وجدان يعقوب عليه السلام، وقلبه ^٢.

ولاشك أن هذا الحسن الذي أنت واجده ممّا حقّقه الإظهار في مقام الإضمار، ومن الشواهد الشعرية على هذا الغرض البلاغي والمقصد الأسلوبى قول الشاعر:

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد.

وفي قول قيس بن الملوّح:

وقد لامني في حبّ ليلى أقاربي أخي وابن عمي وابن خالي وخاليا

يقولون ليلى أهل بيت عداوة بنفسي ليلى ومن عدوّ وماليا

^١ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٣، ص ٤٧٧.

^٢ ينظر: جمال رفيق يوسف الحاج علي، النظم القرآني في سورة يوسف، ماجستير، نابلس، فلسطين، ١٤٢١هـ، ص ٨٧.

أرى أهل ليلي لا يريدونني لها بشيء ولا أهلي يريدونها ليا^١.

وقد صرح باسم ليلي مظهرا مقام الضمير؛ ليتلذذ باسمها في وحشة بعدها عنه وملازمة قومه.

٢، ٢، ٥ أمن اللبس ورفع الغموض:

لا ريب أن الأصل في الاتصال اللغوي هو الإفادة، أما اللبس فعارض وجبت إزالته وتعين دفعه لمنافاته القصد من وضع اللغة^٢.

واللغة العربية في نظامها "تتظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التقرير بها؛ لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم"^٣، وقد أفصح تمام حسان عن هذا القصد إذ قال: "وإذا سلمنا بأن الإفادة هي المطلب الأول لاستعمال اللغة في أغراض الاتصال أدرکنا أن أمن اللبس هو أعلى ما تحرص عليه اللغة، وفهمنا لما جاءت عبارة ابن مالك حيث يقول: وإن بشكل خيف لبس يجتنب"^٤.

وعموما فإن الحديث عن اللبس وأمنه، والنقل ودفعه، والغموض ورفعته؛ كثير وفير في مظان النحو واللغة، فقد عرفنا -مثلا- في المدخل التمهيدى أن من بين أهم الأغراض التي نستعمل لأجلها الضمان أمن اللبس، ومن دقة اللغة العربية وبديع نظامها أن تجد الغرض نفسه محققا بأسلوب الإظهار في مقام الإضمار، فقد أفرد الزركشي في مؤلفه

^١ قيس بن الملوح مجنون ليلي، ديوان قيس بن الملوح، تعليق يسرى عبد الغني، ط١، لبنان، ١٤٢٠، دار الكتب العلمية، ص ٣٨.

^٢ ينظر: رشيد بلحبيبن أمن اللبس ومراتب الألفاظ، الأنترنت على موقع faculty.uaeu.ac.ae

^٣ بكر عبد الله، أمن اللبس في النحو العربي، دراسة في القرائن، دكتوراه، جامعة الموصل، ٢٠٠٩، ص....

^٤ تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ج ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ٧٦.

البرهان في علوم القرآن بابا تحت عنوان: إزالة اللبس حيث يكون الضمير يومهم أنه غير مراد^١، فيؤتى بالاسم مظهرا مقام الضمير دفعا لهذا اللبس ورفعاً للغموض.

وقد مثل لهذا القصد بقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسْقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨] ، حيث نلاحظ في الآية الكريمة إظهار المعرف بالإضافة في قوله تعالى: ((إِنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ)) في موضع الضمير؛ لدفع اللبس، ولو قال: ((إنه)) لأوهم عود الضمير إلى الفجر لأنه أقرب مذكورين وقد سبق لنا أن أشرنا في المدخل أن الأصل في الضمير عودُه على أقرب مذكور إلا بقرينة تصرفه عن هذا الأصل.

ومن أمثلة الإظهار في مقام الإضمار التي مثل بها الزركشي لأمن اللبس وإزالة الغموض أيضا "قوله تعالى: ﴿ فَدَا بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ ﴾ [يوسف: ٧٦] ، في الآية إظهار وهو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ ﴾ خلافا لمقتضى الظاهر فلو قيل: ((ثم استخرجها منه)) لأوهم عود الضمير على الأخ، فيصير المعنى كأن الأخ كان مباشرا بطلب خروج الوعاء، وليس الأمر كذلك؛ لما في المباشرة من الأذى الذي تأباه النفوس الأبية، فأعيد بلفظ الظاهر لنفي هذا التوهم.

وأما إظهار كلمة (أخيه) فإنه لو جرى على الأصل وقال: ((ثم استخرجها من وعائه))؛ لأوهم السياق أن يوسف عليه السلام استخرجها من وعائه، لأن ضمير الفاعل في ((استخرجها)) ليوسف عليه السلام^٢، والأصل في الضمير عوده على أقرب مذكور كما سبق بيان ذلك.

^١ ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٤٨٨-٤٩٠.

^٢ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٦٧، ٦٦.

ومما استشهد به في هذا الغرض أطول آية في كتاب ربنا آية الدين، قال عز من قائل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بَيْنِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاسْكُتُوا وَلْيَكُتِبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكُتِبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْشَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُمُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ مُسَوِّفٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ [البقرة: ٢٨٢]

وفي قوله تعالى: ((فَتَذَكَّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى)) إظهار في مقام الإضمار؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال: ((فتذكرها الأخرى))، ولو أضمر لكان المعنى: أن تضل فتذكر الضالة الأخرى، وذلك ليس هو المقصود، بل المراد أن الذاكرة تذكر الناسية^١، وضمن هذا المعنى يقول محمد بن صالح معلقاً على هذه الآية: "وفي قوله تعالى: أَنْ تَضِلَّ إِحْدَهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى، من البلاغة، إظهار في موضع الإضمار؛ لأنه لم يقل فتذكرها الأخرى؛ لأنَّ النسيان قد يكون متفاوتاً فتنسى هذه الجملة، وتنسى الأخرى جملة، فهذه تذكر هذه بما نسيت، وهذه تذكر هذه بما نسيت، فهذا قال تعالى: ((فتذكر إحداهما الأخرى)) لئلا يكون المعنى قاصراً على واحدة هي الناسية والأخرى تذكرها"^٢.

^١ ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣ ص ١١٠.

^٢ محمد بن صالح، تفسير ابن عثيمين، ج ٣، ط ١، القاهرة، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣م، ص ٤٠٧.

ومن الطرائف في هذا السياق^١ التي تعدّ كما يقال من ملح العلم ما أشار إليه ابن عاشور-رحمه- من أنّ مقام الإظهار هنا قد حير كثيرا من المفسرين، الأمر الذي جعل الخفّاجي يرسل رسالة إلى شهاب الدين الغزنوي يقول فيها^٢

يا رأس أهل العلوم السادة البرره ومن نداه على كلّ الورى نشره
ما سرّ تكرار إحدى دون تذكرها في آية لذوي الأَشهاد في البقره
وظاهر الحال إيجاز الضمير على تكرار إحداهما لو أنّه ذكره
وحمل الإحدى على نفس الشّهادة في أولاهما ليس مرضيا لدى المهره
فغص بفكرك لاستخراج جوهره من بحر علمك ثمّ ابعت لنا درره
فأجاب الغزنوي:

يا من فوائده بالعلم منتشره ومن فضائله في الكون مشتهره
تضلّ إحداهما فالقول محتمل كليهما فهي للإظهار مفتقره
ولو أتى بضمير كان مقتضيا تعيين واحدة للحكم معتبره
ومن رددتم عليه الحلّ فهو كما أشرتم ليس مرضيا لمن سبره
هذا الذي سمح الذهن الكليل به والله أعلم في الفحوى بما ذكره.

وقد يتعين الإظهار في مقام الإضمار لأجل إزالة اللبس والغموض، كما لو تقدّم الضمير مرجعان يصلح عوده إلى كل منهما، والمراد أحدهما كقول الإمام مثلا: اللهم أصلح

^١ ينظر: حسين بن أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن، ص ٤٥.

^٢ ينظر: التحرير والتتوير، ج ٣، ص ١١١.

للمسلمين ولاية أمورهم وبطانة ولاية أمورهم، ولو قيل ((وبطانتهم)) لأوهم أن يكون المراد ببطانة المسلمين^١ "والإمام يقصد ببطانة الولاية"، فهذا تعيّن الإظهار لئلا يحصل اللبس.

٦,٢,٢ إدخال الرّوع وتربية المهابة:

يوضع الظاهر مقام المضمّر، ويكون القصد منه "إدخال الرّوع في نفس السامع، وتربية المهابة، أو طلب امتثال ما أمر به المتكلم، مثالها قول الخلفاء: ((أمير المؤمنين يأمر بكذا))، فإن مقتضى الظاهر أن يقول: ((أنا آمر بكذا))؛ لأنّ المقام للمتكلم، ومعلوم أنّ إسناد الأمر إلى لفظ أمير المؤمنين دون الضمير الذي هو أنا موجب لتقوية الدّاعي على الامتثال وتربية المهابة^٢ لما يقذفه فيه الاسم المظهر من هيبة وجلال يستحضرها المخاطب عندما يطرق سمعه الاسم المظهر مقام الضمير.

وقد تجلّى هذا الغرض في أوضح صوره وأبين مقاصده في بعض المواضع^٣ التي أظهر فيها الاسم الأعظم مقام الضمير في كتاب الله العزيز، قال محمّد أبو موسى: "خذ المصحف واقرأ فيه من أيّ موضع تشاء تجد هذا الأسلوب وكأنّه أصل من أصول البلاغة القرآنية، تجد أسماء الله الحسنى، وخصوصاً هذا الاسم الأعظم يقع هذا الموقع في كثير من الجمل القرآنية ينساب نورها الغامر في القلوب، وتشيع مدلولاتها، فتتمكّن من النفوس زيادة تمكّن، وتتقرّر في السرائر أحسن قرار، وبذلك تتربّى مهابة الحقّ وحده في الأمة التي يربّيها القرآن، فلا يكون في صدرها خشية إلاّ لله وللحقّ"^٤.

^١ ينظر: محمّد بن صالح، شرح أصول التفسير، ص ٣٨٢.

^٢ عبد العزيز عبد المعطي، من بلاغة النظم العربي، ج ١، ص ٢٠٠.

^٣ ينظر: محمد أحمد، أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، ص ٢٦٢.

^٤ محمّد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص ٢٤٧.

ومما ورد في القرآن الكريم، وقد تحقق فيه هذا القصد قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾^١ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أظهر الاسم الأعظم في الآية الكريمة بجمالها الثلاثة في مقام الضمير؛ "لإدخال الروعة وتربية المهابة، وللتنبية على استقلال كل منهما بمعنى حيالهم، فإن الأولى حث على التقوى، والثانية وعد بالإنعام، والثالثة تعظيم شأنه تعالى"^١، ولو جاء الكلام في هذا السياق على أصل مقتضى الظاهر، فقل: ((واتقوا الله ويعلمكم وهو بكل شيء عليم)) لما تحقق هذا القصد والمعنى اللطيف الذي ذكرناه آنفا.

وفي قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [غافر: ٤٩]، إظهار لفظ جهنم مقام الضمير، ولو جاء الكلام على مقتضى الظاهر، لقل: لخزنتها؛ لتقدم مفسر الضمير، فإذا أمعنا النظر في سياق الآية الكريمة، نجده سياق تخويف وترهيب، ولهذا جاء العدول بالاسم الظاهر عن الضمير لإدخال الروع والمهابة في ضمير المخاطبين^٢، وإن شئت الاستزادة من شواهد هذا القصد- أي إدخال الروع وتربية المهابة- فاقراً بتدبر هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^٣ [البقرة: ٢٢٩].

وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^٤ [آل عمران: ١٩].

^١ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ١، ص ٢٧١.

^٢ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٦٧.

وقال عزّ شأنه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاؤُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣] ، وقال تعالى: ﴿ لَقَآئُهُ ۖ مَا لَقَآئُهُ ۖ وَمَا أَذْرَكَ مَا لَقَآئُهُ ۖ ﴾ [الحاقة: ٣-١].

قال تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ ۖ مَا الْقَارِعَةُ ۖ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ۖ ﴾ [القارعة: ٣-١] .

والقرآن الكريم زاخر بالأمثلة والشواهد على هذا الغرض في حلاوة سياق وبلاغة أداء.

٧، ٢، ٢ الاستعطاف وطلب الرحمة:

قد يُقصد بالإظهار في مقام الإضمار تحريك العطف والرحمة المتفرّع عن دلالة الاسم المظهر مقام الضمير، نحو قول الشاعر:

إلهي عبدك العاصي أتاك
مقرًا بالذنوب وقد دعاكا

فإن تغفر فأنت لذاك أهل وإن تطرد فمن يرحم سواكا^١

محلّ الشاهد هو قوله عبدك وهو معرّف بالإضافة مظهر في مقام الإضمار حيث لم يقل: أنا العاصي أتيتك على أن يكون العاصي بدلا؛ لأنّ في ذكر عبدك من استحقاق وترقّب الشفقة ما ليس في لفظ أنا^٢.

ومما هو بسبيل من غرض الاستعطاف واستدراار الرحمة والشفقة قول ربنا سبحانه وتعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ [يوسف: ٩-١٠] ، فلو جرى الكلام على أصل مقتضى الظاهر لقل: ((لا تقتلوه وألقوه في غيابة الجب))، وهو إظهار في مقام الإضمار باسم يوسف عليه السلام طلبا للرحمة والشفقة

^١ البيت ينسب إلى إبراهيم بن أدهم كما في الحاشية على المطول.

^٢ السيّد الشريف الجرجاني، الحاشية على المطول، تح: رشيد أعرضي، ط١، لبنان، ٢٠٠٧، ص ٢٧٦.

والعطف^١ من إخوة يوسف الذين أجمعوا أمرهم على قتل أخيهام عليه السلام دون جريرة، وهذا ما بيّنه الشوكاني بقوله: " قيل ووجه الإظهار في (لا تقتلوا يوسف) استجلاب شفقتهم عليه"^٢؛ ليرجعوا عن قتله. وفي موضع آخر من سورة يوسف تحقّق غرض الاستعطاف وطلب الرّحمة، وهو قول الله سبحانه وتعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣] ، نلاحظ في الآية الكريمة إظهار لفظ ربّي مقام الضمير الهاء (إنّه) وإيثار الإظهار في مقام الإضمار مع التّعريض لعنوان الربوبية لتربية مبادئ المغفرة والرّحمة^٣، وشبّه بهذا الإظهار قوله تعالى مخاطبا نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩] ، الآية ٩٧، ٩٨، ففي قوله تعالى: ((اعبد ربك)) إظهار في مقام الإضمار؛ لأنّه قد سبق مفسّر الضمير وهو لفظه ربك في قوله تعالى: ((فسبح بحمد ربك))، ولقد وضّح أبو السعود اللطيفة من هذا الإظهار، إذ قال: " وإيثار الإظهار بالعنوان السالف أنفا لتأكيد ما سبق من إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام"^٤، وهو الذي لاقى الصّعاب وتحمل الشّدائد وصبر على المحن في سبيل الدّعوة إلى الله.

٢، ٨، التنبية على علّة الحكم: وهذا المقصد الأسلوبّي يعدّ عنصرا من عناصر الإشارة في الكلام؛ حيث إنّ المخاطب إذا كان يتربّب شيئا ثمّ يأتي آخر، فإنّ ذلك يحمله

^١ ينظر: مشاعل أنور يوسف، الإضمار والإظهار في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في التفسير الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨م، ص ٩٣.

^٢ محمد بن عليّ بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج ٣، تح: سيّد إبراهيم، دط، القاهرة، دار الحديث، ص ١١.

^٣ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٣، ص ٤٠٥.

^٤ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٣، ص ٣٧.

على التفكير في السبب والتدبر في المعنى، كما أنّ تغيّر أسلوب الكلام من ضرب إلى ضرب فيه دفع للسامة والملل عن المخاطبين، قال الزّمخشري: " الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السّامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد".^١

وهذا المقصد الأسلوبى والغرض البلاغى من أهمّ اللطائف الجمالية التي يحقّقها الإظهار في مقام الإضمار في بعض السياقات النظميّة؛ لأنّ مقتضى الظاهر - كما مرّ في التعريف - يقتضى الإضمار، ولكنّ يُعدل عن هذا فيؤتى بالظاهر مقام الضمير، فينتبّه المخاطب المتذوّق، ويفكّر في السبب، ووفق هذا المعنى يقول ابن عاشور: " الاسم الظاهر أنفذ في السّمع وأجلب للتنبية"^٢، إذ يكون المظهر كالدليل أو السبب للحكم، ولهذا أثر كبير، وأهميّة بالغة في تفسير بعض الآيات الكريمة التي ورد فيها أسلوب الإظهار في مقام الإضمار؛ حيث إنّ اقتران الحكم بعلمته وسببه أوقع في النّفس، وأبعد عن الشكّ في الحكم لاقتراحه بحيثيات قبوله^٣، ومن شواهد هذا الغرض قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٥٩﴾ [البقرة: ٥٩] ، فلو جرى الكلام على أصل مقتضى الظاهر، لقليل في غير القرآن ((فأنزلنا عليهم)) لتقدّم ما يفسّر الضمير، وإظهار الاسم الموصول مقام الضمير في الآية للتنبية على أنّ الحكم عليهم بإنزال العذاب كان بسبب ظلمهم الذي ظهرت آثاره بأعمال الفسق الذي كانوا يفسقونه^٤، ويقول الزّمخشري في تفسير هذه الآية أيضا: " وفي تكرير ((الذين ظلموا))

^١ الزّمخشري، الكشاف، ج ١، ص ١٤.

^٢ ابن عاشور، التّحرير والتّوير، ج ٢٦، ص ٤٧.

^٣ ينظر: أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، ص ٢٩٩.

^٤ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٦٩.

زيادة تقبيح أمرهم وإيدان بأن إنزال الرّجز عليهم لظلمهم"^١، وفي سورة البقرة أيضا يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠] ، حيث نلاحظ إظهار الاسم الأعظم مقام الضمير " للإشعار بعلة الحكم - الذي هو عدم خلف العهد - فإن عدم الإخلاف من قضية الألوهية"^٢، ولو جرى الكلام على مقتضى الظاهر، ل قيل: ((فلن يخلفه))، وثمة آية أخرى في سورة البقرة، تحقق فيها غرض الإشعار بعلة الحكم، وهي قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ بِسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [البقرة: ٩٠] ، فإذا أمعنا النظر في الآية الكريمة، فإننا نلاحظ الإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: ((وللكافرين))؛ أي ((لهم))، " والإظهار في موضع الإضمار للإشعار بعليّة كفرهم لما حاق بهم"^٣، فجاء الإظهار ليقترن الحكم بسببه.

ومن الآيات التي تحقق فيها هذا الغرض البلاغي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكهف: ١-٣] ، كان مقتضى ظاهر الحال أن يقال: ((فصل لنا))؛ حيث إنّ المقام لضميري المتكلم والمخاطب، ولكن أظهر لفظ (ربك) للتنبيه على أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأغدق عليه بنعمه، وهذا ما بينه ابن عاشور إذ قال: "والعدول عن الضمير

^١ الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ١٧٢.

^٢ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ١، ص ١٢١.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٦٤.

إلى الاسم الظاهر في قوله: ((فصل لربك))، دون ((فصل لنا))؛ لما في لفظ الرب من الإيحاء إلى استحقاقه العبادة لأجل ربوبيته فضلا عن فرط إنعامه^١.

هذا، وهناك شواهد كثيرة في كتاب الله تعالى على هذا الغرض؛ أسوق بعضا منها لنتأملها:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الحشر: ٥].

وقال أيضا: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٧].

٩، ٢، ٢ الإظهار للتمكن من إجراء الوصف: وهذا أحد أهم الأغراض والمقاصد الأسلوبية للإظهار في مقام الإضمار؛ حيث إن المتقرر في علم العربية أن الضمير لا يوصف ولا يوصف به، قال الرضي في شرح الكافية: " اعلم أن المضمّر لا يوصف ولا يوصف به؛ أمّا أنّه لا يوصف فلأنّ المتكلم والمخاطب منه: أعرف المعارف، والأصل في وصف المعارف أن يكون للتوضيح، وتوضيح الواضح تحصيل للحاصل وأمّا الوصف المفيد للمدح أو الذمّ، فلم يستعمل فيه؛ لأنّه امتنع فيه ما هو الأصل في وصف، ولم يوصف الغائب، إمّا لأنّ مفسره في الأغلب لفظي، فصار بسببه واضحا غير محتاج إلى التوضيح المطلوب في وصف المعارف في الأغلب، وإمّا لحمله على المتكلم والمخاطب؛ لأنّه من جنسهما.

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٧٥٤.

وأما أنه لا يوصف به، فلما يجيء من أن الموصوف في المعارف ينبغي أن يكون أخص أو مساويا ولا أخص من المضمّر، ولا مساوي له، حتى يقع صفة له^١، وبهذا البيان يتّضح -جلّيا- أنه إذا ما أريد التّوصّل إلى الوصف، في بعض السّياقات الكلاميّة، فإنّه يؤتى بالاسم مظهرا، ومن أمثلة هذا الغرض قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، في الآية الكريمة إظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى ((فآمنوا بالله ورسوله)) مع أن مقتضى الظاهر أن يقال: ((وبي))، فأفاد هذا الإظهار قصد التمكن من إجراء الصفات التي ذكرها من النبي الأمي الذي يؤمن بالله، فإنّه لو قال: ((وبي)) لم يتمكن من ذلك؛ لأنّ الضمير لا يوصف^٢.

وفي هذا السّياق يقول الزّمخشرّي أيضا: " فإن قلت: هلا قيل: ((فآمنوا بالله وبي)) بعد قوله: ((إني رسول الله إليكم))، قلت: عدل من المضمّر إلى الاسم الظاهر؛ لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة؛ وليعلم أن الذي أوجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقلّ بأنّه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري إظهارا للنصفة وتغاديا للعصبية لنفسه"^٣، إذ في تلك الأوصاف حجة وبرهان على صدق رسالته.

١٠,٢,٢ الإظهار لتقوية استقلال الجملة واستغنائها عما عداها: يغلب تحقّق هذا القصد الأسلوبيّ والغرض البلاغيّ في خواتيم الآيات؛ لجعل الجملة مستقلة بذاتها في الدلالة

^١ رضي الدين الاسترآبادي، شرح كافية ابن الحاجب، ط١، بيروت، لبنان، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، ١٤٣٣م، ص٢٤٩.

^٢ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص٤٩٢.

^٣ الزّمخشرّي، الكشّاف، ج٢، ص١٥٧.

والإفادة، وبهذه الاستقلالية تكون الجملة بمثابة قضية كلية لها صفة العموم^١، ومن أمثلة هذا القصد قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ٥٦﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فقد أعيد لفظ ((الحكمة)) ظاهراً مقام الضمير الهاء (يؤتها)؛ لكون الجملة مستقلة في المعنى حسن فيها الإظهار^٢ مقام الإضمار.

ومن الشواهد أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥٧﴾ [آل عمران: ٢٩]، ففي هذه الآية إظهار الاسم الأعظم (الله)، ولو جرى الكلام على مقتضى الظاهر لقليل: ((وهو على كل شيء قدير)) ولكن عدل عن الضمير إلى الاسم الظاهر إشارة إلى استقلال الجملة، وهذا ما أفصح عنه ابن عاشور بقوله: "أظهر اسم الله دون ضميره فلم يقل: وهو على كل شيء قدير؛ لتكون الجملة مستقلة، فتجري مجرى المثل"^٣، ووفق هذه الآية الكريمة إظهار لفظ الجلالة في ختام بعض الآيات؛ لتكون جملة الختام مستقلة في إفادة حكم مستقل يمكن أن يستدل به استدلالاً مستقلاً، ولننعم النظر في إظهار الاسم الأعظم في الآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ٥٨﴾ [النساء: ٤٥]

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وظُلْمًا فَسَوْفَ نُضِلُّهُ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى

اللَّهِ يَسِيرًا ٥٩﴾ [النساء: ٣٠]

وقال عز من قائل: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٦٠﴾ [المائدة: ٧]

^١ ينظر: الميداني، البلاغة العربية، ج ٢، ص ١٠٤

^٢ ينظر: أحمد عبد الرزاق، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، ص ٦٢.

^٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٢٢٢.

^٤ ينظر: أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في القرآن، ص ٣٠٢.

وقال عزّ شأنه: ﴿وَيَزِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٨]

يظهر للمتمعّن المتدبّر في سياق الآيات المذكورة أنفا إظهار الاسم الأعظم مقام الضمير لأغراض ومقاصد منها ما ذكرناه في موضعه من هذا الفصل كتربية المهابة، وإدخال الرّوع، وبيان علّة الحكم، وقصد العموم حيث تناغمت هذه الأغراض وتضافرت مع قصد استقلال الجملة لتجري مجرى المثل.

٢، ١١: الإظهار لإرادة التعميم:

من الأغراض والمقاصد المستفادة من الإظهار في مقام الإضمار إرادة التعميم أو العموم "ويقصد بهذا الغرض أن يكون الإظهار لتعميم الحكم على المذكورين في الآية وعلى من سلك سبيلهم وفعل فعلهم، وتكون جملة الإظهار كالقاعدة العامة المطّردة"^١، ومن أجل الشواهد على نكتة العموم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]

عُدل عن الإضمار في الآية الكريمة إلى إظهار كلمة (الكافرين) إيدانا بعلّة كفر المذكورين لما لحق بهم، وإرادة لقصد العموم إذ يدخل المعهودون فيه على طراز ما مرّ^٢، وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ((قل أطيعوا الله والرسول فإن تولّوا فإن الله لا يحب الكافرين)) [آل عمران، ٣٢]، ففي الآية الكريمة إظهار لفظة (الكافرين) مقام الضمير "لتعميم الحكم لكل الكفرة والإشعار بعلّته فإنّ سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والإيذان بأنّ التولّي عن الطاعة كفرٌ وبأنّ محبّته عزّ وجلّ مخصوصة بالمؤمنين"^٣ لاستحقاقهم إياها.

^١ محمد أحمد، أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، ص ٣٠٤

^٢ ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١، ص ٤٨٨

^٣ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٢، ص ٢٥

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥] ، فمقتضى الظاهر في الآية الكريمة أن يقال في غير القرآن (كذلك يجعل الله الرجس عليه) فيؤتى بالضمير لتقدّم ما يعود عليه في صدر الآية، وقوله تعالى: ((الذين لا يؤمنون)) موصول يومئ إلى علّة بناء الخبر أن يجعل الله الرّجس متمكنا منهم؛ لأنهم يعرضون عن تلقّيه بإنصاف، فيجعل الله قلوبهم متزايدة بالقساوة ، والموصول يعمّ كلّ من يُعرض عن الإيمان فيشمل المشركين المخبر عنهم، ويشمل غيرهم من كل مَنْ يُدعى إلى الإيمان فيُعرض عنه مثل يهود المدينة والمنافقين وغيرهم^١.

وهذا المعنى اللطيف والغرض الشريف ممّا حققه العدول عن الإضمار إلى الإظهار. كما أنّ الأمثلة على هذا المقصد البلاغي كثيرة منها ، - إضافة إلى ما سبق ذكره - :

- قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤]

- وقوله سبحانه: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ [يونس: ٢]

١١، ٢، ٢ الإظهار لقصد الخصوص: ومثال هذا وبيانه قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿وَأَمْرًا مُّؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ، ولم يقل: ((إن وهبت نفسها لك)) مع أنّ المخاطب هو النّبيّ صلى الله عليه وسلّم، بل وضع الاسم الظاهر موضع الضمير للدلالة على الخصوصية؛ أي أنّه أبيع ذلك للنّبيّ صلى الله عليه وسلّم دون سواه، وفي هذا

^١ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٦١

يقول الزركشي: " فعدل عنه إلى الظاهر للتنبيه على الخصوصية، وأنه ليس لغيره ذلك"¹، حتى لا يتوهم واهم خلاف ذلك، وأضاف ابن عاشور لطيفة على هذا الغرض إذ قال: " والغرض من هذا الإظهار ما في لفظ النبي من تزكية فعل المرأة التي تهب نفسها بأنها راغبة لكرامة النبوة"²، وأكرم به من مقام.

ومما يُستشهد به لهذا القصد قول ربنا سبحانه: ﴿بَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٥٩﴾ [البقرة: ٥٩]، فأظهر ((الذين ظلموا))، ولو جرى الكلام على مقتضى الظاهر - كما عرفنا من قبل - لقل: ((فأنزلنا عليهم)) ؛ ليعلم أن الرجز خصّ الذين بدّلوا القول وهم الظالمون، ولم يعمّ الرجز جميع بني إسرائيل³، والله أعلم بالفحوى بما أنزل.

١٣, ٢, ٢ الإظهار ليتحمّل الاسم المظهر ضميراً لا بدّ منه: هذا الغرض ذكره الزركشي في البرهان وتبعه السيوطي في الإتيان، وذكرنا عليه مثالا من كتاب الله، وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّعُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧] ، لم يقل المولى سبحانه: ((استطعماها))؛ لأنهما لم يستطعما القرية، ولم يقل - أيضا - ((استطعماهم))؛ لأن جملة (استطعما) صفة للقرية، - وهي نكرة - لا لأهل، ولهذا لا بدّ أن يكون فيهما ضمير يعود عليها، ولا يتأتى إلا بالإظهار⁴.

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٧١.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ٦٩.

³ ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ١، ص ٢١٧.

⁴ ينظر: الزركشي، البرهان، ج ٣، ص ٨٧١، والسيوطي، الإتيان، ج ٢، ص ٨٦٧.

ومن طريف ما يذكر في هذا المقام أن صلاح الدين الصفدي (ت ٧٤٦هـ) قد استشكل عليه السرّ البلاغي^١ للإظهار في مقام الإضمار في الآية المذكورة، فأرسل رسالة إلى نقي الدين السبكي (ت ٧٥٦هـ) قائلاً:

أسيّدنا قاضي القضاة ومن إذا	بدا وجهه استحيا له القمران
ومن كفّه يوم النّدى ويراعه	على طرسه بحران يلتقيان
ومن إن دجت في المشكلات مسائل	جلاها بفكر دائم اللّمعان
رأيت كتاب الله أكبر معجز	لأفضل من يهدي به الثقلان
ولكنني في الكهف أبصرت آية	بها الفكر في طول الزّمان عناني
وما هي إلا ((استطعما أهلها)) فقد	نرى ((استطعماهم)) مثله ببيان
فما الحكمة الغراء في وضع ظاهر	مكان ضمير إن ذاك لشان
فأرشد على عادات فضلك حيرتي	فمالي بها عند البيان يـدان

٢، ٢، ١٤ التعجب والتشنيع واستثارة الإنكار: ممّا ورد في القرآن الكريم محققاً فيه هذا الغرض قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا السَّيِّئُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّئَلَّا يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي حَرَّمَ مَا هُمْ بِهِ يُفْعَلُونَ ﴾ [التوبة: ٣٧]

"والإظهار في قوله تعالى: ((فيحلّوا ما حرّم الله)) دون أن يقال: فيحلّوه؛ لزيادة التّصريح بتسجيل شناعة عملهم، وهو مخالفتهم أمر الله تعالى، وإبطالهم حرمة بعض الأشهر الحرم

^١ ينظر: أحمد عبد الرزاق، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، ص...

^٢ ينظر: السيوطي، الإتقان، ج ٢، ص ٨٦٧.

تلك الحرمة التي لأجلها زعموا أنهم يحرمون بعض الأشهر الحلال حفاظاً على عدّة الأشهر التي حرّمها الله تعالى^١، وفي هذا استتكار لعملهم الذي عملوه.

ونستأنس لهذا القصد بشاهد آخر وهو قوله تعالى في سورة (ص): ﴿مَنْ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِهِ ۝ كَرِهْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَبْلُ فَتَدَاوَى وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝ وَنَجَّيْنَاهُمْ أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝﴾ [ص: ١-٤] ، ويظهر في الآية الرابعة إظهار لفظ (الكافرون)، إذ إنّ مقتضى الظاهر وهو الإضمار على نسق الآيات التي من قبل، فيقال في غير القرآن: ((وقالوا هذا ساحر كذاب))، والإظهار في هذا المقام للتعجب من فظاعة مقالتهم واستثارة التكرير عليهم بالكفر الذي جسرهم على هذا القول^٢ وبئس القول والقاتلون.

١٥، ٢، ٢ الإظهار مراعاة للمحسنات البديعية:

مثّل الزركشي^٣ لهذا الغرض بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكٍ ۝ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝﴾ [الناس: ١-٣] ، إذ في الآيات مراعاة للجناس والفواصل، وذلك بإظهار كلمة الناس ولو جاء الكلام بالضمير لقل: ملكهم، إلههم، ولكنه عدل عن ذلك للنكته المذكورة التي تعطي السياق إيقاعاً معيناً، وأضاف الشوكاني لطائف أخرى لهذا الإظهار، حيث قال: "وكرر لفظ الناس في الثلاثة المواضع؛ لأنّ عطف البيان يحتاج إلى مزية الإظهار؛ ولأنّ التكرير يقتضي مزيد شرف الناس"^٤.

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ١٩٤.

^٢ ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٥٠٠.

^٣ ينظر الزركشي، البرهان، ج ٢، ص ٤٩٦.

^٤ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ط ٢، مصر، مطبعة مصطفى، ١٣٨٣هـ، ص ٥٢٢.

وبعد، فهذا طرف من اللطائف الجمالية والنكت البلاغية للإظهار في مقام الإضمار يدركها كل ذواقة أصيل الفكر من سياقات نظمية متباعدة -شعرية أو نثرية- ومن كتاب الله تعالى.

وأما في كتاب الله العزيز فالمجال أرحب والمساحة أوسع، حيث تعددت الأغراض التي يرمي إليها الإظهار في مقام الإضمار، إذ تبين لنا ممّا سبق ذكره أنّ الإظهار في مقام الإضمار يأتي لتحقيق أغراض ونكت تتصل بالاسم المظهر كالتعظيم والتّخيم، وتربية المهابة والتّلدّذ...

كما يأتي الإظهار في مقام الإضمار لأغراض تتصل بمضمون الجملة ومن ذلك زيادة التّقرير والتّأكيد، وقصد العموم، والخصوص، وتقوية استقلال الجملة؛ لتجري مجرى المثل.

كما ظهر لنا - أيضا - من خلال ما استعرضناه لبعض الأغراض واللطائف المستنبطة لهذا الأسلوب أنّ هناك تناغما لكثير من الأغراض البلاغية والمقاصد الأسلوبية، بعضها مع بعض، بحيث يمكن أن يصلح الشّاهد الواحد لأكثر من غرض بلاغي ولطيفة جمالية.

الفصل الثالث:

جماليات الإظهار في مقام
الإضمار في ديوان عليّ بن
أبي طالب

لعلّ من المستحسن قبل أن أشرع في بيان اللطائف الجمالية والأغراض البلاغية لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار في الشواهد المستخرجة من ديوان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أن أدرج - في بداية هذا الفصل - ترجمة موجزة لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، لاسيما وقد أخذ مكانه من عنوان البحث.

١- ترجمة عليّ بن أبي طالب:

لا غرو إذا ما قلنا: إنّه حقّ للقارئ المتمعّن في سيرة الصّحابيّ الجليل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقف وقفة إجلال وإكبار لهذا الرّجل العظيم والأمير الهمام، والصّحابيّ الجليل.

١-١ - اسمه ونسبه:

هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشميّ القرشيّ، يكنّى أبا الحسن وأبا تراب ، واسمُ أبيه - أبا طالب - عبدُ مناف على الأصح، وأمّ عليّ بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد الله^١.

١-٢ - مولد ونشأته:

ولد عليّ بن أبي طالب قبل البعثة بعشر سنوات على الصحيح أي سنة (٢٣ ق هـ)، فترعرع في حجر النّبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، وكان اللّواء بيده في أكثر المشاهد، ولمّا آخى النّبيّ صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال له أنت أخي^٢.

^١ ينظر: أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ص

كان عليّ رضي الله عنه "أصغر ولد أبي طالب، وكان أصغر من جعفر بعشر سنين، وروى - عن سلمان، وأبي ذرّ، والمقداد، وخباب، وجابر وأبي سعيد الخدري، وزيد بن الأرقم - أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أوّل من أسلم، وفضله هؤلاء على غيره.

من نعم الله على عليّ رضي الله عنه أنه كان من الأولين الذين آمنوا بما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال إسحاق: أوّل من آمن بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الرجال عليّ بن أبي طالب، وهو قول ابن شهاب، إلا أنّه قال: من الرجال بعد خديجة"^١.

هو أوّل النّاس إسلاماً بعد خديجة رضي الله عنها، وقد اختلف في السنّ التي أسلم فيها عليّ رضي الله عنه، فقيل: أسلم عليّ وهو ابن ثمان، وقال الحسن بن زيد بن الحسن: أسلم وهو ابن تسع، وقال المغيرة: أسلم وله أربع عشرة سنة، وقد رواه جرير عنه، وثبت عن ابن عباس، قال: أوّل من أسلم عليّ، وعن محمد القرظي قال: أوّل من أسلم خديجة، وأوّل رجلين أسلما أبو بكر وعليّ، وإنّ أبا بكر أوّل من أظهر الإسلام، وكان عليّ يكتُم الإسلام فرقا من أبيه، حتى لقيه أبو طالب، فقال: نعم، قال آزر ابن عمّك وانصره وأسلم عليّ قبل أبي بكر"^٢.

ومن أوصافه العقلية في طفولته "أنّه كان طفلاً مبكر النماء سابقاً لأنداده في الفهم والقدرة: لأنّه أدرك في السادسة من عمره شيئاً من الدعوة التي يدقّ فهمها والتنبه لها على

^١ محمد بن جرير الطبريّ، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة
^٢ ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، تح: زهير الناصر، دار طوق النجاة.

من كان في مثل هذه السنّ المبكرة، فكانت له مزايا التبكير في النماء، كما كانت له أعباءه ومتاعبه التي تلازم أكثر المبكرين^١ رضي الله عنه.

١-٣- ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

لقد صحب عليّ بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولزمه منذ أن بعث إلى أن توفي عليه الصلاة والسلام، وهاجر بعد النبي صلى الله عليه وسلم بوقت قصير؛ لأنه تركه في بيته ليلة الهجرة، وأمره أن يؤدي ودائع الناس، و ورد عنه أنه قال: لما خرج رسول الله عليه وسلم إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس، ولذا كان يسمى الأمين، فأقمت ثلاثاً، فكنت أظهر ما تغيبت يوماً واحداً، ثم خرجت فجعلت أتبع طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت بني عمرو بن عوف، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم، فنزلت على كلثوم بن الهمد، وهنالك منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد معه المشاهد كلها عدا تبوك، فإنه أخلفه في أهله كما ورد في صحيح البخاري عن مصعب بن سعد، عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك، واستخلف عليّاً، فقال أتخلفني في الصبيان والنساء؟، قال: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"^٢.

كما أنّه روى الكثير عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعرض عليه القرآن وأقرأه^٣.

^١ محمود عباس العقاد، عبقرية الإمام عليّ، ط٨، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ٢٠٠٣، صص ٧، ٨.

^٢ محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث القاهرة، ص.

^٣ ينظر: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٣، ص١٩.

١-٤ - تلامذته:

روى عنه من الصحابة ولداه: الحسن والحسين، وابن مسعود، وأبو موسى، وابن عباس، وأبو رافع، وابن عمر، وأبو سعيد، وصهيب، وزيد بن أرقم، وجريز، وأبو أمامة، وأبو جحيفة، والبراء بن عازب، وأبو طفيل، وآخرون، ومن التابعين من المخضرمين: عبد الله بن شداد بن الهاد، وطارق بن شهاب، وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، ومسعود بن الحكم، ومروان بن الحكم، وآخرون، ومن بقية التابعين عدد كثير من أجملهم أولاده: محمد وعمر و العباس^١.

١-٥ - مناقبه:

ال خليفة الراشد عليّ بن أبي طالب أحد أساطين البيان وأرباب البلاغة، تشهد لذلك خطبه العصماء وشعره الأخاذ ، وإنّ من شواهد النحويين قولهم: مسألة ولا أبا الحسن لها، كما تكاد تجمع الروايات أنّ واضع النحو العربي هو أبو الأسود الدؤلي بأمر عليّ رضوان الله عليه ،

لقد ترك عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إرثا من علوم الدين والأدب جعلته خالد الأثر، فكان مؤثرا فيمن جاؤوا بعده، وهذه بعض أقوال السلف تقرظه، وزيادة على ما أسلفنا من منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس: لعليّ رضي الله عنه أربع خصال ليست لأحد غيره: هو أول عربيّ وعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،

^١ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ص.

وهو الذي كان لواؤه معه في كلّ زحف، وهو الذي صبر معه يوم فرّ عنه غيره، وهو الذي غسّله وأدخله لقبره^١.

وعن عبد الله بن أبي سليمان، قال: قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد أعلم من عليّ، قال: لا والله ما أعلمه^٢.

وقال الإمام أحمد ابن حنبل: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعليّ^٣، وهذا دليل على غزارة علمه.

١-٦- نبذة من أخباره:

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية سعدا فقال له: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟، فقال: ما ذكرت ثلاثا قالهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأن تكون لي واحدة منهنّ أحب إليّ من أن يكون لي حمر النعم، فلن أسبّه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لأعطين الراية رجلا يحبّ الله ورسوله، فتطاولنا عليها فقال: "ادعوا لي عليّا، فأتاه، وبه رمد فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه"، وأنزلت هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ [آل

^١ يوسف بن عبد الله بن عبد البر، مرجع سابق، ص ١٠٩٠.

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ١١٠٤.

^٣ ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٦٤.

عمران: [٦١] ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال اللهم هؤلاء أهلي^١.

وقد عرف عليّ بن أبي طالب بالشجاعة وقد كانت شجاعته^٢ من الشجاعات التي يشرف بها من يصيب بها ومن يصاب، ويزيدها تشريفًا أنها ازدانت بأجمل الصفات التي تزين شجاعة الشجعان الأقوياء، فلا يعرف الناس حلية للشجاعة أجمل من تلك الصفات التي طبع عليها عليّ بغير كلفة ولا مجاهدة وهي التورع عن البغي، والمروءة مع الخصم قويا أو ضعيفا على السواء، وسلامة الصدر من الضغن على العدو بعد الفراغ من القتال^٣

وقد وهب الله عليًا بن أبي طالب راحة في العقل، وقد قال يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب: كان عمر رضي الله عنه يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو الحسن، وقال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقول: إذا جاءنا الثبت -عن عليّ- لم نعدل به^٤ وهذا دليل على حصافة رأيه وصدق قوله.

١-٧- آثاره: عن عليّ قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، وأنا حديث السنّ، ليس لي علم بالقضاء، فضرب صدري وقال: اذهب فإنّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، قال: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد^٥.

^١ أحمد بن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ص ٤٦٨.

^٢ محمود عباس العقاد، مرجع سابق، ص ١٠.

^٣ المرجع نفسه، ص ٤٦٥.

^٤ ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، مرجع سابق، ص ٥٠٧.

وقال الأعمش عن عديّ بن ثابت عن زرّ، عن عليّ، قال: إنه لعهد النبي صلى الله عليه وسلم إليّ إنّه: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق (أخرجه مسلم والترمذي وصحح).

وقال أبو صالح السمان وغيره عن أبي سعيد، قال: إن كنا لنعرف المنافقين ببغضهم عليّ، وهذا اعتماداً على قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه آنفاً، وقال أبو الزبير عن جابر، قال: ما كنا نعرف منافقي هذه الأمة إلا ببغضهم عليّ^١.

وقد اشتهر عليّ رضي الله عنه بعلمه بالقرآن، وقد كان ملماً به، فقد كان يعرف زمن ومكان وسبب نزول الآية، أو السورة، فعن سليمان الأحمسي عن أبيه قال: قال عليّ: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت، وعلى من نزلت، وإن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً، وعن إبراهيم التيمي، عن أبي، قال: خطبنا عليّ، فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة، وفيه أسنان الإبل وشيء من الجراحات، فقد كذب^٢.

٨-١ - عليّ بن أبي طالب فقيهاً ومفسراً:

كان علي رضي الله عنه فقيهاً من الفقهاء، غير أنّ المزية التي امتاز بها بين فقهاء الإسلام في عصره أنّه جعل الدين موضوعاً من موضوعات التفكير والتأمل، ولم يقصره على العبادات وإجراء الأحكام، فإذا عرف في عصره أناس فقهوا في الدين ليصحوا

^١ ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، مرجع سابق، ص ٥٠٥.

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ٥٠٨.

عباداته واستنبطوا منه أفضيته وأحكامه، فقد امتاز علي بالفقه الذي يراد به الفكر المحض، والدراسة الخالصة، وأمعن فيه ليخوض في أعماقه على الحقيقة العلمية، أو الحقيقة الفلسفية كما نسميها في هذه الأيام^١، ومما ورد عنه في تفسير القرآن، أنه فسّر الرعد بأنه ملك في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌ يُجَعَلُونَ أَصْوَعَهُمْ فِيءَ إِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

وقال ابن المسيب في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨] ، قال علي بن أبي طالب في تفسير هذه الآية: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، قال: فعلت أي ربي، فأرنا مناسكنا، أي أبرزها لنا، وعلمناها، فبعث الله جبريل، فحج به.

كما أنه قام بتفسير هذه الآية: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ، عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن علي بن أبي طالب كان يقول: ما استيسر من الهدى: شاة.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الأنعام: ١٢٤] ، عن عبد الله بن قيس قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول في هذه الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع.

^١ ينظر: محمود عباس العقاد، مرجع سابق، ص ٢٥.

وآخر النماذج التفسيرية في قوله تعالى: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطُوقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩] عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي عبد الرحمان السلمي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إنّ لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم^١.

١-٩- عليّ رضي الله عنه حكيمًا:

تدور حكم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حول الأخلاق، وتهذيب النفس، والأمر بالتقى والورع، وسنسرّد بعضها منها على سبيل التمثيل:

- الجاهل إذا جدد وجد، وإذا جدد ألد
- المودة في الله أكد وشيجا من الرحم
- المعروف كنز فانظر عند من تودعه
- اللجاجة تورث ما ليس للمرء حاجة^٢.

ويقول أيضا:

- العادل راع ينتظر أحد الجزاءين
- الكرم حسن الشجيرة واجتناب الدنيّة.
- العاقل من تعمّد الذنوب بالغفران.
- الكريم من جازى الإساءة بالإحسان.

^١ ينظر: تفسير القرطبي.

^٢ ينظر: محمد دخیل، خمسة آلاف حكمة لعلي بن أبي طالب، ط١، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٤، ص٧.

- الإنصاف يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف.
- الإيثار أحسن الإحسان وأعلى مراتب الإيمان^١.
- ويقول أيضا:
- العالم يعرف الجاهل لأنه كان قبل جاهلا
- الجاهل لا يعرف العالم؛ لأنه قبل لم يكن عالما.
- التوفيق والخذلان يتجاذبان النفس، فأيهما غلب طانت في حيزه^٢.
- يقول كذلك:
- قوّ إيمانك باليقين فإنه أفضل الدين.
- قاتل هواك بعلمك وغضبك بحلمك.
- قاوم الشهوة بالقمع لها تظفر.
- قارب الناس في أخلاقهم تأمن غوائلهم^٣.

١-١٠- وفاته: مات عليّ رضي الله عنه سنة (٤٠ هـ) قتله غدرا عبد الرحمان بن ملجم في صلاة الصبح في ليلة السابع عشر من رمضان ، وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر.

وعن عبد الرحمان بن حبيب بن عبد الله، عن أبيه، قال: لما فرغ علي بن أبي طالب رضي الله عنه من وصيته، قال: اقرأ عليكم: السلام ورحمة الله وبركاته، ثم لم يتكلم بشيء

^١ ينظر: محمد دخيل، مرجع سابق، ص ١٠.

^٢ المرجع نفسه، ص ١٣.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٩٧.

إلا: لا إله إلا الله حتى قبضه الله، رحمة الله عليه ورضوانه، وغسّله أبنائوه الحسن والحسين،
وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن وكبرّ عليه أربع تكبيرات، وكفن في ثلاثة أثواب
ليس فيها قميص ودفن في السحر^١ رضي الله عنه وأرضاه.

^١ ينظر: أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، ص ٨٣.

٢- تجليات الإظهار في مقام الإضمار في ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لبيان اللّطائف والنّكت البلاغيّة لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار الموجودة في ديوان عليّ رضي الله عنه- ارتأيت أن أتبع- عند تناول مواطن ذلك الخطوات الآتية:

-أورد الشّاهد الذي جاء فيه أسلوب الإظهار في مقام الإضمار باعتبار الأوّل فالأوّل من الديوان المعتمد.

-أحدّد محلّ الشّاهد مع ذكر نوع الإظهار، وربّما أستعمل-أحيانا وقصدا للإيجاز- عبارة: القسم، أو النّوع، وأعني بها الإظهار في مقام الإضمار الذي يقع في جملة واحدة، كما قد أستعمل عبارة النّوع أو القسم الثاني، وأعني بها حينئذ الإظهار في مقام الإضمار الذي يقع في جملتين.

- أذكر الغرض أو الأغراض البلاغيّة مع توضيح لجماليّاتها بحسب ما يقتضيه المقام.

الشاهد الأوّل:

رزئنا رسول الله حقا فلن نرى بذاك عديلا ما حيينا من الردى^١.

محلّ الشاهد: لقد أحدث الشاعر عدولا في الشطر الثاني وكان باستبدال اسم الإشارة بالضمير المتصل، إذ التقدير: به عديلا.

توضيح الغرض: لقد انسجم الإظهار في مقام الإضمار في هذا البيت بالرتاء، فالشاعر هنا يرثي رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعمال اسم الإشارة (ذاك) فيه تنبيه على عظم المصيبة التي تمثلت بموت النّبي صلى الله عليه وسلم ، فليس هناك مصيبة أعظم من هذه

^١ الديوان، ص ٩٠.

المصيبة، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا أصاب أحدكم مصيبة، فليذكر مصيبتَه بي فإنّها من أعظم المصائب))^١.

الشاهد الثاني:

ألم تر قومي إذ دعاهم أخوهم أجابوا وإن أغضب على القوم يغضبوا
هم حفظوا غيبي كما كنت حافظا لقومي أخرى مثلها إذ تغيبوا
بنو الحرب لم تعقد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا^٢.

محلّ الشاهد

في البيت الأول، فالأصل على مقتضى الظاهر يكون بإضمار لفظة القوم، واستعاضة الضمير بها، فتصبح الجملة: لهم أخرى مثلها إذ تغيبوا.

توضيح الغرض:

وهذا الاختيار البلاغي له مسوغ دلالي جعل الشاعر يخرج الكلام على هذا النمط، إذ هو في مقام تعظيم لقومه، فالرجل مهما كان فهو بقومه، وقد قيل: العود ضعيف حين ينفرد، قويّ حين يتحد، ومن كان له عصبه استقوى بها ومكّن له، ولنا في قصة شعيب خير دليل، حيث يقول الله تعالى في الذكر الحكيم: ﴿ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِتْنًا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩١ ﴾ [هود: ٩١] ، كما أنّ من تعظيم القوم هو حفظهم في الغيب، فلا يسيء جوارهم، وهذا من أصول الأخلاق والمكارم.

^١ رواه مالك والطبراني، السلسلة الصحيحة، (١١٠٦)

^٢ الديوان، ص ١١.

الشاهد الثالث:

يغْطِي عيوب المرء كثرة ماله يصدّق فيما قال وهو كذوب

ويزري بعقل المرء قلة ماله يحمّقه الأقوام وهو لبيب^١.

محلّ الشاهد: نلاحظ في صدر البيت الثاني إظهار لفظة ماله، وهي واقعة مضافا إليه، والأصل أن يؤتى بالضمير مكانها، فتصبح: قلّته.

توضيح الغرض: أفاد إظهار لفظة المال في صدر البيت الثاني غرض التأكيد على أنّ موازين الحكم على المرء انقلبت، فلم تعد الحكمة ورجاحة العقل معيارا يتفاضل به الناس، ويتقدمون به في المجالس والمقامات، بل أصبح المال هو المحك، فمن يملك المال يسمع لقوله إن قال، ولو كان أحمق خفيف العقل، لذا غدت لفظة ماله المظهرة مدارا تدور عليه الدلالات وتشع.

ويمكن أن يضاف - على ما ذكرنا - غرض آخر وهو جعل كلّ بيت مستقلاً بذاته فيجري مجرى المثل.

الشاهد الرابع:

تردّ رداء الصبر عند النوائب تنل من جميل الصبر حسن العواقب^٢.

محلّ الشاهد: في عجز البيت، حيث أعاد لفظة (الصبر) دون الاستعانة بالضمير المتصل الهاء.

^١ الديوان، ص ١٥.

^٢ الديوان، ص ١٥.

توضيح الغرض: وذلك لغرض تعظيم خلق الصبر في نفس المتلقي بتكرار لفظه، وزيادة التقرير والتّمكن في بيان أهمّيته في حياة الإنسان، فالصبر خلق عظيم من أنعم الله عليه به فقد أوتي فضلاً كبيراً، وقد جاء فضل الصبر في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وهذا ينمّ أنّه خلق محبوب عند الله عزّ وجلّ، فأكرم بها من محبّة، يقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦].

كما أفاد هذا الإظهار التّنبيه على أنّ المؤمن العارف بدينه إذا أنعم عليه شكر؛ وإذا ابتلي صبر.

الشاهد الخامس:

وكن صاحباً للحلم في كل مشهد فما الحلم إلا خير خدن وصاحب^١.

محل الشاهد: في عجز البيت الثاني، فقد أتى بالمظهر الحلم، ويتطلب مقتضى الظاهر ضميراً منفصلاً نقدّره بهو، فتغدو الجملة هكذا: فما هو إلا خير خدن وصاحب.

توضيح الغرض: والغرض الذي نستشفه من هذا العدول التركيبّي هو الإقرار بمكانة خلق الحلم بين الأخلاق التي ينبغي للإنسان المسلم الاتصاف والتحليّ بها، فالحلم لا يقل أهمية عن الصبر، إذ هو من السمائل الحميدة والعظيمة التي يحبّ الله أن يتخلّق بها عباده المتقون، وفي حديث النبي صل الله عليه وسلم دليل على ذلك حين قال لأشجّ بن قيس: ((إنّ فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة))^٢.

^١ الديوان، ص ١٥.

^٢ مسلم بن حجاج النيسابوري، المسند الصحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي،

وبيان عظمة هذا الخلق الرفيع أنّ الله جعله صفة من صفات أنبيائه المخلصين، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥ ﴾ [هود: ٧٥] ، وفي قوله تعالى: ﴿ فَشَرَّكَهُ بِعَالِمٍ حَلِيمٍ ۝١٧ ﴾ [الصافات: ١٠١] .

الشاهد السادس:

وكن طالبا للرزق من باب حلّه يضاعف عليك الرزق من كلّ جانب^١.

محلّ الشاهد: وكان ذلك في عجز البيت الخامس، إذ أظهر لفظة الرزق، والأصل في الوضع أن يحلّ الضمير، فيكون الأداء المعياري: يضاعفه عليك من كلّ جانب.

توضيح الغرض: وذلك لغرض الاستلذاذ الباعث للطمأنينة، فالشاعر في مقام نصح وإرشاد لكيفية طلب الرزق، فعلى الإنسان أن يطلبه من حلال، فيكون جزاؤه أن يضاعفه الله له، وهذا الاهتمام ناجم عن كون الرزق من الأمور التي يهتمّ بها الإنسان، ويطيل التفكير فيها، ويحزن إذا تأخر، ولهذا فقد كفله الله للعبد، يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۝٥٦ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧] ، فهذه الآية جاءت لكي تريح نفس الإنسان من همّ الرزق، فالرزق هو الشيء الذي يقض مضجعه، فتكفّل الله به.

الشاهد السابع:

ليس الجمال بأثواب تزيّتنا إنّ الجمال جمال العقل والأدب^٢.

محلّ الشاهد: نلمس في عجز هذا البيت إعادة لفظة (الجمال)، وظاهر الحال يقتضي

ضميرا متصلا: (إنّه).

^١ الديوان، ص ١٥.

^٢ الديوان، ص ١٦.

توضيح الغرض: من الأغراض التي انضوت عليها ظاهرة الإظهار مقام الإضمار في هذا البيت هو التنبيه وزيادة الإقرار بأنّ الجمال الحقيقيّ ليس ما يظهر للعيان، بل الجمال الحقيقي هو الجمال الروحي الذي له دعامتان: العقل والأدب، وجاء هذا الإقرار من لدن الشاعر معتمدا فيه بالمؤكدات؛ لأنّ الناس صارت تولي اهتماما للمظهر وتزدري من هو دون ذلك، ولو كان صاحب دين وعقل.

الشاهد الثامن:

ليس اليتيم الذي قد مات والده إنّ اليتيم يتيم العلم والأدب^١.

محلّ الشاهد: يشهد التركيب في عجز هذا البيت عدولا بإظهار لفظة (اليتيم) وكان حقها الإضمار.

توضيح الغرض: بعد قراءتنا للبيت وجدنا أنّ الشاعر كان بين مدّ غرض الإنكار و جزر غرض الإقرار؛ إنكار أنّ اليتيم محصور فقط فيمن فقد الوالد، وإقرار بأنّ اليتيم الحقيقي هو يتيم العلم والأدب، فالأول لا دخل له فيه فهو مقدّر من عند الله تعالى لحكمة قد ندركها وقد لا ندركها، أما اليتيم الثاني فهو اختياريّ لذلك فالإنسان يلام عليه إذا هو فرط في طلب العلم والأدب.

الشاهد التاسع:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محمود عن النسب

فليس يغني الحسيب نسبته بلا لسان له ولا أدب

إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي^١.

^١ الديوان، ص ١٦.

محلّ الشاهد: تجلّى أسلوب الإظهار في لفظة (الفتى)، والمعيار يقتضي أن يكون

ضميرا غائبا مستترا: ليس من يقول كان أبي.

توضيح الغرض: إنّ الغرض الذي نستنبطه من سياق الكلام وقرائن أحوال إظهار لفظة

الفتى دون إضمارها هو غرض الاهتمام بهذه المرحلة العمرية من مراحل الإنسان، وقد جاء

ذكر هذه المرحلة العمرية كثيرا في القرآن الكريم، ومنها ما في قوله تعالى: ﴿لَحْنُ نَقْصٍ عَلَيْكَ بَنَاهُ

بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِيهِ عَمَلُونَ بَرِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣] وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى

يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٠]

وحتى في الشعر العربي كانوا يرون أنّ هذه المرحلة العمرية هي مرحلة العطاء واكتمال

القوة وبلوغ الأشد، وفي هذا نستشهد بقول طرفة بن العبد في معلقته الشهيرة:

إذا القوم قالوا من فتى خلت أني عني فلم أكسل ولم أتبدل.

الشاهد العاشر:

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه

إذا أكمل الرحمان للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

يعيش الفتى في الناس بالعقل إنّه على العقل يجري علمه وتجاربه^٢.

محلّ الشاهد

لقد شكل العدول عن الإضمار إلى الإظهار في هذه الأبيات الشعريّة نقطة انعطاف في

الدلالة النصيّة ممّا أحدث خرق أفق توقع لدى القارئ والمتلقي، فالقارئ بخبرته النحويّة يتطلّع

^١ الديوان، ص ١٦.

^٢ الديوان، ص ١٦.

أو ينتظر الإتيان بضمير يسدّ مسدّ لفظة العقل، غير أنّ الشاعر هاهنا أظهر مقام الإضمار والاسم المظهر أنفذ للسمع وأجلب للتبويه، مما حقّق لذة جماليّة، تتبعها دلالة متوارية خلف هذا التشكيل.

توضيح الغرض: ، إذ الشاعر بإظهار لفظة العقل كان لغرض بلاغي وهو التعظيم تعظيم مكانة العقل في الإسلام، فالقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتبويه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، وإيقاظه واستعماله في التأمل والنظر والتفكير لإدراك سنن الكون وحقائق الأشياء، فيفضي به هذا العقل المتأمل إلى إدراك مظاهر وحدانية الله عزّ وجلّ، ما يتعرّف على أدلة ربوبيته وأنّه المستحق للعبادة دون سواه، والحفاظ على العقل هو مقصد من مقاصد الشرع، إذ هو مناط التكليف وبه نفهم النص الشرعي ونتعقله، ومن لطيف ما ذكره الماوردي في كتابه الموسوم (بأدب الدنيا والدين) تحت باب - فضل العقل وذمّ الهوى - : " اعلم أنّ لكلّ فضيلة أساً؛ ولكلّ أدب ينبوعاً، وأسّ الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلاً، وللدنيا عماداً، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه...روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((لكل شيء دعامة ، ودعامة عمل المرء عقله؛ فبقدر عقله تكون عبادته لربه أما سمعتم قول الفجار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ١٠﴾ [الملك: ١٠] ، وقال بعض الشعراء وهو إبراهيم بن حسان:

يزين الفتى في الناس صحة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه^١

الشاهد الحادي عشر:

ما لي وقفت على القبور مسلماً قـبر الحبيب فلم يردّ جوابي

^١ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، دط. دب: ١٩٨٦، دار مكتبة الحياة، ص ٢٦٣.

أحبيب ما لك لا تردّ جوابنا أنسيت بعدي خلة الأحباب

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وتـراب^١.

محلّ الشاهد: في صدر البيت الثالث إذ أظهر علي بن أبي طالب لفظة (الحبيب) مع أنّ المقام للضمير (هو) لتقدّم ما يفسره.

توضيح الغرض:

وذلك لغرض بلاغي ندركه من خلال السياق الشعري وهو التلذذ بذكر لفظة الحبيب، فالشاعر أظهر لفظة الحبيب وحققها الإضمار، إذ هو في مقام إظهار أشواقه ولواعجه المكنونة في وجدانه لذلك الحبيب الذي واره الثرى، وأصبح في ظلمة اللحد، فمرّ عليه مسلماً فلم يردّ جوابه، وتكرار لفظ المحبوب محبوب.

الشاهد الثاني عشر:

يهذّدي بالعظيم الوليد فقلت أنا ابن أبي طالب

أنا ابن المبجل بالأبطحين وباليبت من سلفي غالب

فلا تحسبنّ أخاف الوليد ولا إنني منه بالهائب^٢.

محلّ الشاهد: موطن العدول في صدر البيت الثالث، وذلك بإظهار لفظة الوليد والأصل أن يؤتى بضمير.

توضيح الغرض: إنّ الغرض الذي نستشفه من خروج الكلام على غير الظاهر في

قوله: فلا تحسبنّ أخاف الوليد، هو التحقير؛ تحقير مكانة الوليد بن المغيرة، حيث نمي إلى

^١ الديوان، ص ١٨.

^٢ الديوان ص ١٩.

مسمع علي بن أبي طالب أنّ هناك من يهدّده بالوليد لما يملكه من تعظيم ومكانة لدى قومه، غير أنّ عليّاً رضي الله عنه راح يذكر أنّ له مكانة أعظم ونسباً أشرف، ويضرب تهديده ووعيده عرض الحائط، وما إظهار اسمه إلاّ تقليل وتحقير من شأن الوليد بن المغيرة، كما أنّ ذكر (الوليد) ظاهراً غير مضمّر فيه دليل قويّ أنّ عليّاً رضي الله عنه ليس بهائب منه.

الشاهد الثالث عشر:

ينادي بالتضرع يا إلهي أقلني عثرتي واستر عيوبي
فرزت إلى الخلائق مستغيثاً فلم أر في الخلائق من مجيب
وأنت تجيب من يدعوك ربّي وتكشف ضرّ عبدك يا حبيبي^١.

محل الشاهد: أظهر عليّ بن أبي طالب في عجز البيت الثاني ما حقّه الإضمار وهو لفظة (الخلائق) ، كما أظهر المعرّف بالإضافة في عجز البيت الأخير (عبدك).

توضيح الغرض:

الإظهار أحد العوارض التي تعتري الجملة العربيّة فتخرج بها عن أصلها المتواضع عليه في علم النّحو، وذلك بالإتيان باللفظ المظهر دون المضمّر، وذلك لتحقيق أغراض ولمسات بلاغيّة، ومقاصد دلاليّة، لا يمكن تحقيقها دون الاستعانة بهذه الظاهرة، فيكون الإظهار أبلغ من الإضمار في مواضع يحكمها السياق الشعريّ الذي وردت فيه، وهذا موجود في الشاهد الذي ذكرناه آنفاً، فالغرض من ذاك ذمّ من يتعلّق قلبه بالخلق وترك الخالق، فالتعلّق بالله سبب لكلّ خير، وأساس كلّ سعادة تعتري الإنسان المؤمن، والانشغال عن ذلك والغفلة عنه والتعلّق بغير

^١ الديوان، ص ٢٤.

الله أعظم خذلان، كما أنّ مجيء لفظة الخلائق جمعاً لها من اللطائف الدلالية، حيث إنّ مهمما تعاضمت كثرة الخلائق فلن تغني كثرتهم من دون الله.

وهناك محل شاهد آخر وذلك في البيت الثالث في الشطر الثاني في قوله عبدك، فهو مظهر في مقام الإضمار، حيث لم يقل: تكشف ضريّ يا حبيبي؛ لأنّ في ذكر لفظة عبدك من الاستعطاف بأن يحيطه الله من رحمته التي وسعت كلّ شيء ما ليست في الضمير الذي نقدّه بالضمير المتصل المتكلم؛ لأنّ عبادة الذل والانكسار بين يدي الله تعالى هي من أحبّ العبادات إليه، ففيها لذة لا تعادلها لذة، وهنا تحققت جمالية اختيار الشاعر للإظهار.

الشاهد الرابع عشر:

يا أيها السائل عن أصحابي إن كنت تبغي خير الصواب
أنبك عنهم غير ما تكذاب بأنهم أوعية الكتاب
صبر لدى الهيجاء والضراب فسل بذاك معشر الأحزاب^١.

محلّ الشاهد: نلمس أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في عجز البيت الثالث، وذاك بالعدول من استعمال الضمير إلى استعمال اسم الإشارة ذاك، ولو جرى الكلام على أصله لقال: فسل به معشر الأحزاب.

توضيح الغرض: يدلّ اسم الإشارة (ذاك) على البعد، ثم يخرج إلى دلالة الرفع وسمو المنزلة، وهذا ما تقرّر في قول الشاعر، فهو في موضع إثبات علو وسمو مكانة الصحابة، فهم حفظة لكتاب الله، وهي مكانة يريجوها الإنسان المؤمن، كما أنّهم نالوا شرف المكانة حين ثبتوا في موقعة الخندق أو الأحزاب، وكان الاعتراف من العدو قبل الصديق.

^١ الديوان، ص ٢٢.

الشاهد الخامس عشر:

حبيب ليس بعدي حبيب وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن عيني وجسمي وعن قلبي حبيبي لا يغيب^١.

محل الشاهد: يشهد التركيب في هذه الأبيات عن الأصل عدولا، وذلك بوضع المظهر (حبيب) مكان المضمّر المتصل أو المنفصل.

توضيح الغرض: كذا الحال مسحوبا على الشاهد الثاني حيث أظهر لفظة الحبيب في الشطر الثاني من البيت الثاني استلذاذا وزيادة في التحبب لابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنّ روحها فاضت لبارئها، وإظهار التحبب وهي ميتة أعلى مراتب الوفاء لها.

الشاهد السادس عشر:

نفسي على زفرتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي^٢.

محل الشاهد: تجلّى الإظهار في عجز البيت الأول، وذلك بإظهار لفظة الزفرات، وحقها الإضمار، إذ التقدير: معها.

توضيح الغرض: مع ما حقّقه الإظهار في هذا البيت من دفع للبس والتوهم في تحديد مرجع الضمير ، حقق الإظهار في مقام الإضمار في البيت -أيضا- مطلبا إيقاعيا، حتى يتناسب مع القافية التي نظم عليها أبياته.

^١ الديوان، ص ٢٤.^٢ الديوان، ص ٣١.

وهناك مطلب دلالي آخر، وهو أنّ إظهار لفظة زفرات كان لإظهار لواعجه وأحزانه التي اعترته جراء فقد الحبيب، فالشاعر يخاف أن تطول حياته بعد موت حبيبه، فالحياة لن تطيب بعده.

الشاهد السابع عشر:

أقول لعيني احبسي اللحظات ولا تنظري يا عين بالسرقات

فكم نظرة إلى القلب شهوة فأصبح منها القلب في حسرات^١.

محلّ الشاهد: يوجد إظهار في مقام الإضمار في عجز البيت الثاني، في بلفظة (القلب)، والأصل في القاعدة البلاغية يستوجب ضميراً مستتراً غائباً: فأصبح منها في حسرات، لتقدّم ما يفسر الضمير.

توضيح الغرض: يفيد الإظهار في مقام الإضمار غرضاً بلاغياً، وذلك بمعونة السياق وقرائن الأحوال، وهذا الغرض هو التنبيه على أمر مهم جدّاً، حتى لا يتوهم واهم أنّ من تعرض للفتن فراها بعينه، ثم ابتعد عن مكانها، انتهت الفتنة لديه، لا، لم تنته الفتنة إذا تشربها القلب، فمستقر الفتنة القلب، وهذا ما أخبرنا به الصادق الذي لا ينطق عن الهوى: ((تعرض الفتن على القلب كعرض الحصير عوداً عوداً فأبى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأبى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه))^٢ (صحيح مسلم ص ١٤٨)، وهنا ندرك أنّ الفتن والشهوات لا

^١ الديوان، ص ٣١.

^٢ المسند الصحيح، مسلم بن حجاج النيسابوري، مصدر سابق، ص ١٤٨.

تعرض على الجوارح بل تعرض على القلب، لذلك وجدنا عليّ بن أبي طالب يلجّ على لفظة القلب وذلك بإظهارها لينبّهنا أن الفتنة محلّها القلب، فإن صلح القلب صلحت باقي الجوارح.

الشاهد الثامن عشر:

ذهب الذين عليهم وجدي وبقيت بعد فراقهم وحدي
من كان بينك في التراب وبينه شبران فهو بغاية البعد
لو كشفت للمرء أطباق الثرى لم يعرف المولى من العبد
من كان لا يطاء التراب برجله يطاء التراب بناعم الخد^١.

محلّ الشاهد: وردت ظاهرة الإظهار مقام الإضمار في عجز البيت الأخير في لفظ (التراب)، والأصل أن يحلّ الضمير محله.

توضيح الغرض: لقد أسفر العدول عن الإضمار إلى الإظهار غرضاً بلاغياً، وهو لفت الانتباه بأنّ كل إنسان يصير إلى تراب، فيستوي في ذلك المولى والعبد، فصاحب الحسب والنسب ليس بمنجى من المنية، غير أنّ التفاضل يكون في التقوى والعمل الصالح، كما أنّ التركيز على لفظة التراب كمكان يعطي السامع والمتلقي لهذا الكلام فسحة للتفكير والتدبر في أنّه سيأتي يوم سيدسّ فيه تحت التراب، فلا المال والحسب ينجي، بل عليه أن يعدّ لمثل هذا اليوم من الأعمال الصالحة ما يؤنسه في ظلمة القبر.

الشاهد التاسع عشر:

جنبي تجافى عن الوساد خوفاً من الموت والمعاد
من خاف من سكرة المنايا لم يدر ما لذّة الرقاد

^١ الديوان، ص ٣٨.

قد بلغ الزرع منتهاه لا بد للزرع من حصاد^١.

محلّ الشاهد: لقد أظهر الشاعر ما حقه الإضمار وذلك في عجز البيت الثالث في لفظة (الزرع).

توضيح الغرض: قبل أن نباشر تحليل الظاهرة، وأن نبحت عن الغرض الذي جعل الشاعر يظهر لفظة الزرع، كان لزاماً علينا أن نوضح أن في لفظة الزرع مجازاً، حيث شبه حياة الإنسان بالزرع في جميع مراحلها، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه المراحل بأحسن تعبير، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الزمر: ٢١] ، والدلالة من هذا الإظهار هو لفت انتباه السامع وذلك حتى يتسنى له معاينة هذه الرحلة العمرية التي شبهت بالزرع.

الشاهد العشرون:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد^٢.

محلّ الشاهد: استبان الإظهار في عجز البيت، وكان ذلك بتوظيف اسم الإشارة (تلك) مكان الضمير المنفصل (هي).

توضيح الغرض: لقد استعمل الشاعر اسم الإشارة (تلك) التي تدلّ على البعد في مقام القرب، وهذا ما ذكره ابن عقيل في المساعد "قد ينوب البعيد عن القريب، ومثل ذلك كثير في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَّى ﴿٧٧﴾﴾ [طه: ١٧] ، وفي قوله: ﴿قَالَ

^١ الديوان، ص ٣٨.

^٢ الديوان، ص ٣٨.

فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ ﴿ [يوسف: ٣٢] ^١، وهذا ما كان في استعمال علي ابن أبي طالب لاسم الإشارة تلك، لأنه يرى أنّ الموت أقرب للإنسان من شراك نعله وأنّ سبيل الموت لا يحيد ولا يبتعد عنها مخلوق على وجه الأرض.

الشاهد الواحد والعشرون:

العلم زين فكن للعلم مكتسبا	وكن له طالبا ما عشت مقتبسا
اركن إليه وثق بالله واغن به	وكن حليما رزين العقل محترسا
لا تأتمن فإما كنت منهمكا	في العلم يوما وإما كنت منغمسا
فمن تخلّق بالآداب ظل بها	رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا
واعلم هديت بأن العلم خير صفا	أضحى لطالبه من فضله سلسا ^٢ .

محلّ الشاهد: من البيت الأول إظهار للفظ (العلم) و قواعد النحو التي تقتضي الضمير، استجابة لمطالب الدلالة، لكنّه أخرج الكلام على غير مقتضى ظاهر الحال.

توضيح الغرض: حيث يعدّ من الخيارات الأسلوبية التي يؤطرها النحو وقواعدها الثابتة، وذلك لغايات في نفس المتكلم، إذ يعتمد لصياغة تراكيبه لتتناغم مع مكامن مقاصده، فتكون المباني حينها قوالب خادمة للمعاني والدلالات المضبوطة بالسياق، فالشاعر هنا في مقام تعظيم، تعظيم مكانة العلم في الإسلام، لأنّ الإسلام جاء ليحثّ على طلب العلم، ولم يكن معارضا له أبداً، ويتجلى شرف العلم، أن كان العلماء ورثة للأنبياء، حيث يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم ((إنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنّما

^١ بهاء الدين ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد، تح: محمد كامل بركات، مصر، جامعة أم القرى،

ص ١٩٠، ١٩١.

^٢ الديوان، ص ٤٣.

ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر^١، كما يكفي العلم شرفا ورفعة في المنزلة أن استشهد

الله العلماء فيما استشهد عليه هو تبارك وتعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو

الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] .

وأهل العلم لهم مكانة رفيعة، فالله عزّ وجل رفع قدرهم درجات لا لحسبهم أو نسبهم، بل

لأنهم أوتوا العلم خالصا لوجهه، فيقول تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١] .

الشاهد الثاني والعشرون:

دليلك أنّ الفقر خير من الغنى وأنّ القليل المال خير من المثري

لقاؤك مخلوقا عصى الله للغنى ولم تر مخلوقا عصى الله للفقر^٢.

محلّ الشاهد:

يشهد التركيب في البيت الثاني عدولا عن الأداء المثالي للكلام، حيث أظهر الشاعر الاسم

الأعظم في قوله: عصى الله، والأصل أن يكون ضميرا متصلا: (عصاه).

توضيح الغرض: وذلك لارتباط هذا العدول بالموقف، فهو يريد بهذا الإظهار بيان عظمة

من عُصي، فهناك مقولة للأوزاعي رحمة الله عليه: لا تنظر إلى صغر الذنب، بل انظر إلى

عظمة من عصيت، والشاعر في هذا البيت يبين لنا أنّ الإنسان إذا فتح الله عليه أبواب رزقه،

وقع فيما يسمّى الاستغناء، وقد أخبرنا الله عن هذا في قرآنه الكريم إذ قال سبحانه: ﴿ أَنْ رَءَاهُ

أَسْتَفْتَى ﴾ [العلق: ٧] ، يجمع العلماء على تفسير الآية، بأنّ الإنسان الجاحد استغنى عن الله

^١ أخرجه الترمذيّ، رقم: ٢٦٨٢، عن حديث أبي الدرداء .

^٢ الديوان، ص ٤٩ .

عَزَّ وَجَلَّ أَنْ صَارَ ذَا مَالٍ وَثَرَةٍ، كَمَا أَنَّ نَفْسَ هَذَا الْإِنْسَانِ الْجَادِدِ تَسْوَلُ لَهُ أَنْ يَقُولَ إِنَّمَا أُوتِيْتَهُ عَلَى عِلْمٍ مِنِّي كَمَا قَالَ قَارُونُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَّلَ يَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] .

الشاهد الثالث والعشرون:

ذنوبي إن فكرت بها كثيرة ورحمة ربي من ذنوبي أوسع
فما طمعي في صالح قد عملته ولكنني في رحمة ربي أطمع
فإن يكن غفران فذاك لرحمة وإن لم يكن أجرى بما كنت أصنع
مليكي ومولاي وربي حافظي أبصر له عبدا قرّر وأخضع^١.

محلّ الشاهد: في البيت الأول في قوله: من ذنوبي، والبيت الثالث في قوله (فذاك) فأظهر في مقام الإضمار، والأصل اللغوي يقتضي الإضمار لا الإظهار، غير أن الشاعر انتبه هذه البنية العميقة الماثلة في ذهن المتلقي، وهذا لدلالة لا تستقي إلا بعد إعمال الفكر في تأويلها.

توضيح الغرض: وهي الطمع في رحمة الله، فأعاد لفظة ذنوبي دون الاستعانة بالضمير منبها على أنّ الذنوب مهما كثرت وتعاضمت فرحمة الله أوسع، وهنا نذكر حديثا قدسيا، يقول الله تعالى فيه: ((يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو

^١ الديوان، ص ٥٦.

أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة))^١ (أخرجه أحمد في المسند تحت رقم ٢١٣٢١).

كما نذكر دلالة أخرى لإظهار لفظة ذنوبي - وهي جمع كثرة - وهي دلالة الاعتراف بذنوبه الكثيرة، والاعتراف بالذنوب إيدان بالتوبة، وطمع في المغفرة ، قال المولى عز وجل: ﴿ * قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

ويوجد محل شاهد آخر في صدر البيت الثالث، وذلك في اسم الإشارة، حيث إنّ ظاهر اللفظ يقتضي الضمير المنفصل هو، بيد أنّ الشاعر خرق هذا النظام النحوي لدواعٍ دلالية نستقيها من السياق الشعريّ، فقد أزال اسم الإشارة الإبهام المحتمل في التأويل ليحصر سبب الغفران في رحمة الله دون سواها، كما يرجع اختيار الشاعر لاسم الإشارة ذاك على الضمير هو رغم أنّ كليهما يزيلان الغموض والإبهام، لكونه في مقام تعظيم للغفران والرحمة، وتعظيم الغفران والرحمة من تعظيم الله سبحانه وتعالى، فهو الغفور الرحيم.

الشاهد الرابع والعشرون:

اشدد حيازيمك للمو ت فإنّ الموت لا قيكاً
لا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكاً
فإنّ الدرع والبيض ة يوم الرّوع يكيكاً^٢.

^١ أخرجه أحمد في المسند تحت رقم: ٢١٣٢١ من حديث أبي ذر الغفاريّ، وحكم عليه الألبانيّ بالصّحة.

^٢ الديوان، ص ٧٣.

محل الشاهد: في البيت الأول في شطره الثاني أظهر لفظة (الموت) وكان ينبغي إضمارها، و في البيت الثاني في الشطر الأول في إظهار لفظة (الموت) التي وقعت مضافا إليه، والأصل استعمال الضمير، لأنّ مرجعه ذكر في البيت الأول وهو لفظة (الموت) الأولى .

توضيح الغرض: وذلك لمقتضى بلاغيّ، حيث إنّّه يريد أن يعظم الموت في قلوب الناس ويتذكروه في كل لحظة وحين، فيقودهم هذا إلى الاستعداد له، وعدم الوقوع في الغفلة، كيلا يعرض الإنسان الأنامل من الندم، يقول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] ، ويقول أيضا: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۚ ﴾ [المنافقون: ١٠] .

وهنا نأمن اللبس، وأظهر عليّ بن أبي طالب تأكيدا على فكرة أنّ الإنسان مهما فرّ من الموت وظنّ أنه ناج منه، فهو آتية، وقد جاء التأكيد على هذه الفكرة كثيرا في القرآن الكريم، حيث يقول الله جلّ وعلا: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ۚ ﴾ [النساء: ٧٨] ، فكلّ مخلوق على هذه البسيطة صائر إلى الموت، وليس بناج منه شيء، ولو تحصن فوق جبل.

الشاهد الخامس والعشرون:

كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيك
فقد أعرف أقواما وإن كانوا صعالিকা
مساريع إلى النجد ة للغني متاريكا^١.

^١ الديوان، الصفحة نفسها.

محلّ الشاهد: يشهد هذا التركيب في عجز البيت الأول خروجاً على مقتضى الظاهر حيث

أظهر الشاعر لفظة الدهر، واللغة المعيارية تقتضي إضماره.

توضيح الغرض: وهذا لأسباب دلالية تستقي بتأويل القارئ لما توارى منها، ولكن قبل أن

أشرع في تأويل ظاهرة إظهار لفظة الدهر، لا بدّ أن ننوه أنّ نسبة الإضحاك والإبكاء للدهر ما

هو إلا من باب التجوّز والتوسع في الكلام، وليس اعتقاداً جازماً، واللطفية لهذا الإظهار إنّما

جاء به للتحذير من تقلبات الدهر، فهو لا يدوم على حال ولا يستقر على مكان، فيضحكك

تارة، حتى تطمئنّ له، ثم يبكيك في لمح من البصر، لهذا فنحن مطالبون بتوطيئ النفس، فمن

كان متوقعا لم يكن متوجعا من صروف الدهر ونوائبه، كما أنّ الترنح بين إضحاك الدهر

وابكائه يكشف لنا معادن الناس.

الشاهد السادس والعشرون:

إنّما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

إنّما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ولقد يكفيك منها أيّها الطالب قوت

ولعمري عن قليل كل من فيها يموت^١.

أرى الدنيا ستؤذن بانطلاق مشمّرة على قدم وساق

فلا الدنيا بباقية حيّ ولا حيّ على الدنيا بباقي^٢.

^١ الديوان، ص ٣٠.

^٢ الديوان، ص ٧١.

محلّ الشاهد:

اعترت الأبيات في تشكيلاتها التركيبية انتهاكات اقتضتها مطالب المقام، ومقاصد الخطاب، أطرها العدول عن الأصل والمعيّار؛ كي يؤدي هذا العدول وظيفة جمالية، وكذا وظيفة دلالية، ومثلها كان في إظهار لفظة (الدنيا) وقد كان حقها الإضمار.

توضيح الغرض: وقد أفرز العدول - في إعادة الشاعر لفظة الدنيا دون استعمال الضمير إذ هو الأصل - غرض التحقير، فالشاعر يذمّ لنا الدنيا وملذاتها، غير أنّه يجدر الإشارة أنّ ما ورد من ذمّ الدنيا من لدن الشاعر ليس المقصود منه ذمّ الحياة، ولكن المقصود من ذلك ذمّ العمل السيء فيها والانشغال عن طاعة الله، فالدنيا دار ممرّ إلى دار المستقرّ (الآخرة)، كما أنّها مضمار يتسابق فيها المتقون لنيل جنات النعيم، وغلب ذمّ الدنيا وكثر التحذير منها في القرآن الكريم؛ لأنّ غالب الناس تتلّهى بملذاتها والانشغال بها عن الآخرة، ومن الشواهد القرآنية التي تجلّى فيها الذم والتحذير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۝﴾ [الإسراء: ١٨-١٩] ، لذا جاء خطاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مقام التحقير والتنبيه لخطر الغرق فيها، فلو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الله كافرا شربة ماء.

الشاهد السابع والعشرون:

لقد كان ذا جدّ وجد بكـفره فقيد إلينا في المجامع يعتل

فقلدته بالسيف ضربة محفظ فسار إلى قعر الجحيم يكبل

فذلك مآب الكافرين ومن يطع لأمر إله الخلق في الخلد ينزل^١.

محلّ الشاهد:

في الشطر الثاني من البيت الثالث، كان من باب وضع اسم الإشارة محل الضمير (هو)، إذ التقدير: فهو مآب الكافرين.

توضيح الغرض: هذا العدول لمقتضيات بلاغية وجمالية، فاسم الإشارة هنا يغني في الدلالة النصيّة ما لا يغنيه الضمير، لأنّ اسم الإشارة (ذلك) يشار به للبعيد وذلك لاحتوائه على اللام وكاف الخطاب، وفي هذا كله دلالة على أنّ مصير الكافرين المكذّبين قعر جهنم، والقعر سحيق بعيد، فتناسب وصف بعد قعر جهنم مع دلالة اسم الإشارة ذلك، كما أنّ هناك لطيفة بلاغية أخرى لاستعمال اسم الإشارة، في هذا السياق أنّ صيغة البعد الإشاريّ هنا ليست للبعد المكاني فقط، ولكن للبعد المعنويّ؛ ليكون جزأؤهم من جنس عملهم، فبعد الكافرين عن الحق أودى بهم إلى دركات جهنم وبئس القرار.

الشاهد الثامن والعشرون:

من جاور النعمة بالشكر لم	يحسر على النعمة مغتالها
لو شكروا النعمة زادتهم	مقالة لله قد قالها
لئن شكرتم لأزيدنكم	لكّما كفرهم غالها
والكفر بالنعمة يدعو إلى	زوالها والشكر أبقى لها ^٢ .

^١ الديوان، ص ٧٧.

^٢ الديوان، ص ٨٠.

محلّ الشاهد: أظهر الشاعر ما حقّه الإضمار، ومقتضى الظاهر أن يأتي بالضمير هي،

وهذا النوع من الإظهار يكون في جملتين.

توضيح الغرض: لقد أحدث الشاعر عدولا في تركيب الكلام وكان ذلك بالإظهار، ولهذا

الإظهار دلالة وغرض، وهي دلالة التعظيم، تعظيم نعم الله؛ فتعظيم نعم الله من تعظيمه جلّ

وعلا، وحثّ على شكران النعم، ودوام الشكر والحمد والثناء على الله عز وجلّ باللسان والجنان

والجوارح، فإنّ شكر الله على نعمه وعطائه حافظ للنعم الموجودة، وجالب للنعم المفقودة، والنعمة

إذا شكرت قرّرت وربّت، وإذا كفرت فرّرت وقّلت، والإنسان العاقل من شكر الله تعالى على نعمه

السابغات الظاهرة والخفية؛ فسخرها في طاعة الله ومرضاته، ووظفها فيما يرضي الله، وفيما

ينفعه في دنياه وآخرته، وأمّا الجاهل الغافل من جحد نعمة الله ولم يحدث بها، ووظفها في

معصية الله، وسخرها فيما يغضب الله، وفيما يضره في دنياه وأخراه، فيكون جزاؤه الخسران

الكبير، ولنا في الأمم السابقة عبرة، فقد آتاهم الله نعمًا كثيرة لا تحصي عدّا، غير أنهم كفروا

بهذه النعم، فأذاقهم الله العذاب والحerman، وقد ذكرها القرآن في كثير من المواضع، قال الله

تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعَمِ

اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ [النحل: ١١٢] .

الشاهد التاسع والعشرون:

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضا ولو نال المنى بسؤاله

وإذا السؤال مع النوال ورزنته رجح السؤال وخفّ كل نوال

وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا فابذله للمتكرم المفضل

إنّ الكريم إذا حباك بموعـد أعطاكـه سلسا بغير مطال^١.

محلّ الشاهد:

تحقّق العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قول الشاعر في عجز البيت الثاني حيث أظهر كلمة (السؤال) الأولى والأصل أن يؤتى بالضمير لتقدّم مرجعه.

توضيح الغرض: وذلك للتأكيد أنّ سؤال الناس يذهب ماء الوجه للإنسان الذي فيه مروءة وعزة نفس، فقد رغب الإسلام في التنزه عن السؤال، إلا المضطرّ فلا حرج عليه، وذلك حفظاً لكرامة الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في ذمّ من يسأل الناس ((والذي يتكفّف الناس يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعة لحم))^٢، وفي هذا الحديث بيان مذلة سؤال الناس، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحثّ على العمل والكف عن سؤال الناس، فيقول: ((لأن يأخذ أحدكم أحبله، ثم يأتي الجبل، فيأتي بحزمة حطب على ظهره، فيبيعهها، فيكفّ الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه)).

الشاهد الثلاثون:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ولو تمنعت بالحجاب والحرس
واعلم بأنّ سهام الموت نافذة في كلّ مدرع منا ومترس^٣.

^١ الديوان، ص ٨٠.

^٢ البخاري، صحيح البخاري،

^٣ الديوان، ص ١١٣.

محلّ الشاهد: ارتكزت ظاهرة الإظهار في صدر البيت الثاني في لفظة (سهام الموت)،

وحقها الإضمار: سهامه، وقد جاءت مضافا إليه.

توضيح الغرض: لقد حقق إظهار لفظة الموت في صدر البيت الثاني غرض التمكين في

نفس المتلقي، فلا بدّ على كل إنسان أن يبقى الموت ماثلا في ذهنه وبين عينيه، فذكره يجعل

الإنسان دائما يسير في طريق التوبة والأوبة، كما أنّه يجعله دوما متأهبا أن يغادر الحياة الدنيا،

فيكثر من العمل الصالح الذي ينفعه بعد مماته، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((

أكثرُوا من ذكر هادم اللذات))، ومن الفوائد التي نجنيها من هذا الإظهار التنبيه على أن نبقى

الموت نصب الأعين حتى يردع عن المعاصي ويلين القلب.

الشاهد الواحد والثلاثون:

فأهلا وسهلا بضيف نزل واستودع الله إلّفا رحل

تولّى الشباب كأنّ لم يكن وحلّ المشيب كأن لم يزل

فأمّا المشيب كصبح بدا وأمّا الشباب كبدر أفل

سقى الله ذاك وهذا معا فنعم المولّي ونعم البدل^١.

محلّ الشاهد: في صدر البيت الرابع حيث أظهر الشاعر اسم الإشارة مقام الضمير.

توضيح الغرض: وسنتوقف عند هذا التشكيل البديع لاستكناه الأسرار البلاغية لهذه الظاهرة

اللطيفة في قول الشاعر، فأمّا اسم الإشارة ههنا يدلّ على البعيد، وقد أشير به إلى المشيب؛

ليشعرنا ببعده عن الإنسان وهو في مرحلة الشباب، كما أنّ اسم الإشارة هذا، فقد أشير به

للشباب؛ ليدلّ به على أنّه يعيش مرحلة الشباب، فهو فيها، ومن هذا كلّ نستقتر الدلالة على

^١ الديوان، ص ١٦١.

أَنَّ الإنسان قبل أن تتناوشه السنون، و يشيب قذاله لا بدّ أن يغتنم شبابه فيفنيه في ما أحلّ الله وأمر دون الانغماس في معاصيه وتعدي حدوده، فيفوز إذ ذاك فوزاً عظيماً، وذلك مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم، وهو يحثنا على اغتنام الشباب قبل الهرم: ((اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))، فالإنسان في مرحلة الشباب يقوى على أداء الطاعات؛ لأنّه في مرحلة المشيب تنقل الحركة، وتتناوشه الأسقام؛ لذا كان لزاماً عليه أن يغتنم هذا مادام فيه.

الشاهد الثاني والثلاثون:

ودع التجبّر والتكبّر يا أخي إنّ التكبّر للعبيد وبيل^١.

محلّ الشاهد:

محلّ الشاهد في عجز البيت الأول في لفظة التكبر، فمقتضى الظاهر يقتضي الضمير فيقال (إنّه).

توضيح الغرض: غير أنّ الشاعر عدل إلى إعادة اللفظ لغرض بلاغي وهو أنّه في سياق تنفير من خلق التكبر، فهو يزرّي بالمرء ولا يرفعه، والدين الإسلامي مقت هذا الخلق الذميمة ونبذه، إذ جاءت نصوص كثيرة في القرآن تنهى عنه، و قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَجًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] .

الشاهد الثالث والثلاثون:

واجعل فؤادك للتواضع منزلاً إنّ التواضع بالشريف جميل^٢.

^١ الديوان، ص ١٦٨.

^٢ الديوان، ص ١٦٨.

محل الشاهد: تمثل في إظهار لفظة التواضع رغم أنّ القاعدة النحوية تقتضي ضميرا متصلا: (إنّه).

توضيح الغرض: وكما نعلم أنّ الشاعر لا يظهر ولا يضمّر إلا لغاية دلالية في نفسه يريد تبيانها، فتتجلّى في أدائه الكلامي، والشاعر في مقام ترغيب للتخلق بهذا الخلق العظيم ألا وهو خلق التواضع، فقد دعا إليه الدين الإسلامي، ورغب فيه، فلا بدّ للإنسان المسلم مهما كان نسبه، أو منصبه ألا يبدو صلفا اتجاه أخيه المسلم؛ لأنّ الناس كلهم من آدم وآدم من تراب، فلا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى، والإنسان التقى يتجملّ بالتواضع فيكون هذا الأخير رسول محبّة للناس، فيحصل القبول في الأرض.

الشاهد الثالث والثلاثون:

وكن موسرا شئت أو معسرا فلا بدّ تلقى بدنياك غمّ
ودنياك بالغمّ مقرونة فلا يقطع العمر إلا بهم
حلاوة دنياك مسمومة فلا تأكل الشهد إلا بسم
محامد دنياك مذمومة فلا تكسب الحمد إلا بزم^١.

محلّ الشاهد: وكان ذلك في صدر البيتين الثاني الرابع في لفظة (دنياك)، إذ الأصل أن يؤتى بضمير (هي محامدها)، وقد وقعت مضافا إليه؛ لأنّ ذكرها جاء قبل وسبق ما يرفع اللبس.

توضيح الغرض: لظاهرة الإظهار في موضع الإضمار أغراض كثيرة حدّدها البلاغيون حسب السياق الذي ترد فيه، والغرض الذي نستشفه من خلال هذا العدول هو التحذير من

^١ الديوان، ص ١٧٦.

الوقوف في شراك الدنيا وملذاتها فتتسبك الهدف الذي من أجله خلقت في هذه الأرض وهي عبادة الله عزّ وجلّ.

الشاهد الرابع والثلاثون:

أجد الثياب إذا اكتسبت فإنها زين الرجال بها تعزّ وتكرم
ودع التواضع في الثياب تخشعا فالله يعلم ما تجنّ وتكتم
فريثا ثوبك لا يزيدك زلفا عند الإله وأنت عبد مجرم
وبهاء ثوبك لا يضرك بعد أن تخشى الإله وتنفي ما يحرم^١.

محلّ الشاهد: ظهر أسلوب الإظهار مقام الإضمار في صدر البيت الثاني وكان ذلك في لفظ (الثياب)، وكذلك في صدر البيت الرابع في إظهار اللفظ نفسه.

توضيح الغرض: لقد ساهم إظهار لفظ الثوب في تماسك النصّ، كما أنّ الشاعر جعل مدار المعنى يدور في فلكها، وكان ذلك لغرض وهو النهي عن من يرى أنّ إظهار الزهد يكون في اللباس الرثّ والبالي، فهناك صنف من العباد يتوهمون أنّ لبس الثوب الخلق يقرب إلى الله، وأنها علامة من علامات التقوى والورع، غير أنّ الأمر عكس ذلك، فالإسلام يحرص على نشر قيم الجمال في المجتمع المسلم، ويحثّ على الاستمتاع بالحياة والتجمل بأحسن الثياب دون إسراف ومن النصوص التي تحض على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((إنّ الله يحبّ أن يرى أثر نعمه على عبده))، فعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ينكر ويرفض سلوك هؤلاء الذين يهملون قيم النظافة والجمال وإظهار النعمة في اللباس، فهو مقصد من مقاصد الشريعة.

^١ الديوان، ص ١٨٩.

الشاهد الخامس والثلاثون:

هوّن الأمر تعش في راحة كلّ ما هوّنت إلا سيهون
ليس أمر المرء سهلاً كلّهُ إنّما الأمر سهول وحزون
تطلب الراحة في دار العنا خاب من يطلب شيئاً لا يكون^١.

محلّ الشاهد: أظهر الشاعر في عجز البيت الثاني، وذلك باستبدال لفظ الأمر بالضمير المنفصل هو، فيكون التركيب: إنّما هو سهول وحزون.

توضيح الغرض: يخرج الإظهار في مقام الإضمار إلى غرض بلاغيّ حدّدناه من خلال المقام و المعنى الذي يؤسس له الشاعر، وهو غرض التهوين وبثّ الراحة لمن يرى أنّ ما أصابه أمر جلل، تنوء الجبال عن تحمّله، فراح الشاعر يهوّن ويقلل من شأن هذا الأمر.

الشاهد السادس والثلاثون:

ولا تكن ساكناً في دار ذلّ فإنّ الذلّ يقرن بالهوان^٢.

محلّ الشاهد: يتجلّى الإظهار في لفظة الذلّ في عجز البيت، والأصل فيها أن يؤتى بضمير جريا على مقتضى الظاهر.

توضيح الغرض: لا يظهر العدول في الكلام، إلا بعد حدوثه في نفس الشاعر، والغرض الذي جعل الشاعر يمارس العدول بإظهار لفظة الذلّ هو النهي عن صفة الذلّ التي من نواتجها الهوان، فلا قيمة لحياة الإنسان إذا كان يعيشها في ذلّ وهوان، والعربي منذ القدم يجعل حياته معادلاً أن يعيش في كرامة وعزّ، وقد جاء القرآن ليحثّ على ذلك في مواطن كثيرة، ومنها قول

^١ الديوان، ص ١٩٥.

^٢ الديوان، ص ١٩٨.

الله عزّ وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] ، وها

هو عنتره بن شداد يضمن بيته هذا المعنى:

لا تسقني ماء الحياة بذلة واسقني بالعزّ كأس الحنظل.

الشاهد السابع والثلاثون:

وأرى حمرا ترعى وتأكل الهوى وأسدا جياعا تظمأ الدهر ما تروى
وأشراف قوم ما ينالون قوتهم وقوما لئاما تأكل المنّ والسلوى
قضاء لخلاق الخلائق سابق وليس على ردّ القضا أحد يقوى
ومن عرف الدهر الخؤون وصرفه تصبّر للبلوى ولم يظهر الشكوى^١.

الشاهد الثامن والثلاثون:

إذا عقد القضاء عليك أمرا فليس يحلّه إلا القضاء
فمالك قد أقمت بدار ذلّ وأرض الله واسعة فضاء^٢.

محلّ الشاهد: لقد أظهر الشاعر لفظة القضاء وكان حقّها الإضمار، فالأداء النحويّ للجملة

أن يكون الكلام: (فليس يحلّه إلا هو).

توضيح الغرض:

يدفع القارئ إلى الكشف عن هذا القصد، والمتأمل لقول الشاعر علي بن أبي طالب رضي الله عنه يلقي في كلامه الدقة في التشكيل، فلن تأتي اللفظة المعدولة جزافا أو محض رصف بل تأتي لتؤدي وظيفة دلالية، و الحال في إظهار ما حقّه الإضمار في البيت الثالث، حيث

^١ الديوان، ص ٢١٤.

^٢ الديوان، ص ١٠٩.

أظهر الشاعر لفظة القضاء وجعلها المدار الذي تدور عليها الدلالة، فكأنما إظهارها يبعث شيئاً من الأريحية والتلذذ، فالراضي بقضاء الله والمتيقن أنه لا رادّ لحكمه تغمره سعادة وينشرح صدره، أما ذلك الذي يسخط عليه، فتجد صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد إلى السماء، فالرضا بقضاء الله يجعل نفس الإنسان تطمئن؛ لأنّ كلّ ما يصيبها فهو خير لها، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((عجبا لأمر المؤمن، إنّ الله لا يقضي له قضاء إلا كان خيراً له، وليس ذاك لأحد إلا المؤمن، إن أصابته سراء حمد ربّه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربّه وصبر))¹ (صحيح مسلم)، إذن فهو علاج نفسي لتأزمات النفس الإنسانية.

وهناك مقتضى إيقاعيّ وهي القافية، فقد دفعت الشاعر للإتيان بلفظة القضاء مظهرة لنتناسب مع باقي الأبيات، غير أنّ هذا المقتضى الإيقاعيّ يولّد غايات وهي أن يكون آخر ما تلتقطه أذنه هو لفظة القضاء، فيدرك أنّ قطب الرحى التي تدور عليها الدلالة هي هذه اللفظة بالذات، فهي من باب العناية.

وهكذا شكّل أسلوب الإظهار في مقام الإضمار ظاهرة بلاغية وأسلوبية بارزة في ديوان عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - حيث أفاد من - خلال السياقات النظمية التي ورد فيها في قصائد الديوان - لطائف جمالية ونكتا بلاغية تزيد المعنى رسوخاً في النفس.

¹ مسلم بن حجاج النيسابوري، المسند الصحيح، مصدر سابق، ص

الفصل الرَّابِع:

جمالِيَّات الإِظْهَار فِي مَقَام

الإِضْمار فِي دِيوان الشَّافِعِيّ

هذا فصل تطبيقي - أيضا - وسأعتمد فيه منهجية الفصل السابق؛ برصد واستخراج شواهد الإظهار في مقام الإضمار من ديوان الشافعي، وتحليلها وفق سياقها مع بيان ما حققه الإظهار فيها من أغراض بلاغية ولطائف جمالية ، وقبل الشروع في ذلك يجمل أن أستهل الفصل بتعريف مختصر بالإمام الشافعي وديوانه.

١ - التعريف بالشافعي وديوانه:

١-١ - التعريف بالشافعي: ليس من المبالغة أن نقول: إنَّ المُقدِّمَ على الترجمة لإمام كالشافعي رحمه الله، يدرك أنه قد أقدمَ على بحرٍ لا ساحل له، ومَعِينٍ لا ينضب، وشخصية فذة، وكيف لا يكون كذلك؟، والشافعي رجل قال عنه الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - (ت ٢٤١هـ) لَمَّا سألَه ابنه عبد الله (ت ٢٩٠هـ): « أي رجل كان الشافعي؟ فَإِنِّي سمعتك تكثر من الدعاء له، فقال الإمام أحمد: يا بني، كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف أو منهما عوض؟^(١)، ونحن إذ نكتب تعريفاً بالإمام الشافعي - رحمه الله - لا نقصد بذلك أن نستوفي جوانب حياته، وإنما هو تعريف موجز يلئم حجم البحث.

أ - اسمه ونسبه: الشافعي أحد الأئمة الأربعة، وهو محمد بن إدريس بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، يلتقي نسباً مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عبد مناف بن قصي.

كنيته أبو عبد الله، وينسب إلى شافع بن السائب فيقال له "الشافعي"، كما يُنسب إلى المطلب بن عبد مناف فيقال له "المطلبى"^(٢).

(١) - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأنثوط، ط٦. بيروت: ١٤٠٩، مؤسسة الرسالة، ج ١٠، ص ٤٠.

(٢) - ينظر: محمد بن عمر الحسين الرازي، مناقب الشافعي، تح: أحمد حجازي، ط١. بيروت: ١٤١٣، دار الجيل، ص ٢٥.

ب-مولده: رُوِيَ عن الإمام الشافعي أنه قال: « ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين»^(١) وقيل أنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة فقالوا في ذلك بعدما بلغ الإمام الشافعي من العلم ما بلغ: "ولد إمام وتوفي إمام".

ت-نشأته وشخصيته العلمية: ظهرت لدى الشافعي منذ طفولته صفات عالية من أبرزها الألمعية والذكاء، فقد حفظ القرآن الكريم بشكل سريع، ثم اتجه إلى استحفاظ الحديث منذ نعومة أظفاره، وفي هذا يقول رحمه الله عن نفسه: « كنت وأنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا، ولقد كان الصبيان يكتبون إملاءهم، فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم، كنت قد حفظت جميع ما أُملي»^(٢).

وبعدها اتجه إلى التفصّح في العربية عن قبيلة هذيل حيث قال: « ثم إنّي خرجت عن مكة فلزمت هذيلًا في البادية، أتعلّم كلامها، وأخذ طبعها، وكانت أفصح العرب، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار، وأذكر الآداب والأخبار»^(٣).

كما أنه اتجه إلى الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) بالمدينة وأخذ عنه "الموطأ" وتفقه على يديه، وبعد هذا كانت له عدّة رحلات منها، رحلته إلى اليمن، والعراق، ومصر وغيرها.

ث- شيوخه: أخذ الإمام الشافعي العلم عن عدد كبير من الشيوخ، ذكر ابن حجر العسقلاني منهم قرابة الثمانين^(٤)، ومن هؤلاء: مالك بن أنس، الفضيل بن عياض (ت

(١)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ١٢.

(٢)- أحمد بن الحسن البيهقي، مناقب الشافعي، تح: أحمد سقر، دط. القاهرة: دت، دار التراث، ج ١، ص ٩٤-٩٥.

(٣)- نفسه، ج ١، ص ١٠٢-١٠٣.

(٤)- ينظر: أحمد بن علي الكناني ابن حجر العسقلاني، توالي التأسيس لمعالي ابن إدريس، تح: عبد الله القاضي، ط ١. بيروت: ١٤٠٦، دار الكتب العلمية، ص ٦٢-٧٢.

١٨٧هـ)، مسلم بن خالد الزنجي (ت ١٨٠هـ)، محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ)، سفيان بن عُيينة (ت ١٩٧هـ).

ج- **تلاميذه:** عرفَ قيمةَ الإمام في عصره أناسٌ كثيرون فأقبلوا عليه يأخذون العلم، وهم كثرة كثيرة^(١)، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: أحمد بن محمد بن حنبل، عبد الملك بن قريب الأصمعي، عبد الملك بن هشام المصري النحوي المشهور صاحب "تهذيب السيرة النبوية"، عبد الملك بن عبد العزيز، محمد بن محمد بن إدريس (ولد الإمام).

ح- **وفاته:** لما كان الموت جاريا على خلق الله جميعا، فقد توفي الشافعي -رحمه الله- ليلة الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين من الهجرة^(٢)، وله من العمر أربع وخمسون سنة.

خ- **مؤلفاته:** ترك الإمام للأمة تراثا ضخما ثميناً لا يزال العلماء والباحثون ينهلون منه معينا صافيا، لا سيما وأنه كان الرائد السباق في علم أصول الفقه ومن مؤلفاته رحمه الله نذكر^(٣): الرسالة، الأم، كتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى عن أبي يوسف، كتاب اختلاف مالك والشافعي، كتاب جماع العلم، كتاب المسند، كتاب مختصر المزني. هذا، وقد جادت قريحة الشافعي رحمه الله بقول الشعر، فجمع من بعده حتى صار ديوانا برأسه.

(١) - ينظر: نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) - ينظر: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت: ١٩٧٢، دار صادر، ج ٤، ص ١٦٥.

(٣) - ينظر: البيهقي، مناقب الشافعي، ج ٢، ص ١٠٨-١٠٩.

د- بعض ما قيل في الشافعي وعلمه: بعد أن عرف الناس شخصية الشافعي التي ظهرت بالعلم الغزير الذي كان خلاصة عقل ألمعي أنضجه علم الكتاب والسنة وعلم العربية، وأخبار الناس والشعر، والرأي...، شغلوا بعلمه وفقهه، وأقر عدد غير قليل من أكابر العلماء، سواء من شيوخه أو تلاميذه أو ممن جاء بعدهم، أنه كان علما بين العلماء^(١)، وسجلوا شهادات في الثناء عليه دونها التاريخ وهذا طرف منها: قال الإمام أحمد بن حنبل: « ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعي »^(٢)، وقال أيضا: « الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة واختلاف الناس، والمعاني، والفقه »^(٣).

وقد شهد المبرد (ت ٢٨٦هـ) إمام اللغة المشهور شهادة في حسن شعر الشافعي رحمه الله، فقال: « كان الشافعي أشعر الناس »^(٤)، وعده أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) حجة في اللغة بقوله: « وقول الشافعي نفسه حجة، لأنه عربي اللسان فصيح اللهجة »^(٥)، وبهذا نتبين مدى ثقة الأزهري الذي اشتهر باللغة حتى عرف بها، كيف أنه يثق بألفاظ الشافعي ويصفها بأنها حجة، وكيف لا يكون كذلك؛ وهذا الأصمعي (ت ٢١٥هـ) يجلس طالبا عنده، فقد قال ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) في ترجمته للشافعي: « كان الشافعي كثير المناقب، جمّ المفاخر، منقطع القرين، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلام صحابته رضي الله عنهم وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء، وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية، والشعر حتى إن الأصمعي مع جلالة قدره في هذا

(١) - ينظر: محمد أبو زهرة، الشافعي حياته وعصره وآراؤه وفقهه، دط. القاهرة: ١٩٧٨، دار الفكر العربي، ص ٣٣.

(٢) - أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح: الدكتور عبد الفتاح كيار، ط ٣. لبنان: ١٤٣١، دار النقاش، مقدمة التحقيق، ص ١٥.

(٣) - المرجع نفسه، ص ١٥.

(٤) - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٨٠.

(٥) - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي، تح: عبد المنعم طوعي، ط ١. لبنان: ١٤١٩، دار البشائر الإسلامية، ص ٥٦.

الشان، قرأ عليه أشعار الهذليين ما لم يجتمع في غيره»^(١)، أما عن أخلاقه وحسن سيرته رحمه الله فقد « اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه، وعفة نفسه، وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه»^(٢)، فنال بذلك منالاً عالياً، ومكاناً سامياً، حتى قال الذهبي في نهاية ترجمته: « لا نلام والله على حب هذا الإمام، لأنه من رجال الكمال في زمانه رحمه الله»^(٣).

هذا؛ ولو أردنا الاستقصاء في ثناء العلماء على الإمام لطال المقال، ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق.

١-٢- التعريف بالديوان: لما كان الشافعي رحمه الله متضلعا في اللغة والأدب والنحو... لم يكن قول الشعر عزيزا عليه، بل كان يجري على لسانه بسهولة ويسر حتى كان معظم شعره وليد اللحظة، وعن هذا يقول رحمه:

لَوْلَا الشَّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدٍ^(٤)

وقد تميّز شعره رحمه الله بحسن ألفاظه، ووضوح معانيه ونزاهة أغراضه، فكان بذلك تراثا شعريا رائعا حتى صار كنزا من كنوز الأدب، وتبعاً صافيا يستقي منه أبناء الأمة دروس الحكمة وألوان التجارب^(٥).

هذا؛ ومما ينبغي أن يشار إليه أن الشافعي رحمه الله لم يضع ديوانا لشعره، وما نراه اليوم من الدواوين الشائعة المبذولة إنما هو عمل قام به من بعده من أتباعه ومحبيه، جمعوا

(١) - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٦٣.

(٢) - المرجع نفسه، ص ١٦٣.

(٣) - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٩٩.

(٤) - أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الشافعي، عناية عبد الرحمن المصطاوي، ط ٣. بيروت: ١٤٢٦، دار المعرفة، ص ٤٩.

(٥) - ينظر: محمد مصطفى الشاذلي، الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، تح: محمد إبراهيم سليم، دط. القاهرة: دت، مكتبة ابن سينا، مقدمة التحقيق، ص ٠٨.

شعره رحمه الله من بطون الكتب التي حوت بعض أشعاره، كما نقلت وجمعت أيضا من كتب التراجم والسير وغيرها، ومن الدواوين مثلا: "نتيجة الأفكار فيما يعزى إلى الإمام الشافعي من أشعار" لأحمد العجمي (ت ١٠٢٩هـ) و"الجوهر النفيس في أشعار محمد بن إدريس" لمحمد مصطفى الشاذلي "طبع في مصر سنة ١٣٢١هـ، و"ديوان الشافعي" لأحمد هيبه، ظهر عام ١٣٢٩هـ، وغيرها كثير.

أما الديوان الذي جعلته مناط التحليل في دراستنا هذه، والذي اخترته لأجل الدقة التي تميز بها، وكذا الإفادة من الدواوين الأخرى، فهو من جمع وعناية عبد الرحمن المصطاوي، الطبعة الثالثة لسنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، من نشر دار المعرفة "بيروت"، بلغ عدد صفحاته: مائة وثمانين صفحة، كما انتظمت القصائد في هذا الديوان بحسب الترتيب الأبجائي.

هذا؛ وبعد هذه اللحة الموجزة عن الشافعي وشعره، يتسنى لنا وضع نص الدراسة في سياقه العام، مما ييسر الفهم والتأويل.

٢- الأغراض البلاغية واللطائف الجمالية لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار في

ديوان الشافعي:

الشاهد الأول: قال الشافعي:

تَسْتَرُّ بِالسَّخَاءِ كُلُّ عَيْبٍ يُعْطِيهِ كَمَا قِيلَ السَّخَاءُ^(١)

- محل الشاهد: في البيت هو قوله في العجز: "السخاء" أظهر ما حقه الإضمار ومقتضى الظاهر أن يأتي بالضمير "هو" وهذا النوع من الإظهار هو الذي يكون في جملتين.

- توضيح الغرض: لهذا الإظهار دلالة ومزية: الأولى هي دلالة التعظيم لأن السخاء أي البذل يغطي ويستر العيوب، والنفوس تحب أن لا تبدي عيوبها للناس، كما أفاد هذا الإظهار غرض التلذذ بذكر هذه اللفظة، إذ إن أصحاب الصفات الفاضلة يتلذذون بذكرها، وأفاد هذا الإظهار أيضا التنبيه، حيث يحمل تكرار لفظة "السخاء" المخاطب على التفكير في هذا الخلق الفاضل لأجل المُسارعة إلى التَّحلي به، وكأن الشافعي يقول: "كُن معطاءً تستر عيوبك عن الناس".

أما الثانية فهي مراعاة الموسيقى الخارجية للبيت وما أحدثه إظهار لفظ "السخاء" من جرس موسيقي.

الشاهد الثاني:

وَلَا تُرِ لِلْأَعَادِي قَطُّ دُلًّا فَإِنَّ شَمَاتَةَ الْأَعْدَا بَلَاءُ^(٢)

(١)- الديوان، ص ١٧.

(٢)- نفسه، الصفحة نفسها.

- **محل الشاهد:** عمد الشاعر في البيت إلى الإظهار في مقام الإضمار بقوله: "الأعدا" في العجز، مع أن المقام للضمير فيقال "شمانتهم" لأنه يمكن أن يعود الضمير من غير لبس على "الأعادي" المذكورة في صدر البيت وهذا من النوع الثاني للإظهار.

- **توضيح الغرض:** أثر الشافعي الاسم الظاهر على الضمير لغرض زيادة التمكن والتقدير، وكذا التحقير، ليؤكد لنا ما يفعله الأعداء في نفسية الإنسان، فالعدو يتربص الدوائر، ويبحث عن نقاط الضعف بغية النيل منك، أو الشماتة بك، لذا يجب أن تتجلد أمامه ولو كان بك ضعف أو هوان، وديننا الإسلام حريص على أن يبدو المسلمون في كامل قوتهم وعزهم حتى لا يشمت بهم أعداؤهم قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، لأجل هذا كان المسلمون من قبل أعرّة على الكفار رحماء بينهم، لأن شماتة الأعداء بلاء وأي بلاء؟.

كما أفاد الإظهار في مقام الإضمار غرض استقلالية الجملة فتجري مجرى المثل.

الشاهد الثالث: قال الشافعي رحمه الله:

وَرَزُقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّائِي وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ^(١)

- **محل الشاهد:** نلمس في هذا البيت إظهار لفظة "الرزق" بدل الضمير "الهاء" فيجيء الكلام "يزيد فيه العناء"، ونوع هذا الإظهار ما يأتي في جملتين.

- **توضيح الغرض:** أفاد أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في هذا البيت غرضين مهمين:

الأول هو غرض التنبيه، لأن الشافعي رحمه الله يريد أن ينبه على مسألة خفيت عن بصيرة الكثيرين ألا وهي مسألة "الاعتدال في طلب الرزق"، فنجدهم يبالغون في طلب

(١) - الديوان، ص ١٨.

الرزق ويجهدون أنفسهم، وهمُّهم الوحيد أن يقع المال في أيديهم بأي طريق كان، وهذا - ولا بد - سوء ظن بالله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٥٦]، وقد أخبرنا الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - بأن الرزق مقدر، كتبه الملك بأمر رب العالمين لكل إنسان وهو لم يتجاوز أربعة أشهر في بطن أمه*، ونحن بهذا لا نعني أن يجلس المرء في بيته وينتظر الرزق، وهو يعلم بأن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنما الذي يراد وكما أشار الشافعي هو الأخذ بالسبب مع الاعتدال في الطلب، ولقد أجاب الحسن البصري رحمه الله جوابا قيما حينما سئل عن سبب زهده في الدنيا إذ قال: «علمت أن رزقي لا يأخذه أحد غيري فاطمأن قلبي»^(١).

أما الغرض الثاني الذي حققه الإظهار فهو دفع اللبس، لأنه لو قال "فيه" لتوهم واهم أن المراد رزق المخاطب فحسب، وإنما قصد العموم وهو أيضا غرض من أغراض "الإظهار في مقام الإضمار".

الشاهد الرابع: قال الشافعي رحمة الله عليه:

أَكْثَرَ النَّاسِ فِي النَّسَاءِ وَقَالُوا إِنَّ حُبَّ النَّسَاءِ جَهْدُ النَّبَاءِ

لَيْسَ حُبُّ النَّسَاءِ جَهْدًا وَلَكِنْ قُرْبُ مَنْ لَا تُحِبُّ جُهْدُ النَّبَاءِ^(٢)

- محل الشاهد: من البين الجلي إظهار لفظة "النساء" في عجز الأول وصدر الثاني

بدل الضمير "هنّ"، أما نوع هذا الإظهار فهو الذي يقع في جملتين.

* - ينظر: حديث الصادق المصدوق عن عبد الله بن مسعود في صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي.

(١) - منتهى أهل الحديث، أكثر من ٤٠ حديث للإمام الحسن البصري، أحمد أبو رمان، ٢٩/٥/٢٠١٦

<http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=312673>

(٢) - الديوان، ص ١٩.

- **توضيح الغرض:** قبل تأويل ظاهرة الإظهار في مقام الإضمار، لا بدّ أن نتوقف قليلاً عند خيارات الشاعر الأسلوبية، فقد استعمل لفظة النساء دون المرأة، وهذا من مقتضيات السياق، لأنّه في موضع ذمّ لبعض أخلاق النساء، وكأنّ النساء ينسون فضل الرجل، وما يقوم به من قوامة ورعاية، في لحظة خصام، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يكفرن العشير))، أي من صفاتهنّ أنّهن لا يحفظن اليد ؛ يد الرجل الذي أحسن إليهن وأسندهنّ.

وأفاد إظهار لفظة (النساء) التنبيه وزيادة التقرير وتمكين المعنى في ذهن المخاطب؛ وهو ضرورة التّؤدة والأناة في أن يتخيّر الرجل لنفسه المرأة ذات الدين والخلق التي تسره إذا نظر ، وأما الاندفاع دون روية فمغبته قرب من لا تحب وأعظم بها من بليّة !

الشاهد الخامس: قال الشافعي عليه رحمة الله:

أَتَهَزُّ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدْرِيه وَمَا تَذْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ^(١)

- **محل الشاهد:** في عجز البيت إظهار ما حقه الإضمار وهو لفظة "الدعاء" إذ مقتضى الظاهر أن يقال "هو"، أما نوع الإظهار في مقام الإضمار هنا فهو الذي يأتي في جملتين.

- **توضيح الغرض:** أما عن النّكتة البلاغية لهذا الإظهار، فمع ما أحدثه من جرس موسيقي بسبب الوزن والقافية لنا أن نقول إن إظهار لفظة "الدعاء" لغرض التعظيم، لأنّ الدعاء شأنه في الإسلام عظيم، ومكانته فيه سامية، ومنزلته منه عالية، إذ هو من أجل

(١) - الديوان، ص ١٨.

العبادات ومن أعظم الطاعات ومن أنفع القربات^(١)، ولهذا جاءت النصوص الكثيرة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المبينة لفضله والمنوّهة بمكانته، وعظم شأنه والمرغبة فيه، والحاجة عليه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ومع ذلك كله نرى كثيرا من الناس - كما أشار الشافعي في هذا البيت - يستهزئون ولا يلجؤون إلى الله به، وهم بذلك في غفلة عما يحدثه من خير عظيم، ولو لم يكن الدعاء عظيم القدر لما تُقَبِّلَتْ دعوة المظلوم حتى من كافر، مثلما أخبرنا عليه الصلاة والسلام بذلك إذ قال: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْعِمَامِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ"»^(٢)، وبهذا - وغيره من النصوص الكثيرة - يعلم عظم قدر الدعاء في الدين.

الشاهد السادس: قال الشافعي:

إِنَّ الطَّبِيبَ بِطَبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَقْدُورِ الْقَضَا

مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِالذَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِئُ مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى^(٣)

- محل الشاهد: عمد الشاعر فيما سبق سرده إلى أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" وهو قوله في صدر البيت الثاني "الطبيب"، مع أن مقتضى الظاهر أن يقول "له"، وهذا النوع من "الإظهار في مقام الإضمار" يأتي في جملتين.

- توضيح الغرض: أثر الشاعر الاسم الظاهر على الضمير لأجل أن يستقل البيت بمعناه فيجري مجرى المثل، وقصد ثان وهو زيادة التقرير بأن كل شيء في هذا الوجود

(١) - ينظر: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، فقه الأدعية والأذكار، ط ١. الجزائر: ٢٠٠٨، دار الإمام مالك، ص ٢٨٣.

(٢) - أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، تح: شعيب الأرنؤوط، دط. دب: ٢٠٠١، مؤسسة الرسالة رقم الحديث؛ ٨٠٤٣، ج ١٣، ص ٤١٠.

(٣) - الديوان، ص ٢٠.

بالقضاء والقدر، وأن الموت قدر محتوم على كل مخلوق في هذه الحياة، حتى الطبيب الذي يعالج المرضى ويعطيهم سببا للحياة، ليس سالما من هذا القدر، لهذا نجد الشاعر يضغط على هذه اللفظة ويظهرها في البيت الثاني، حتى يزيد من استرعاء سمع المتلقي.

الشاهد السابع: قال الإمام محمد بن إدريس:

وَمَنْ هَابَ الرِّجَالَ تَهَيَّبُوهُ وَمَنْ حَقَرَ الرِّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا

وَمَنْ قَصَّتِ الرِّجَالُ لَهُ حُقُوقاً وَلَمْ يَقْضِ الرِّجَالُ فَمَا أَصَابَا^(١)

- محل الشاهد: نلحظ في البيتين إظهار لفظة "الرجال" موضع الضمير "هم" في عجز البيت الأول، وفي البيت الثاني ونوع "الإظهار في مقام الإضمار" ههنا هو من القسم الثاني.

- توضيح الغرض: وضع الشاعر المعرف بـ"أل" موضع ضميره في البيت الأول والثاني لغرض زيادة التمكين والتقدير وهو أن الجزاء من جنس العمل فمن هاب الرجال - أي احترامهم ووقرهم - احترموه ووقروه والعكس بالعكس، فإذا أهانهم أهانوه، وكذا إذا قضوا له حقوقا ولم يقضهم أخطأ أيما خطأ، كما أفاد إظهار لفظة "الرجال" غرض التنبيه، لأن الرجل الحق هو المتّصف بصفاتٍ وشمائلٍ منها المروءة والنخوة والشرف والشهامة والكرم... وقد أفاد أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" غرضا ثالثا وهو استقلال معنى كل بيت عن الآخر فيجري مجرى المثل.

الشاهد الثامن: قال الإمام الشافعي رحمه الله:

وَأَصْفَحَ عَنْ سَبَابِ النَّاسِ حِلْمًا وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السِّبَابَا^(٢)

(١) - الديوان، ص ٢٢.

(٢) - الديوان ، ص ٢٢.

- **محل الشاهد:** أظهر الشافعي في عجز البيت لفظة "الناس" في موضع الضمير "هم" ولفظة "السبابا" في موضع "الهاء" وقد وقع هذا "الإظهار في مقام الإضمار" في جملتين.

- **توضيح الغرض:** توصل الشاعر بإظهار لفظة "الناس" موضع الضمير إلى غرض تحقير أولئك الذين اتصفوا بذلك الخلق المذموم وهو السب والشتم، كما أفاد إظهار لفظة "السبابا" مع إمكان الإضمار تنبيها وتنفيرا من ذلك الخلق لأن المؤمن ليس بالطعان، ولا السباب، ولا الفاحش المتفحش، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ»^(١)، والشاعر في هذا البيت يدعو إلى التحلم وترك الجهل، لأن الجهل منهما هو نقيض العلم، ومنه ما هو نقيض الحلم.

الشاهد التاسع: قال محمد بن إدريس الشافعي المطلبي:

أَصْبَحْتُ بَيْنَ أَدِيبٍ مَالَهُ حَسَبٌ يَسْمُو بِهِ وَبَيْنَ حَسِيبٍ مَالَهُ أَدَبٌ

فَذَاكَ يَحْسُدُنِي إِذَا كُنْتُ ذَا حَسَبٍ عَالٍ، وَيَحْسُدُنِي هَذَا عَلَى الْأَدَبِ^(٢)

- **محل الشاهد:** في البيت الأخير إظهار اسم الإشارة "ذاك" موضع الضمير "هو" أما نوع "الإظهار في مقام الإضمار" فهو القسم الثاني.

- **توضيح الغرض:** استخدم الشاعر اسم الإشارة موضع الضمير للأجل دفع اللبس، فإنه لو أتى بالضمير "هو" لاحتمل عوده على كلا المرجعين اللذين سبقا في البيت الأول، كما أفاد هذا الإظهار غرض التحقير بالحاسد.

(١) - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح الأدب، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط٤. دب: ١٩٩٧، رقم الحديث: ٢٥٣.

(٢) - الديوان، ص ٢٣.

الشاهد العاشر: قال الإمام الشافعي:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوَرَتِي حِينَ أَغْضِبُ

فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحُبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ^(١)

- محل الشاهد: استعمل الشاعر لفظة "الحب" في البيت الثاني وكررها موضع الضمير "هو" في العجز، ونوع "الإظهار في مقام الإضمار" وهنا هو الذي يقع في جملتين.

- توضيح الغرض: استعمل الشاعر أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" فيما سبق من البيتين لغرض دفع اللبس ولو أتى بالضمير "هو" لاحتمل عوده على لفظة "الأذى" لأنه أقرب مذكور، وهناك نكتة بلاغية ثانية وهي زيادة التقرير لسنة كونية وهي نفرة الحق من الباطل، ومنه نفرة الحب من الأذى، فإن هي حافظت على بقاء الحب في قلبه عليها استعبدت قلبه واستدامت مودته والعكس بالعكس، وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء لها، قال الشاعر:

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ^(٢).

وهناك غرض آخر وهو التلذذ بلفظة الحب، فالحب للقلب بمنزلة الماء للأرض، فإذا أصابها الماء اهتزت وربت، وأثمرت وآتت أكلها ضعفين، فكذا القلب إذا استقر في سويدائه الحب أثمر، وصار نضرا، كما أن الأذى يجعل القلب مقفرا جدبا.

الشاهد الحادي عشر: قال الشافعي رحمه الله:

لَيْسَ كَانَ دَنْبِي حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَذَلِكَ دَنْبٌ لَسْتُ عَنْهُ أَثُوبُ^(٣)

(١) - نفسه، ص ٢٣.

(٢) - علي بن محمد بن الحسين أبو الفتح البستي، ديوان أبي الفتح البستي، تح: دربة الخطيب ولطفي الصقال، دط. دمشق: ١٤١٠هـ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص ١٨٧.

(٣) - الديوان، ص ٢٤.

- **محل الشاهد:** نلمس في عجز هذا البيت إظهار اسم الإشارة "فذلك" موضع الضمير، حيث إن مقتضى الظاهر أن يقول "فهو"، ونوع "الإظهار في مقام الإضمار" هو الذي يقع في جملتين.

- **توضيح الغرض:** من دلالات اسم الإشارة التي دخلت عليها اللام وكاف الخطاب هو البعد، وبناء على هذه الدلالة نوضح الغرض الذي أراد الشاعر إيصاله للقارئ، فقد أراد التعظيم من شأن آل محمد، وإظهار عاطفة الحب تجاههم، كما يظهر أن الشاعر يتلذذ بهذه العاطفة التي يعدها آخرون ذنباً.

الشاهد الثاني عشر: قال الشاعر:

مَعَ الْهَمِّ يُسْرَانِ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَلَا الْهَمُّ يُجْدِي، وَلَا الْاِكْتِنَابُ

فَكَمْ ضِقْتُ ذَرْعاً بِمَا هَبْنُهُ فَلَمْ يُرَ مِنْ ذَاكَ قَدْرٌ يُهَابُ^(١)

- **محل الشاهد:** إنَّ النَّاطِرَ بتمعن في هذين البيتين، يلمس أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار"، وذلك في عجز البيت الأول، وهو إظهار لفظة "الهم" موضع الضمير "هو" وكذا في عجز البيت الثاني وهو إظهار اسم الإشارة "ذاك" بدل "الهاء" فيجئ الكلام "منه" وكلاهما من النوع الثاني "للإظهار في مقام الإضمار".

- **توضيح الغرض:** حَقَّقَ أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" غرض التنبية على أنه لن يَغْلِبَ عَسْرٌ يسرين، فما اشتدت أزمةً إلاَّ وكان منها المخرج عند الله جلا وعلا، وهذا يتوافق مع ما قاله العلماء^(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١﴾ [الشرح: ٥-٦] ، والذي عرف هذا ينبغي عليه أن يُهَوِّنَ على نفسه، وألاَّ يَنغمَسَ في الهم،

(١) - الديوان، ص ٣٠.

(٢) - ينظر: أبو الفدا اسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، ط ٢. دب: ١٤٢٠، ج ٨، ص ٤٣٣.

لأنه لا يجدي بل يضر، كما أنَّ الإنسان قد يتوهم أموراً وهي غير واقعة في الحقيقة، وهذا ما أفاده إظهار اسم الإشارة في البيت الثاني، وقد قال الشافعي نفسه في موضع آخر وفق معنى ما سبق:

وَلَرُبَّ نَارِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرُجُ
صَاقَتْ فَلَمَّا اسْتُحْكِمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ، وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تَفْرُجُ^(١)

الشاهد الثالث عشر: قال الشاعر:

تَبَيَّنَ زَمَانُكَ ذَا وَاقْتَصِدْ فَإِنَّ زَمَانَكَ هَذَا عَذَابُ^(٢)

- محل الشاهد: أظهر الشاعر المعرف بالإضافة في موضع الضمير إذ قال في العجز "فإن زمانك" ومقتضى الظاهر أن يقول "فإنه" لإمكان عود الضمير على المرجع سابق الذكر في صدر البيت من غير لبس، أما عن نوعه فهو من القسم الثاني.

- توضيح الغرض: استخدم الشافعي أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" لغرضي التنبيه وزيادة التقرير، فالشافعي هنا ناصح مرشد يريد أن ينبّه ويحذر من صروف الزمان الذي كثيراً ما ملئ بالأتراح، وقسم بين الصفو الكدر، ووفق هذا المعنى قال الآخر:

لَا تَأْمَنَنَّ مِنَ الزَّمَانِ تَقَلُّبًا إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى أَهْلِهِ يَتَقَلَّبُ^(٣)

الشاهد الرابع عشر: قال الشافعي رحمه الله:

فَلَا بُدَّ مِنْ كَوْنِ مَا خُطِّفِي كِتَابِكَ، تُحْبَى بِهِ أَوْ تُصَابُ
فَمَنْ حَائِلٌ دُونَ مَا فِي الْكِتَابِ وَمَنْ مُرْسِلٌ مَا أَبَاهُ الْكِتَابُ؟^(٤)

(١) - الديوان، ص ٣٩.

(٢) - الديوان، ص ٣١.

(٣) - منتدى الشعر والشعراء، ٢٩/٠٥/٢٠١٦: http://falih.ahlamontada.net/t1607-topic:

(٤) - الديوان، ص ٣١.

- **محل الشاهد:** نلمس في البيت الثاني مما سبق، إظهارَ المعرفَ بـ"أل" موضع الضمير، وهو لفظ "الكتاب" ومقتضى الظاهر أن يؤتى بالضمير "هو"، أما نوع "الإظهار في مقام الإضمار" فهو من القسم الثاني.

- **توضيح الغرض:** الغرض البلاغي لوضع الاسم الظاهر موضع الضمير فيما سبق هو زيادة التقرير والتمكين بمعنى ثبوت ما في الكتاب الذي خطته الملائكة الحفظة من عمل الإنسان في دنياه، وهو بعدُ مجزئ به، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

الشاهد الخامس عشر: قال الإمام الشافعي رحمه الله:

إِذَا رُمَتْ الْمَكَارِمُ مِنْ كَرِيمٍ فَيَمِّمَ مَنْ بَنَىٰ لِلَّهِ بَيْتًا
فَذَاكَ اللَّيْثُ مَنْ يَحْمِي حِمَاهُ وَيُكْرِمُ ضَيْفَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا^(١)

- **محل الشاهد:** وضع الشافعي اسم الإشارة في صدر البيت الثاني موضع الضمير "هو"، وهذا "الإظهار في مقام الإضمار" من القسم الثاني الذي يقع في جملتين.

- **توضيح الغرض:** لنا أن نقول بعد إمعان النظر في فهم البيتين السابقين أن الشاعر استعمل اسم الإشارة موضع الضمير لأجل كمال العناية بالمسند إليه واختصاصه بهذا الوصف ألا وهو الكرم، فالكريم في نظر الشافعي هو من بنى لله بيتا، وبيوت الله كما هو معلوم هي أماكن للعبادة والعلم، وثواب بانيتها دائم لأنها من الصدقة الجارية، ومن كان كذلك فهو كالليث الذي يحمي الحمى.

الشاهد السادس عشر: قال الشافعي عليه رحمة الله:

النَّاسُ بِالنَّاسِ مَا دَامَ الْحَيَاءُ بِهِمْ وَالسَّعْدُ لِأَشْكَ تَارَاتٍ وَهَبَاتٍ

(١) - الديوان، ص ٣٤.

وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الْوَرَى رَجُلٌ تُقْضَى عَلَى يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ^(١)

- محل الشاهد: من البين الجلي إظهار لفظة "الناس" موضع الضمير "هم" في عجز البيت الثاني، وقد وقع "الإظهار في مقام الإضمار" هنا في جملتين.

- توضيح الغرض: أفاد أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" في البيت زيادة التقرير والتمكين وكذا التنبيه على خلق لا يتصف به إلا الأفاضل ألا وهو "قضاء حوائج الناس"، فكان الشافعي رحمه الله يقول: اقض حوائج الناس يقض الله حوائجك، ولا تقل فلان كذا وفلان كذا، وإنما عليك ببذل الخير للناس جميعاً، ولا تهمك لومة لائم، وقد قال الشاعر الحكيم:

إِزْرَعْ جَمِيلاً وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرَعَا^(٢)

الشاهد السابع عشر:

أَحِبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُوَاتِي وَكَلَّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ عَثْرَاتِي
يُؤَافِقُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أَرِيدُهُ وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ مَمَاتِي
فَمِنْ لِي بِهَذَا؟ لَيْتَ أَتِي أَصْبَتْهُ لَقَاسَمَتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ^(٣)

- محل الشاهد: وضع الشاعر اسم الإشارة موضع الضمير في صدر البيت الأخير إذ قال: "بهذا" ومقتضى الظاهر أن يأتي بالضمير فيقول "به" فالمرجع سابق في البيتين الأولين، أما عن نوع هذا الإظهار فهو من القسم الذي يقع في جملتين.

(١) - نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) - سراج الدين محمد، موسوعة روائع الشعر العربي، دط. لبنان: دت، دار الراتب الجامعية، ج ١، ص ٣٦.

(٣) - الديوان، ص ٣٦.

- توضيح الغرض: أثر الشافعي رحمه الله اسم الإشارة على الضمير لغرض كمال العناية وزيادة التقرير، فالصديق الحق هو كما وصفه الشافعي الوفي الذي يصفح عند الخطأ، فلو لقاها في زمن كثر فيه الخوان لقاسمه ماله من الحسنات إكراماً له.

الشاهد الثامن عشر: قال الإمام الشافعي:

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرْجَا مِنْ رَاقِبِ اللَّهِ فِي الْأُمُورِ نَجَا

مَنْ صَدَقَ اللَّهُ لَمْ يَنْلُهُ أَدَى وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا^(١)

- محل الشاهد: نلمس بوضوح في صدر البيت الثاني إظهار الاسم الجليل "الله" موضع الضمير، والأصل أن يجيء الكلام: "صدقه"، أما نوعه أي "الإظهار في مقام الإضمار" فقد وقع في جملتين.

- توضيح الغرض: أظهر الشافعي الاسم الجليل "الله" موضع ضميره لغرض التخميم وكذا التلذذ بذكر اسمه جل وعلا، كما أفاد هذا الإظهار التنبيه على أن من أخلص لله العمل وكان صادقاً فيه دون رياء أو نفاق، حفظه الله بحفظه فلم ينله أذى.

الشاهد التاسع عشر: قال الشافعي رحمه الله:

لَيْتَ السَّبَاعَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً وَلَيْتَنَا لَا نَرَى مِمَّا نَرَى أَحَدًا

إِنَّ السَّبَاعَ لَتَهْدَى فِي مَرَابِضِهَا وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهِادٍ شَرُّهُمْ أَبَدًا^(٢)

- محل الشاهد: وضع الشافعي المعرف بـ "أل" موضع الضمير في صدر الثاني "السباع" مع أن مقتضى الظاهر أن يقول "إنها"، ولقد وقع "الإظهار في مقام الإضمار" في جملتين.

(١) - الديوان، ص ٣٩.

(٢) - نفسه، ص ٤٠.

- **توضيح الغرض:** وضع الشافعي رحمه الله المعروف بـ "أل" موضع ضميره لغرض استقلال البيت فيجري مجرى المثل، وكذا التحقير الموجه إلى أولئك الذين لا يكفون شرهم، حتى إن السباع التي هي وحوش ضارية تهذى في مراتبها، أما شرار الناس فشرهم مستمر لا تهدأ لهم نار، فالسباع في هذه الحال خير منهم، وقد قال الشاعر القديم لما ضاق ذرعا بأهله الذين ظلموه:

ولي دونهم أهلون : سِيْدُ عَمَلَسْ وأرْقَطُ زُهْلُول وَعَرْفَاءُ جِيَالُ

هم الأهل . لا مستودع السرِّ ذائعٌ لديهم ، ولا الجاني بما جرَّ ، يُخْذَلُ^(١)

الشاهد العشرون:

أتاني عذرك منك في غير كنهه كأنك عن برِّي بذاك تحيد

لسانك هشَّ بالنوال ولا أرى يمينك إن جاد اللسان تجود

إذا كان ذو القربى عند مَبْعَدَا ونال الذي يهوى لديك بعيد

تفرّق عنك الأقربون لشأنهم وأشفقت أن تبقى وأنت وحيد

وأصبحت بين الحمد والذم واقفاً فياليت شعري أيّ ذاك تريد؟^٢.

محلّ الشاهد: وظف الشاعر تقنية الإظهار وكان ذلك بوضع اسم الإشارة ذاك في

موضعين، في عجز البيت الأول والثالث.

توضيح الغرض: جيء باسم الإشارة ذاك ومقتضى الظاهر يقتضي ضميراً، لتحقيق

غرض بلاغي وهو وصف البعد، فالمخاطب من قبل الشاعر حاد عن بره وازورّ فأصبح في

منأى عنه، لذلك كان استعمال اسم الإشارة أنسب من الضمير هاهنا، وكذا الحال في البيت

(١) - ثابت بن أوس الشنفرى، ديوان الشنفرى، تح: إميل بديع يعقوب، ط٣. بيروت: ١٤١٧، دار الكتاب العربي، ص

الثالث، فالمخاطب كائن بين صفتي الحمد والذم، فهو بينهما، لذا جاء التعبير باسم الإشارة ذلك أنسب لتحقيق الدلالة المنشودة فلا هو إلى صفة الحمد ولا إلى صفة الذم.

الشاهد الواحد والعشرون: قال الشافعي:

مَتَى تَقْدُ بِالْبَاطِلِ الْحَقَّ يَأْبَهُ وَإِنْ قُدَّتْ بِالْحَقِّ الرَّوَاسِي تَنْقُدُ^(١)

- محل الشاهد: نلمس في البيت إظهار لفظة "بالحق" بدل الضمير فيقول "به"، ليكون بذلك هذا الإظهار من النوع الواقع في جملتين.

- توضيح الغرض: في هذا البيت نكت بلاغية حققها أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" الأولى هي دفع اللبس والغموض، لأنه لو قال "به" لربما وقع لبس على السامع فيستفهم، أيعود الضمير على "الحق"؟ أم على "الباطل"؟، أما النكتة البلاغية الثانية فهي تعظيم شأن الحق، ومما يُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لأن أقول الحق فيضعني - وما أقل ما يضع - خير من أن يرفعني الباطل وما أقل أن يرفع»^(٢) فدل هذا على أن الحق عظيم المنزلة والقدر تتقاد به الرواسي، فما بالك بالبشر، وقد قيل "من ركب الحق غلب الخلق"، أما الغرض البلاغي الثالث فهو التلذذ بذكر هذا اللفظ، وغرض رابع وهو استقلال شطر البيت فيجري مجرى المثل.

الشاهد الثاني والعشرون: قال الشافعي:

إِنْ غَبْتُ عَنْهُمْ فَشَرُّ النَّاسِ يَشْتُمُنِي وَإِنْ مَرِضْتُ فَخَيْرُ النَّاسِ لَمْ يَغْدُ^(٣)

(١) - الديوان، ص ٤٧.

(٢) - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٢٦٣.

(٣) - الديوان، ص ٥٠.

- محل الشاهد: تضمن عجز هذا البيت إظهار ما حقه الإضمار وهو لفظ "الناس" بدل الضمير "هم" وهذا الإظهار نوعه من القسم الثاني.

- توضيح الغرض: يلمس الناظر المتمعن في هذا البيت غرض التنبيه بإظهار لفظة "الناس" وكذا زيادة التقرير لمسألة قد يعيشها كل واحد منا، ألا وهي غدر الناس بل حتى الأصحاب، فتجد الواحد يملأ يديه من الأصحاب ومعرفة الناس، فإذا نزلت به نازلة أو حلَّ به خطب لم يجد حوله منهم أحدا، ولربما تعدى الأمر إلى السب والشتم في ظاهر الغيب كما قال الشافعي في هذا البيت، ومما يشابهه قوله في موضع آخر:

وَمَا أَكْثَرَ الإِخْوَانَ حِينَ تَعْدُهُمْ وَلَكِنْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلٌ^(١)

وهناك من يقول أيضا:

وَلَسْتُ بِنَاجٍ مِنْ مَقَالَةٍ طَاعِنٍ وَلَوْ كُنْتُ فِي غَارٍ عَلَى جَبَلٍ وَغَرٍ

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّاسِ سَالِمًا وَلَوْ غَابَ عَنْهُمْ بَيْنَ خَافِيَتَي نَسْرِ^(٢)

الشاهد الثالث والعشرون: قال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي:

وَتَسْتَرْجِعُ الأَيَّامَ مَا وَهَبْتُكُمْ وَمِنْ عَادَةِ الأَيَّامِ تَسْتَرْجِعُ الْقَرْضَا^(٣)

- محل الشاهد: وضع الشاعر لفظة "الأيام" موضع الضمير في عجز البيت حيث إن مقتضى الظاهر أن يقول: "ومن عادتها"، أما نوع "الإظهار في مقام الإضمار" فهو من القسم الثاني.

- توضيح الغرض: الغرض البلاغي الذي حققه أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" في هذا البيت هو زيادة التمكين والتقرير وكذا التنبيه على أمر يحسن بالعاقل، بعيد النظر،

(١) - الديوان، ص ٩٦.

(٢) - نقلا عن: محمد ناصر الدين الألباني، صفة صلاة النبي، دط. الرياض: دت، مكتبة المعارف، ص ١١.

- الديوان، ص ٧١. (٣)

الذي يفكر في عواقب الأمور أن ينتبه إليه، ألا وهو التسلح للمستقبل وأن يعمل حساباً له، فلا السرور يدوم ولا الفرح، ولا الصحة ولا المال، وسيأتي يوم يأخذ فيه ما أقرض من قبل.

الشاهد الرابع والعشرون: قال الإمام الشافعي رحمه الله:

الْجَدُّ يَدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ وَالْجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ^(١)

- **محل الشاهد:** من البين إظهار لفظ "الجد" في عجز البيت بدل الضمير "هو"، أما نوع "الإظهار في مقام الإضمار" فهو من القسم الثاني.

- **توضيح الغرض:** أفاد أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" في هذا البيت زيادة التقرير والتمكين، وكذا غرض التخييم لأن "الجد" كلمة لها قدرها ومكانتها عند ذوي الهمم العالية، فبالجد والاجتهاد يصير الأمر الصعب سهلاً، وبالجد تنال الدرجات، وكم متصف بالجد حاز مراتب عالية وسل عن ذلك خبيراً.

الشاهد الخامس والعشرون: قال الإمام الشافعي رحمه الله:

وَأَمِنْ مَكْرَ اللَّهِ بِاللَّهِ جَاهِلٌ وَخَائِفٌ مَكْرَ اللَّهِ بِاللَّهِ عَارِفٌ^(٢)

- **محل الشاهد:** أظهر الشاعر الاسم الجليل "الله" بدل الضمير "الهاء" صدرًا وعجزًا، ونوع هذا "الإظهار في مقام الإضمار" من كلا القسمين الأول والثاني.

- **توضيح الغرض:** أفاد أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في هذا البيت غرض تربية المهابة وإدخال الروعة في قلب السامع، وهناك عبارة مأثورة تتوافق مع معنى هذا البيت ألا وهي "من كان بالله أعرف كان منه أخوف" فالذي يأمن مكر الله جل وعلا - وهي صفة مقيدة - جاهل بالله عز وجل قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [غافر: ٢٨]

(١) - الديوان، ص ٨٦.

(٢) - نفسه، ص ٨٧.

فكلما ازداد العبد معرفة بالله ازداد منه خوفاً، كما أفاد هذا الإظهار التفضيم والتعظيم بذكر اسمه جل وعلا، وغرض ثالث وهو استقلالية الجملة فتجري مجرى المثل.

الشاهد السادس والعشرون: قال الإمام الشافعي رحمه الله:

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي^(١)

- **محل الشاهد:** اشتمل عجز هذا البيت على إظهار ما حقه الإضمار وهو الاسم الجليل "الله" إذ إن مقتضى الظاهر أن يقول "أنه"، أما نوع هذا "الإظهار في مقام الإضمار" فهو من القسم الثاني.

- **توضيح الغرض:** عمد الشاعر إلى إظهار الاسم الجليل "الله" في موضع الضمير لغرض التعظيم وزيادة التفضيم فالله هو الواحد الرزاق لا رازق سواه تكفل برزق العباد إن هم صدقوه، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٦١ ﴾ [هود: ٦] ، كما أفاد أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" الاستلذاذ بذكر اسمه الجليل جل وعلا.

الشاهد السابع والعشرون: قال الشافعي رحمه الله:

عَلِمِي مَعِيَ حَيْثُ مَا يَمُمْتُ يَنْفَعُنِي صَذِرِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقٍ

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ^(٢)

- **محل الشاهد:** وضع الشاعر الاسم المظهر وهو المعروف بـ"أل" موضع الضمير في عجز هذا البيت حيث قال: "كان العلم" مقتضى الظاهر أن يقول كان "هو"، كما أظهر لفظ "السوق" أيضاً، فيندرج، أي أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" ضمن القسم الثاني.

(١) - الديوان، ص ٨٧.

(٢) - نفسه، ص ٨٨.

- **توضيح الغرض:** أفاد أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" ههنا غرضين، الأول هو دفع اللبس، لأنه لو أتى بالضمير لاختل المعنى لإمكان عود الضمير على لفظ السوق لأنه أقرب مذكور، وقد تحقق ذات الغرض عند إظهاره لفظ "السوق".

أما الغرض الثاني فهو التعظيم وكذا الاستلذاذ بذكر لفظ "العلم" وكيف لا يكون ذلك، والعلم هو أجل مقصود وأعز مطلوب، به يعرف المرء ربه وكيفية عبادته...

الشاهد الثامن والعشرون: قال الإمام الشافعي:

وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا التَّقَتْ عَلَيْهِ الْجَحَافِلُ

وَإِنَّ صَغِيرَ الْقَوْمِ إِنْ كَانَ عَالِمًا كَبِيرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الْمَحَافِلُ^(١)

- **محل الشاهد:** في صدر البيت الثاني إظهار لفظ "القوم" بدل الضمير "هم"، أما نوع الإظهار فهو واقع في جملتين.

- **توضيح الغرض:** أفاد إظهار لفظ "القوم" التنبيه على أن العلم يرفع شأن صاحبه حتى ولو كان صغير القوم، وكم وقع هذا من قديم إلى يوم الناس هذا، كما أفاد أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" استقلال البيت عن الأول.

الشاهد التاسع والعشرون: قال الشافعي رحمه الله:

إِنَّ الْفَقِيهَ هُوَ الْفَقِيهُ بِفِعْلِهِ لَيْسَ الْفَقِيهُ بِنُطْقِهِ وَمَقَالِهِ^(٢)

- **محل الشاهد:** أظهر الشاعر لفظ "الفقيه" في عجز البيت بدل الضمير "هو".

(١) - الديوان، ص ٩٥.

(٢) - نفسه، ص ١٠٠.

- **توضيح الغرض:** نلمس من خلال إظهار لفظ "الفقيه" في هذا البيت غرض التنبيه على أن الفقيه الحق، هو الذي جمع بين العلم والعمل ولم يفرق بينهما، لا الذي يقول فقط فهذا ليس بالفقيه، وقد قيل: "علم بلا عمل كشجر بلا ثمر".

الشاهد الثلاثون: قال الإمام الشافعي:

وَكَذَا الرَّئِيسُ هُوَ الرَّئِيسُ بِخُلُقِهِ لَيْسَ الرَّئِيسُ بِقَوْمِهِ وَرِجَالِهِ^(١)

- **محل الشاهد:** تجلّى أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" في هذا البيت بإظهار لفظة الرئيس موضع الضمير "هو" في العجز ونوع "الإظهار في مقام الإضمار" ههنا ما يقع في جملتين.

- **توضيح الغرض:** أفاد الشاعر في هذا البيت بإظهار ما حقه الإضمار غرض زيادة التقرير والتنبيه على شيء مهم في القيادة والرئاسة، فالذي رام السيادة والرئاسة الحقّة، فعليه بالخلق القويم، وقد كان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الخلق، فأنته النفوس طائعة، وأقبلت عليه الأرواح ملبية، قال تعالى: ﴿لَوْ كُنْتَ فَضًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الشاهد الواحد والثلاثون: قال الشافعي رحمه الله:

وَكَذَا الْغَنِيِّ هُوَ الْغَنِيُّ بِحَالِهِ لَيْسَ الْغَنِيُّ بِمُلْكِهِ وَبِمَالِهِ^(٢)

- **محل الشاهد:** وضع الشاعر المعرف بـ "أل" وهو لفظة "الغني" موضع الضمير "هو" في العجز، ونوع الإظهار في موضع الإضمار ههنا من القسم الثاني.

(١) - الديوان، ص ١٠٠.

(٢) - نفسه، الصفحة نفسها.

- **توضيح الغرض:** أفاد أسلوب الإظهار في مقام الإضمار غرضي زيادة التمكين والتقرير وكذا التنبيه على أن الغنى غنى النفس، لا غنى المال والملك، وغرض ثالث وهو استقلالية الجملة.

الشاهد الثاني والثلاثون: قال الشاعر محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله:

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي

وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ^(١)

- **محل الشاهد:** وضع الشاعر الاسم الظاهر وهو لفظة "العلا" في صدر البيت الثاني موضع الضمير إذ مقتضى الظاهر أن يقول "من رامه" أي العلا، أما عن نوع "الإظهار في مقام الإضمار" فهو من القسم الثاني.

- **توضيح الغرض:** كرر الشاعر لفظة "العلا" بدل أن يضمها لأجل تحقيق أغراض ونكت بلاغية منها التعظيم لهذه الكلمة قليلة المباني، رفعة القدر والمعنى، وكذا غرض التلذذ بذكرها، وغرض آخر وهو زيادة التقرير والتمكين على أن العلا لا يدرك إلا بالجد والكد والاجتهاد، لا بالركون إلى الكسل والخمول، كما أفاد هذا الإظهار - أيضا - قصد العموم لكل مرید للعلا، الجاد في طلبه.

الشاهد الثالث والثلاثون: قال الإمام الشافعي عليه رحمة الله:

وَبَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَشْكُو فَأَقْتِي فَإِنَّ اللَّهَ بِالْحَالِ أَعْلَمُ^(٢)

(١) - الديوان، ص ١٠٠.

(٢) - نفسه، الصفحة نفسها.

- **محل الشاهد:** نلمس في عجز هذا البيت إظهار الاسم الجليل "الله" موضع الضمير، مقتضى الظاهر أن يقول "فإنه" لأن الضمير يمكن أن يعود على مرجعه في "الصدر" وهو لفظ الاسم الجليل.

- **توضيح الغرض:** حقق أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" في هذا البيت غرض التعظيم والتفخيم بذكر الاسم الجليل "الله"، وكذا غرض زيادة التقرير بأن الله هو العليم الذي يعلم كل شيء لا تخفى عليه خافية، وهو المأمول في إجابة الدعاء، كما أفاد هذا الإظهار غرض استقلالية الجملة فتجري مجرى المثل.

الشاهد الرابع والثلاثون: قال الشافعي رحمه الله:

مَعَ الْعِلْمِ فَاسْأَلْكَ حَيْثُمَا سَلَكَ الْعِلْمُ وَعَنْهُ فَسَائِلُ كُلِّ مَنْ عِنْدَهُ فَهَمْ^(١)

- **محل الشاهد:** أظهر الشاعر المعرف بـ"أل" في صدر البيت إذ قال: "سلك العلم" مع أن مقتضى الظاهر أن يقول: "سلك هو"، أما نوع "الإظهار في مقام الإضمار" في هذا البيت فهو من القسم الأول.

- **توضيح الغرض:** أفاد أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" ههنا غرض التفخيم فقد تكاثرت النصوص وتضافرت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في الحث على العلم والسعي في طلبه، والحرص على تلقيه حتى ينال المرء به مكانا عاليا، وقد كانت أول آيات الذكر التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هي في العلم، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَى بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَفَرَأَى أُفْرَأَ ۝ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝﴾ [العلق: ١-٤] .

كما أفاد أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" في هذا البيت غرض مراعاة المحسن البديعي وهو "التصرع".

(١)- الديوان، ص ١٠٥.

الشاهد الخامس والثلاثون: قال الإمام الشافعي رحمه الله:

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وَمَا لَزَمَانَنَا عَيْبُ سَوَانَا

وَنَهْجُو دَا الزَّمَانَ بِغَيْرِ دَنْبٍ وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ هَجَانَا^(١)

- محل الشاهد: أظهر الشاعر المعرف بالإضافة في عجز البيت الأول كما أظهر لفظ "الزمان" في عجز الثاني موضع الضمير "هو" أما عن نوع "الإظهار مقام الإضمار" فهو من القسم الثاني.

- توضيح الغرض: نلمس في هذا البيت بإظهار ما حقه الإضمار غرض التنبيه على عيوب النفس والسعي لإصلاحها، كما أفاد غرض زيادة التقرير والتمكين لمعنى البيت. وبهذا نكون قد انتهينا من الشواهد المستخرجة من ديوان الشافعي، وقد رأينا ما حققه أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" من أغراض بلاغية في هذا الديوان لعل أهمها: زيادة التقرير والتمكين، وغرض التعظيم والتفخيم، وكذا التنبيه، واستقلال الجملة لتجري مجرى المثل، كما أن أغلب شواهد "الإظهار في مقام الإضمار" في هذا الديوان من النوع الثاني؛ أي الذي يقع في جملتين وهو الأفصح عند الزركشي، إلا شاهدين اثنين (الشاهد رقم ٢٤، والشاهد رقم ٣٣).

الشاهد السادس والثلاثون:

تَأَوَّهَ قَلْبِي وَالْفَوَادُ كَنِيبٌ وَأَرْقَ نَوْمِي فَالْسَهَادُ عَجِيبٌ

فَمَنْ مَبْلَغَ عَنِّي الْحُسَيْنِ رِسَالَةً وَإِنْ كَرِهَتْهَا أَنْفُسُ وَقُلُوبُ^٢.

(١) - نفسه، ص ١١٢.

٢ الديوان، ص ١٢١.

محلّ الشاهد: يشهد التركيب عدولا وذلك بإظهار لفظة الفؤاد في صدر البيت الأول، ولو عدنا إلى التركيب الاصطلاحي نقول: **تأوّه قلبي وهو كئيب.**

توضيح الغرض: قبل أن نتتبّع الغرض المتواري خلف هذا التشكيل، لا بدّ أن نقف عند اختيارات الشاعر، فقد رأيناه أتى بمرادف القلب وهو الفؤاد، وهناك فارق لطيف في الاستعمال، فالفؤاد مشتق من الفعل فأد الذي يعني الشوي، يقال فأد اللحم أي شواه، ومن خلال هذا العرض المعجمي للفظّة فؤاد نتوصل أنّ استعمال الفؤاد لم يكن جزافاً أو اعتباطاً، حتى يتسنى له التعبير عن الحالة الشعورية الملحة على الشاعر في لحظة تشكيل نصّه الشعريّ، فالإظهار ساعده على إظهار تأوّهاته وزفراته التي تشعّ كأبة.

الشاهد السابع والثلاثون:

وقد أسمع القول الذي كاد كلما تذكرنيه النفس قلبي يصدع

وأبدي لمن أبداه منّي بشاشة كأني مسرور بما منه أسمع

وما ذاك من عجب غير أنّي أرى ترك بعض الشرّ للشرّ اقطع^١.

محلّ الشاهد: نلمس في البيت الثالث عدولا بوضع اسم الإشارة ذاك في موضع الضمير، إذ التقدير: **وما هو من عجب.**

توضيح الغرض: لقد اختار الشاعر توظيف اسم الإشارة ذاك على الضمير هو، والمتعارف عليه أنّ اسم الإشارة والضمير كلاهما يرفعان الإبهام، غير أن المقام يستدعي اسم الإشارة لأنّ فيه دلالة تستلزمه دون الضمير، فدلالة اسم الإشارة هنا هي البعد، فكأنّ الشاعر يريد أن يبعد ويصرف التظاهر بالسرور والبشاشة لما يرتفع إلى مسامعه من أقوال تزرع الألم في القلب عن العجب والكبر، بل كانت من باب انتقاء الشرور وقطعها.

^١ الديوان، ص ٢٨٣.

الشاهد الثامن والثلاثون:

أجاعتهم الدنيا فخافوا ولم يزل كذلك ذو التقوى عن العيش ملجما
وفي ابن سعيد قدوة البرّ والنهى وفي الوارث الفاروق صدقا مقدّما
أخو طيء داود منهم ومسعر ومنهم وهيب والعريب ابن أدهما
وحسبك منهم بالفضيل مع ابنه ويوسف إن لم يأل أن يتسلما
أولئك أصحابي وأهل مودتي فصلّى عليهم ذو الجلال وسلّم^١.

محلّ الشاهد: من هذا قوله: أولئك أصحابي، وذلك في صدر البيت الأخير، حيث إنّ المقام للضمير، فيقول مثلاً: هم أصحابي وأهل مودّتي، لأنّه تقدّم مرجعه في الأبيات السابقة، لكنّه عدل واختار اسم الإشارة عن ضمير الجمع.

توضيح الغرض: حتى يرينا المكانة الرفيعة لأصحابه الذين ذكرهم تباعاً في الأبيات السابقة، فقد نالوا هذه المكانة والشرف من خلال العلم، فقد كانوا منارات تنير العقول وتزيل عنها الظلمات.

الشاهد التاسع والثلاثون:

على كلّ حال أنت بالفضل آخذ وما الفضل إلا للذي يتفضل^٢.

محلّ الشاهد: برزت ظاهرة الإظهار في مقام الإظهار في الشطر الثاني، إذ يتطلب مقتضى الظاهر ضمير فصل: وما هو إلا للذي يتفضل.

توضيح الغرض: لقد حقّق إظهار الشاعر لفظة الفضل غرض الإقرار والتأكيد على أنّ الفضل يكون أليق لمن يكون متفضلاً.

^١ الديوان، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

^٢ الديوان، ص ٣١٣.

الشاهد الأربعون:

فما ضرَّ ذا التقوى نصال أسنة وما زال ذو التقوى أعزَّ وأكرما

وما زالت التقوى تريك على الفتى إذا محض التقوى من العزِّ ميسما^١.

محلّ الشاهد: في البيت الثاني هو قوله التقوى، أظهر ما حقه الإضمار، ومقتضى الظاهر أن يأتي بالضمير المتصل الهاء، وهذا النوع من الإظهار هو الذي يكون في جملتين.

توضيح الغرض: الإظهار هو الضغط على لفظة تكون من اهتمام الشاعر، وقد ضغط الشاعر على لفظة التقوى، وأظهرها، وذلك لاعتبارات دلالية استتجناها من السياق الذي وردت فيه، وهي العناية والتعظيم، فالفتى لن ينال العزَّ والشرف في الدنيا والآخرة إلا بالتقوى، فهي مناط التفاضل بين الناس وتفاوتهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى﴾ [الحجرات: ١٣].

الشاهد الواحد والأربعون:

إليك - إله الخلق - أرفع رغبتي وإن كنت - يا ذا المنّ والجود - مجرما

تعاضمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما^٢.

محلّ الشاهد: يتجلى الإظهار في عجز البيت الثاني في لفظة عفوك، فالأصل في الكلام مجيء الضمير: كان هو أعظما.

توضيح الغرض: استعمل الشاعر أسلوب الإظهار في مقام الإضمار فيما سبق من البيت لغرض الاستعطاف، فهو في موقف استعطاف الله سبحانه وتعالى، لذا أظهر لفظة

^١ الديوان، ص ٣٤٦.

^٢ الديوان، ص ٣٥٢.

العفو، فالإنسان مهما عظمت ذنوبه وأعماله السيئة، فله رجاء في عفو ورحمة المولى عز وجلّ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] .

الشاهد الثاني والأربعون:

خف الله وارجه لكلّ عزيمة ولا تطع النفس اللجوج فتندما

وكن بين هاتين من الخوف والرجا وأبشر بعفو الله إن كنت مسلماً^١.

محلّ الشاهد: انضوى هذا التشكيل البلاغي على أسلوب الإظهار في مقام الإضمار ، وذلك في صدر البيت الثاني باستبدال الضمير المتصل باسم الإشارة هاته: **وكن بينهما من الخوف والرجا**.

توضيح الغرض: من الدلالات التي نستشفها من هذا الانتهاك باستعمال اسم الإشارة هاتين دون الإتيان بالضمير هو التنبيه، فهاء التنبيه لا تلتصق بالضمير، لذا كان اسم الإشارة أنسب، فالشاعر في موضع إرشاد ونصح بأن لا تطيع النفس والهوى وأن تطيع الله خوفاً من عذابه، وطمعا في عفو ومغفرته.

الشاهد الثالث والأربعون:

فلم أدع الأنين لقلّ سقمي ولكني ضعفت عن الأنين

وفي ترك الأنين لكم دليل على ضدّ الذي أوهتموني^٢.

محلّ الشاهد: لقد أحدث الشاعر عدولا بوضع المظهر وهو لفظة الأنين، مقام المضمر، في عجز البيت الأول، فالأداء المعياري للجملة هو: **ولكنني ضعفت عنه**.

^١ الديوان، الصفحة نفسها.

^٢ الديوان، ص ٣٨٣.

توضيح الغرض: إن إظهار ما حقه الإضمار يمنح القصيدة امتدادا وتناميا في الصور والأحداث، لذلك يعدّ بؤرة تشع منه الدلالات، كما أنّ العدول من الإظهار إلى الإضمار يكون وفق تحولات تعتمل في نفسية الشاعر، وهذا ما تحقق في قول الشاعر، فهو يعاني من تأزم نفسي، ولّد لديه أنينا انكسرت له نفسه.

الشاهد الرابع والأربعون:

ومن رأني بعين نقص رأيته بالتي رأني

ومن رأني بعين تمّ رأيته كامل المعاني^١.

محلّ الشاهد: تتموقع ظاهرة الإظهار في مقام الإضمار في عجز البيت الأول، وذلك بإحلال الاسم الموصول التي محلّ الضمير المتصل الهاء، وهذا الإظهار من النوع الذي يكون في جملتين.

توضيح الغرض: نستقتر من هذا العدول التركيبي بوضع المظهر مقام المضمّر غرضاً بلاغياً، وهو الانتقاص، لأنّ هذا التركيب كثير في أساليب العرب، وأسلوب القرآن الكريم، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يُنَادِ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ذَلَّٰلًا وَجْهَهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨] ، فاستعمال الاسم الموصول في هذا المقام دليل على ازدياد فعل الانتقاص.

الشاهد الخامس والأربعون:

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري إليه^٢.

^١ الديوان، ص ٣٨٧.

^٢ الديوان، ص ٤٠٣.

محلّ الشاهد: وضع الشاعر لفظة الحبيب موضع الضمير، إذ التقدير: وأتى هو

يعودني، وهذا الإظهار حاصل بين جملتين.

توضيح الغرض: والغرض الذي نستشفه من حدوث هذه الظاهرة في عجز البيت

الثاني، هو غرض التحبّب والتلذّذ من ذكر الحبيب، فالشاعر برؤيته لحبيبه انتفض، وزال

عنه كل ألم ووجع جراء المرض، كما أنّ بإظهار لفظة الحبيب يتولد منها نغم مريح لنفسه

المتعبة والمثقلة من همّ المرض.

خاتمة

خاتمة:

- أما وقد استوى هذا العمل واجتمعت فصوله ومباحثه على نحو ما سبق، فإنّ هذه الخاتمة قطفٌ لأهم النتائج التي توصلت إليها من دراستي لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار:
- أنفع العلامات التي تميز الاسم "الإسناد إليه" وهي علامة معنوية أوضحت اسمية الضمائر وما شابهها ممّا لاتصلح لها باقي العلامات، كما ينقسم الاسم إلى ظاهر ومضمّر ومن لطيف ما يستفاد ويذكر - إذ وقفت على هذا التقسيم - هو شدّة اهتمام بعض الأصوليين -كالأمدي - بمسائل لغوية ونحوية انتهوا في بحثهم لها إلى نتائج ذات قيمة علمية عالية قد لا يوجد نظير لها حتّى عند النحاة أنفسهم.
 - ينقسم الضمير بحسب ما يدل عليه إلى ثلاثة أقسام: ضمير متكلم وضمير مخاطب، وهذان لا يحتاجان إلى مرجع يعودان عليه اكتفاءً بدلالة الحضور عنه، أما القسم الثالث فهو ضمير الغائب، وهو يحتاج إلى مرجع يعود إليه، والأصل في هذا المرجع أو المفسّر أن يكون سابقاً على الضمير مطابقاً له لفظاً ومعنى، وقد يكون مفهوماً من مادة الفعل الذي قبله أو من السياق، كما أن الأصل أن يعود الضمير على أقرب مذكور إلا في المتضايقين أو بقرينة مانعة من ذلك.
 - يكتسي السياق أهميّة بالغة في تحديد مفسّر الضمير وتوجيه المعنى.
 - الأصل في مألوف الكلام أن يوضع الضمير موضعه ؛ لأغراض وأسباب لأجلها كثر استعماله ومن أبرزها: الإيجاز والاختصار، والتخلص من التكرار الممل.
 - الإظهار في مقام الإضمار معناه أن يقتضى ظاهر الحال الإتيان بالضمير، ولكن يؤتى بالاسم الظاهر موضعه لتحقيق أغراض بلاغية وجماليات فنيّة.

- قد يقع الإظهار في مقام الإضمار في جملة واحدة وهو النوع الأول ؛ وقد يقع في جملتين وهو النوع الثاني ، وهذا الأخير هو الأفصح عند الزركشي، والحق أنّ كلا النوعين فصيح لا يستقبح ، فقد جاء في كتاب الله عزّ وجلّ .

بدأت الإرهاصات الأولى لبحث جماليات هذا الأسلوب منذ أول كتاب وضع في النحو لسيبويه ، ثم استلهم ذلك بعض البلاغيين، حيث إنّ منهم من ذكره في مبحث خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، بيد أنّ هذا الحصر فيه نظر؛ إذ إنّ الإظهار في مقام الإضمار قد يكون في المسند إليه، وقد يكون في غيره ومثاله قول الله تعالى: "وبالحقّ أنزلناه، وبالحقّ نزل" (الإسراء-١٠٥-) ، فإنّ المظهر هو (بالحق) الثانية ولو جرى على مقتضى الظاهر لقل (وبالحقّ أنزلناه وبه نزل).

- باب مخالفة الظاهر من أدقّ أبواب البلاغة العربية مسلکا، حيث إنّ فيها خروجا على ما هو جار به العرف من نسق الكلام لتحقيق مقاصد جمالية لا تتأتّى من جريان الكلام على ظاهر الحال ؛ الأمر الذي حدا ابن الأثير أن يعدّها من أرقى علوم البلاغة.

- لا يخفى على الباحث المنصف أنّ الإطناب موجود بكثرة في كتاب الله ، ومن صوره الإظهار في مقام الإضمار إذ فيه زيادة في اللفظ لفائدة، وفي هذا دليل على أهمية الإطناب في إيضاح المعنى والتأثير على النفوس ، شأنه في ذلك شأن الإيجاز، فإنّ لكلّ سياقه ومقامه الذي يحمّد فيه ، ولا سبيل إذ ذاك إلى التقليل من شأن الإطناب أو ادعاء جدّته على العربية وكونه دخيلا عليها، فالشواهد من الفصيح داحضة لهذا الزعم ، والمساس به يعدّ مساسا بلغة القرآن الكريم.

- تفاوتت عناية بعض المفسرين والمؤلفين في علوم القرآن بأسلوب الإظهار مقام الإضمار، ومن أبرز الذين دققوا في بيان واستنباط أسرار الإظهار في كتاب الله عز وجل : الزمخشري والزرکشي وأبو السعود العمادي.
- العدول من أسرار اللغة العربية ووسيلة من وسائل إبداعها مع كونه أداة فنيّة جمالية.
- تعددت أشكال العدول في اللغة العربية ومنها الإظهار في مقام الإضمار، بما يحمله هذا الأسلوب الجزل من لطائف جمالية ونكت بلاغيّة.
- تبين خلال البحث أن للإظهار في مقام الإضمار صلة بالتداوليّة بوصفه استلزما تخاطبيا، فما ترك الأصل واستُبدل الاسم الظاهر بالضمير إلا لتحقيق استلزمات حوارية تفهم من السياق.
- ظهر من هذه الدراسة أنّ أسلوب الإظهار في مقام الإضمار من أهم وسائل الاتّساق النصّي إذ ينضوي تحت الاتّساق المعجمي والإحالة.
- بين البحث أنّ ثمة تواشجا وتكاملا لعلوم العربية القديمة بعضها مع بعض ، كما أن لها تقاربا وتجاسرا مع بعض ما استجدّ من علوم في الدّرس اللّغوي الحديث كالأسلوبية والتداوليّة ولسانيات النصّ.
- الجمالية في البلاغة العربيّة وليدة التّناغم الفنّي والانسجام الإبداعي ، كما تعني تلك المعاني والأسرار العميقة لا القريبة المبتذلة.

- إن إدراك الجمالية البلاغية يعتمد على الذوق السليم للغوص فيما خفي من مكنون الحسن ، فقد جعل عبد القاهر الجرجاني - وغيره - الذوق ثمرة البلاغة وأهم منجزاتها، كما اتخذ محمود محمد شاكر الذوق منهجا في دراساته.
- يعتبر أسلوب الإظهار في مقام الإضمار من الأساليب الدقيقة الفصيحة استعمله أرباب الكلم والقلم - شعرا ونثرا - لأغراض ونكت بلاغية تفهم من السياق .
- ورد أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في كتاب الله العزيز محققا لطائف جمالية ونكتا بلاغية؛ تزيد شواهد المعنى رسوخا في النفس وتنم عن بلاغة القرآن وإعجاز نظمه .
- إن المتأمل في سيرة الصحابي الجليل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - والمتدقق لشعره ليستفيد بالدروس السنية والحكم العلية.
- شكّل أسلوب الإظهار في مقام الإضمار ظاهرة بلاغية وأسلوبية بارزة في ديوان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حيث أفاد من - خلال السياقات النظمية التي ورد فيها في قصائد الديوان - لطائف جمالية ونكتا بلاغية، تروق ذوقا.
- الشافعي رحمه الله عالم تحرير، فقيه محنك، متضلع في علوم العربية.
- شعر علي بن أبي طالب والشافعي مليء بالحكم في حلاوة سياق وبلاغة أداء.
- حقق أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" في الديوانين المختارين أغراضا ونكتا بلاغية تنم عن جودة شعرهما، ومن أهم تلك الأغراض: زيادة التقرير والتمكين، والتعظيم والتنبيه، وكمال العناية، واستقلال الجملة لتجري مجرى المثل... وهذا يدلنا على نزاهة اللفظ والغرض .

- أغلب شواهد الإظهار في مقام الإضمار في الديوانين المختارين جاءت من النوع الذي يقع في جملتين.

هذا، ومما لاشك فيه أن البحث في البلاغة التطبيقية والمباحث المشتركة بين علوم العربية مجالاً خصب لكل من يرنو إلى اكتشاف أسرارها وتذوق جمالياتها لاسيما وأن القرآن الكريم ما يزال يأسرنا دوماً بروعة بيانه وإعجاز نظمه ؛ وأن تراثنا زخراً بالنصوص القمينة بالدراسة تفيض حسناً وبهاء، تنتظر أن يماط اللثام عن أسرارها ولطائفها.

وبعد؛ فهذا ما تيسر إيراده، وتَهَيَّأ إعدادُه، وصلى الله وسلم على نبيه، أكرم رسله وأفضل خلقه، وعلى آله وصحبه.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية حفص.

الكتب العربيّة:

١. أبو أمامة زياد بن معاوية ، ديوان النابغة الذبياني، تح: حمدو طماس، ط٢، لبنان، دار المعرفة، ١٤٢٦هـ.
٢. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط٣، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ج١.
٣. أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد محمود شاكر، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤.
٤. أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، اللّباب في علل البناء والإعراب، تح: غازي مختار، ط١، دمشق ، دار الفكر ١٩٩٥، ج١.
٥. أبو الحسن أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، دارالفكر، ج٤، مادة { فسر }، ج٣ مادة ظهر.
٦. أبو الحسن علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ط١. الرياض: ١٤٢٤هـ، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ج١.
٧. أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، دط. دب: ١٩٨٦، دار مكتبة الحياة
٨. أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الصّلاة، باب ما يقال في الرّكوع والسّجود.
٩. أبو حيّان محمد بن يوسف، البحر المحيط، ج٥، ط، بيروت، لبنان، دار الفكر، ١٩٩٢م.
١٠. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ كتاب القيان، ج٢، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الغانجي، دت.
١١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النّحاس، القطع والانتلاف، تح: عبد الرحمان بن إبراهيم، ط١، السّعوديّة، دار عالم الكتب، ١٤١٣هـ.

١٢. أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث، بيروت ج ١، ج ٣، ٤.
١٣. أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المُرَبَّان السَّيرافي، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد محسن وعلي سيد علي، ط ١. لبنان: ٢٠٠٨، دار الكتب العلمية، ج ١.
١٤. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٤، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ١٩٣٧م، ج ٣.
١٥. أبو عبد الله جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي، ألفية ابن مالك، دط، الجزائر: ١٤٣٠، دار الإمام مالك.
١٦. أبو عبد الله محمد بن مالك، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ج ١.
١٧. أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الشافعي، عناية عبد الرحمن المصطاوي، ط ٣. بيروت: ١٤٢٦، دار المعرفة.
١٨. أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح: الدكتور عبد الفتاح كباره، ط ٣. لبنان: ١٤٣١، دار النقاش، مقدمة التحقيق.
١٩. أبو الطَّيِّب المتنبّي، ديوان المتنبّي، دط، بيروت، ١٤٠٣.
٢٠. أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج ٢، تح: محمد النّجار، بيروت، عالم الكتب.
٢١. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ١، الرياض، دار السلام ١٤١٨هـ.
٢٢. أبو الفدا اسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، ط ٢. دب: ١٤٢٠.
٢٣. أبو القاسم بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد، دط، بيروت، دار المعرفة، دت.
٢٤. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق التأويل وغوامض التنزيل، ج ٣، ط ٣، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م، ج ١.
٢٥. أبو محمد مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل فنونه وعلومه، ج ٢، ط ١، الشارقة، ٢٠٠٩م.
٢٦. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي، تح: عبد المنعم طوعي، ط ١. لبنان: ١٤١٩، دار البشائر الإسلامية.

٢٧. ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: بدوي طبانة، ط٢، دار الرفاعي، ج٢، ج٣، الرياض.
٢٨. ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، ج٧، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، لبنان، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٠م.
٢٩. أحمد بن الحسن البيهقي، مناقب الشافعي، تح: أحمد سقر، دط. القاهرة: دت، دار التراث.
٣٠. أحمد بن علي الكناني ابن حجر العسقلاني، توالي التأسيس لمعالي ابن إدريس، تح: عبد الله القاضي، ط١. بيروت: ١٤٠٦، دار الكتب العلمية.
٣١. أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،
٣٢. أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت: ١٩٧٢، دار صادر، ج٤.
٣٣. أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، تح: شعيب الأرناؤوط، دط. دب: ٢٠٠١، مؤسسة الرسالة رقم الحديث؛ ٨٠٤٣، ج١٣.
٣٤. أحمد محمد ويس، الانزياح وتعدد المصطلح، مجلة عالم الفكر، ع٣، الكويت، مارس ١٩٩٧م.
٣٥. الأحوص الأنصاري، ديوان الأحوص، تح: عادل سليمان، ط٢، مكتبة الخانجي ، القاهرة..
٣٦. أحمد في المسند تحت رقم: ٢١٣٢١ من حديث أبي ذرّ الغفاريّ، وحكم عليه الألباني بالصّحة.
٣٧. التّرمذيّ، رقم: ٢٦٨٢، عن حديث أبي الدرداء.
٣٨. الأخفش، معاني القرآن، ج١، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ
٣٩. أسامة شكري الجميل العدويّ، النّظريّة الجماليّة في البلاغة العربيّة، حوليّة كليّة اللّغة العربيّة، جامعة الأزهر، المجلد ٢٦، ج٤، ٢٠٢٢م.
٤٠. بدر مالك بن النّاظم، المصباح في المعاني والبديع، تح: حسني عبد الجليل، ط١، دب، مكتبة الآداب، ١٤٠٩هـ.

٤١. بكر عبد الله، أمن اللبس في النحو العربي، دراسة في القرائن، دكتوراه، جامعة الموصل، ٢٠٠٩.
٤٢. بهاء الدين ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد، تح: محمد كامل بركات، مصر، جامعة أم القرى.
٤٣. ببير جيرو، الأسلوبية تر: منذر عياشي، ط٢، حلب، مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٤م.
٤٤. تمام حسّان، البيان في روائع القرآن، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.
٤٥. تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط١، المغرب، دار الثقافة، ١٩٩٤م.
٤٦. التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ج١.
٤٧. ثابت بن أوس الشنفرى، ديوان الشنفرى، تح: إميل بديع يعقوب، ط٣. بيروت: ١٤١٧، دار الكتاب العربي، ص ٥٩.
٤٨. جلال الدين أبو عبد الله القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج٣، تح: محمد عبد المنعم، ط٣، الإسكندرية، المكتبة الأزهرية، ١٤١٣هـ.
٤٩. جمال الدين بن مالك، شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ج١، تح: عبد الرحمان السيّد ومحمد بدوي، ط١، مصر، دار هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.
٥٠. جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: إميل بديع يعقوب، ط٦. لبنان: ٢٠١٤، دار الكتب العلمية.
٥١. جمال الدين ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، تح: محمد محيي الدين، بيروت، لبنان، ج١.
٥٢. جمال الدين ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، القاهرة، دار الطلائع، دت.
٥٣. جمال رفيق يوسف الحاج علي، النظم القرآني في سورة يوسف، ماجستير، نابلس، فلسطين، ١٤٢١هـ.
٥٤. حامد صالح خلف الربيعي، التعريف في البلاغة العربية، ماجستير، المملكة العربية، ١٤٠٩هـ، ص ٢٧.
٥٥. خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير، ط١، دار ابن عفّان، مصر ج١، ١٤٢١،
٥٦. خالد محمد علي عون، الاستلزامات التخاطبية للأساليب البلاغية، ١٤٤٣هـ.
٥٧. دريد حسن أحمد صالح، عود الضمير في القرآن، مجلة مداد الآداب، ع ٢.

٥٨. دعل بن عليّ الخزاعي، شعر دعل بن عليّ الخزاعي، تح: عبد الكريم الأشتر، ط٢، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٣هـ.
٥٩. رشيد بلحبيين أمن اللبس ومراتب الألفاظ، الأنترنت على موقع faculty.uaeu.dc
٦٠. رضي الدين الأسترابادي، شرح الكافية، ج٢، ط١، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
٦١. ركة بنت فارغ اللّحاني، أحوال الضّمير مع مفسّره، ماجستير، ٢٠٠٢، إشراف عبد الرحمان إسماعيل، جامعة أم القرى.
٦٢. رواه مالك والطبراني، السلسلة الصحيحة، (١١٠٦)
٦٣. سالم شرابي، قواعد في مرجع الضّمير ودلالة السّياق عليه، مجلة دراسات لسانيّة، المجلد ٢، العدد ٩، جوان ٢٠١٨.
٦٤. سراج الدين محمد، موسوعة روائع الشعر العربي، دط. لبنان: دت، دار الراتب الجامعية، ج١.
٦٥. سعد الدّين التفتازاني، مختصر المعاني ضمن شرح التّأخير، ج١، دط، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١٢٣.
٦٦. سعود بن عبيد الله، الضّمير المستتر في الدّرس النّحويّ، ٢٠٠٩م، جامعة أمّ القرى، المملكة السّعوديّة.
٦٧. سليمان فتح الله، الأسلوبية مدخل نظريّ ودراسة تطبيقية، دط، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤م، ص٢٦.
٦٨. السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تح: أحمد جادو، ط١، القاهرة ١٤٣٥هـ، دار الغد.
٦٩. السيّد الشريف الجرجانيّ، الحاشية على المطول، تح: رشيد أعرضي، ط١، لبنان، ٢٠٠٧.
٧٠. شعيب بن أحمد ، أساليب السخرية في البيان العربي، أم القرى المملكة العربية السّعودية، ١٤١٤هـ.
٧١. شهاب الدّين الألوسيّ، روح المعاني، ج١، ج٢٤ دط، بيروت، دار إحياء التّراث.
٧٢. صالح العايد، نظرات لغويّة في القرآن الكريم، ط٣، الرياض، دار كنوز إشبيليا، ١٤٢٥.
٧٣. صالح ملا عزيز، جماليّة الإشارة النّفسيّة في الخطاب القرآنيّ، ط١، سوريا، دار الزّمان للطباعة والنّشر والتّوزيع، ٢٠١٠م.

٧٤. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج ١.
٧٥. صلاح فضل علم الأسلوب مبادئ وإجراءاته، دط، دار عالم للمعرفة، ١٩٩٢م.
٧٦. ظافر بن غرمان العمري، بلاغة القرآن الكريم، دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
٧٧. عائشة عبيزة، دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، دكتوراه، باتنة، ٢٠٠٩.
٧٨. عباس حسن، النحو الوافي، ط٥، بيروت، دار المعارف ١٩٧٥، ج ١،
٧٩. عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية، ط٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٧م.
٨٠. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مصطفى شيخ، ط١، لبنان، مؤسسة الرسالة، ج ١.
٨١. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، فقه الأدعية والأذكار، ط١. الجزائر: ٢٠٠٨، دار الإمام مالك.
٨٢. عبد الرزاق حسين أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، مجلة الوعي الإسلامي، عدد ٣٢، الكويت، ٢٠١٦م.
٨٣. عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، طرابلس، ليبيا، الدار العربية للكتاب.
٨٤. عبد العزيز عبد المعطي، من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لعلم المعاني، ط٢، لبنان، عالم الكتب، ج ١، ١٤٣٥هـ.
٨٥. عبد الله بن عبيد الله الدمينية، ديوان ابن الدمينية، تح: أحمد راتب التفاح، دط، دار العروبة، ١٣٧٩هـ.
٨٦. عبد المتعال الصّعيدي، البلاغة العالية، علم المعاني، تح: عبد القادر حسين، ط٢، دب، مكتبة الآداب، ١٤١١هـ.
٨٧. عبد الموجود متولي بهنسي، رؤية العدول عن النمطية في التعبير، دط، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
٨٨. عثمان بن حليمة، عود الضمير وأثره في التفسير، مجلة الباحث، العدد ١٤، ٢٠١٦، .
٨٩. علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتائب التعريفات، تح: محمد عبد الرحمان، ط٣، لبنان، دار النفائس، ١٤٣٣هـ، ص ٢٣٣.
٩٠. علي بن محمد بن الحسين أبو الفتح البستي، ديوان أبي الفتح البستي، تح: دربة الخطيب ولطفي الصقال، دط. دمشق: ١٤١٠هـ، مطبوعات مجمع اللغة العربية.

٩١. عليّ جريد العنزي، مجلة العلوم الشرعيّة، جامعة الحدود الشماليّة، ع٤٥، سؤال، ١٤٣٨هـ.
٩٢. عمر بن ثابت الثمانيّ، الفوائد والقواعد، تح: عبد الوهاب محمود، ط١، لبنان، مؤسسة الرّسالة.
٩٣. عمر بن عبد الله العميري، دراسة تحليلية لأساليب محمود شاکر ، ط١، مصر، ١٤٤٣هـ، ص ٩٠.
٩٤. غيلان بن عقبة بن مسعود ذو الرّمة، ديوان ذي الرّمة، تقديم أحمد حسن سبيح، ط١، لبنان، دار الكتب العلميّة، ١٤١٥هـ.
٩٥. فاضل صالح السامرائي، الجملة العربيّة والمعنى، ط١، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، ٢٠٠م.
٩٦. فخر الدّين محمد بن عمر الرّازي ، مفاتيح الغيب، ج٤، ط٣، بيروت، دار الإحياء العربيّ.
٩٧. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ط١، اليرموك، دار الفرقان، ١٤٠٥هـ.
٩٨. قيس بن الملوّح مجنون ليلي، ديوان قيس بن الملوّح، تعليق يسرى عبد الغنيّ، ط١، لبنان، ١٤٢٠، دار الكتب العلميّة.
٩٩. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط١، بيروت، دار إحياء التّراث، ١٤١٢هـ، مادّة: عدل.
١٠٠. محمد أبو زهرة، الشافعي حياته وعصره وآراؤه وفقهه، دط. القاهرة: ١٩٧٨، دار الفكر العربيّ.
١٠١. محمد أبو موسى، خصائص التراكيب-دراسة تحليليّة لمسائل المعاني، ط٩، القاهرة، دار المعرفة، ١٤٣٥هـ.
١٠٢. محمد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّوير، ج١، ج٤، ج١٦، ج٣٠، دط، تونس، الدّار التونسيّة للنشر.
١٠٣. محمد الغربي، اللّسانيات العربيّة و الإضمار-دراسة تركيبية، ط١، الأردن، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع.
١٠٤. محمد بن أحمد الدّسوقي، حاشية الدّسوقي على مختصر (ضمن شروح التّلخيص)، ج٢، مكة المكرمة، دار الباز.

١٠٥. محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث القاهرة.
١٠٦. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأنؤوط، ط٦. بيروت: ١٤٠٩، مؤسسة الرسالة، ج١٠.
١٠٧. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، تح: زهير الناصر، دار طوق النجاة.
١٠٨. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح الأدب، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط٤. دب: ١٩٩٧، رقم الحديث: ٢٥٣.
١٠٩. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة
١١٠. محمد بوحمد، العدول في بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية، فاس، مجلة كلية الآداب.
١١١. محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٣.
١١٢. محمد بن صالح، أصول في التفسير، ط١، المملكة العربية ، مؤسسة محمد بن صالح، ١٤٣٤هـ.
١١٣. محمد بن صالح، تفسير ابن عثيمين، ج٣، ط١، القاهرة، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣م.
١١٤. محمد بن صالح، شرح دروس البلاغة، تح: صلاح الدين محمود، ط١، دار النجاح، ٢٠١٤م.
١١٥. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ج٥، ط٢، مصر، مطبعة مصطفى، ١٣٨٣هـ.
١١٦. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج٣، تح: سيد إبراهيم، دط، القاهرة، دار الحديث.
١١٧. محمد بن عمر الحسين الرازي، مناقب الشافعي، تح: أحمد حجازي، ط١. بيروت: ١٤١٣، دار الجيل.
١١٨. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط١، بيروت، لبنان ، دار صادر، مادة ضمير، مادة كرر، مادة جمل، مادة ظهر.
١١٩. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، دط، القاهرة، مكتبة وهبة.
١٢٠. محمد خطّابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م.

١٢١. محمد دخيل، خمسة آلاف حكمة لعلي بن أبي طالب، ط١، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٤.
١٢٢. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط٤، الهيئة المصرية العامة.
١٢٣. محمد أحمد محمود شلبي، أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير أبي السعود، مجلة كلية أصول الدين، ع٣٧، ٢٠٠٩م، ج١.
١٢٤. محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تاج العروس، تح: عبد الستار أحمد، الكويت، دار التراث العربي، ١٩٦٥م، مادة فسر،
١٢٥. محمد مصطفى الشاذلي، الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، تح: محمد إبراهيم سليم، دط. القاهرة: دت، مكتبة ابن سينا، مقدمة التحقيق.
١٢٦. محمد ناصر الدين الألباني، صفة صلاة النبي، دط. الرياض: دت، مكتبة المعارف.
١٢٧. محمود عباس العقاد، عبقرية الإمام علي، ط٨، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ٢٠٠٣.
١٢٨. محمود عبد الجليل روزن، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية.
١٢٩. محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٧.
١٣٠. محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، دط، مصر، دار المعرفة، ٢٠٠٢.
١٣١. محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج٧، ط٧، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩م.
١٣٢. مسلم بن حجاج النيسابوري، المسند الصحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
١٣٣. مشاعل أنور يوسف، الإضمار والإظهار في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في التفسير الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨م.
١٣٤. منتدى الشعر والشعراء، ٢٩/٥/٢٠١٦:- <http://falih.ahlamontada.net/t1607> topic
١٣٥. منتدى أهل الحديث، أكثر من ٤٠ حديث للإمام الحسن البصري، أحمد أبو رمان، ٢٩/٥/٢٠١٦.
١٣٦. مهدي الحرازي، بغية المريد من أحكام التجويد، ط١، دار البشائر، ٢٠٠١م.

١٣٧. همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية الفرزدق، ديوان الفرزدق، تقديم علي فاغور، ط١، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.
١٣٨. يحيى بن حمزة بن عليّ العلويّ، الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة، تح: عبد الحميد هنداي، ط١، لبنان، المكتبة العسكرية ١٤٢٣هـ، ج٢.
١٣٩. يحيى بن حمزة بن عليّ العلويّ، الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة، ج٢.
١٤٠. يعيش بن عليّ بن يعيش الموصليّ، شرح المفصل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.
١٤١. يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ج٣.
١٤٢. يوسف عبد الفتاح بن عطية، فاعليّة التكرار في بنية الخطاب الشعري، مجلّة فصول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م.
١٤٣. <http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=312673>